بسم الله الرحمن الرحيم

الحياة الأسرية في بيت علي وفاطمة عليهما السلام

مُقاربَاتٌ معرفيّةٌ في ضوءِ فقهِ الأخلاقِ
وعلمِ الاجتماعِ العائليِّ

ISBN 978-9922-8694-0-7

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد ٣٥٧ لسنة ٢٠٢٥

BP192.1.A3 H39 2024

الحسني، نبيل، ١٣٨٤ للهجرة- - مؤلف.

الحياة الاسرية في بيت علي وفاطمة عليهما السلام : مقاربات معرفية في ضوء فقه الاخلاق وعلم الاجتماع العائلي/ تأليف السيد نبيل قدوري حسن الحسني. - الطبعة الاولى. - كربلاء، العراق: العتبة الحسينية المقدسة، مؤسسة علوم نهج البلاغة، ٢٠٢٤ / ١٤٤٥ للهجرة.

٢٤٨ صفحة ؛ ٢٤ سم. - (العتبة الحسينية المقدسة ؛ ١٥٤٣)، (مؤسسة علوم نهج البلاغة ؛٢٣٨)، (سلسلة الدراسات العلمية، وحدة الدراسات الاجتماعية ؛ ٣٤).

يتضمن ارجاعات ببليوجرافية.

١ . علي بن أبي طالب (عليه السلام) الامام الاول، ٢٣ قبل الهجرة-٤٠ للهجرة ٢. فاطمة الزهراء، فاطمة بنت محمد بن عبد الله (عليها السلام)، ٨ قبل الهجرة - ١١ للهجرة ٣. علم الاجتماع العائلي ٤. الأخلاق الاسلامية -- فلسفة ٥. الاسرة والمجتمع ٦. الإسلام والاسرة أ. العتبة الحسينية المقدسة (كربلاء، العراق). مؤسسة علوم نهج البلاغة -- جهة مصدرة. ب. العنوان

تمت الفهرسة قبل النشر في شعبة نظم المعلومات التابعة لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة.

سلسلة الدراسات العلمية
(٣٤)
وحدة الدراسات الاجتماعية

الحياة الأسرية
في بيت علي وفاطمة عليهما السلام

مقاربات معرفية في ضوء فقه الأخلاق وعلم الاجتماع العائلي

تأليف
السيد نبيل قدوري حسن الحسني

إصدار
مؤسسة علوم نهج البلاغة
العتبة الحسينية المقدسة

جميع الحقوق محفوظة

العتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

العراق - كربلاء المقدسة -مجاور مقام علي الأكبر عليه السلام

مؤسسة علوم نهج البلاغة

هاتف: ٠٧٧٢٨٢٤٣٦٠٠ - ٠٧٨١٥٠١٦٦٣٣

الموقع الألكتروني: www.inahj.org

الإيميل: info@inahj.org

الإهداء

إلى من صلى عليه الله وملاكته في محكم كتابه، فقال:

﴿ أَنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب :٥٦].

إلى من صلى عليه سيد الأوصياء وإمام الأتقياء (عليه السلام)، قائلا:

«اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ وَدَاعِمَ الْمَسْمُوكَاتِ، وَجَابِلَ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا، اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ، وَالدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ، كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ، وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالآثَامِ، وَأَقَامَ بِمُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَيِّرَاتِ الْأَحْكَامِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ، وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ.

اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحاً فِي ظِلِّكَ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، اللَّهُمَّ وَأَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ ، مَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ وَخُطْبَةٍ فَصْلٍ، اللَّهُمَّ اجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرَارِ النِّعْمَةِ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ ، وَرَخَاءِ الدَّعَةِ ، وَمُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ وَتُحَفِ الْكَرَامَةِ»[1] .

إلى: سيدي ومولاي وجدي أهدي هذا الجهد. (خادمك وولدك نبيل)

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة: ٢٧، بتحقيق صبحي الصالح : ص١٠١.

المقدمة

«**الحَمْدُ لله عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُكْرُ عَلى ما أَلْهَمَ، والثَناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمُومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغُ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والآها، جَمَّ عَنِ الإِحْصاءِ عَدَدُها، وَنَأى عَنِ الجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإِدْراكِ أَبَدُها**»[1].

والصلوات التامات، والزاكيات الطيبات على النبي الأمجد، والرسول المسدد أبي القاسم محمد، عبده ورسوله، «**أَرْسَلَه بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ والْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، والْكِتَابِ الْمَسْطُورِ والنُّورِ السَّاطِعِ، والضِّيَاءِ اللَّامِعِ والأَمْرِ الصَّادِعِ، إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ واحْتِجَاجاً بِالْبَيِّنَاتِ، وتَحْذِيراً بِالآيَاتِ وتَخْوِيفاً بِالْمَثُلَاتِ**»[2].

وعلى آله «**مَوْضِعُ سِرِّه ولَجَأُ أَمْرِه، وعَيْبَةُ عِلْمِه ومَوْئِلُ حُكْمِه، وكُهُوفُ كُتُبِه وجِبَالُ دِينِه، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِه وأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِه**»[3].

ما أشرقت شمس، وأضاء قمر، وأسفر صبح، وأنجلا ليل، وسلّم عليه وعليهم تسليماً كثيرا بعدد ما أحاط به علمه، آمين يا رب العالمين.

أمّا بعد:

إنّ أوّل أمر ترافق مع مشروع الجعل الإلهي للخلافة على الأرض هو تكوين الأسرة، بل أن اللافت للأنتباه أن الأسرة سبقت نزول نبي الله آدم إلى الأرض، قال تعالى: ﴿**وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا**

(١) الاحتجاج للطبرسي: خطبة الزهراء (عليها السلام)، ج١ ص ١٣٢.
(٢) نهج البلاغة، بشرح محمد عبده، الخطبة الثانية، ج١ ص ٢٧.
(٣) المصدر السابق، ج١ ص ٢٩ - ٣٠.

رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾[1] فقد حدد الوحي عنصرا الحياة الأسرية عبر الرجل والمرأة ومنها سمة الزوجية لتكون بذاك شريك الرجل في بناء الحياة، بل هي في الاصل شريك في تكوين مشروع الخلافة الإلهية على الأرض ولاسيما فيما يتعلق ببيوت الانبياء (عليهم السلام) فأصطفى عز وجل حواء وآسيا ومريم وأم المؤمنين خديجة، وسيدة النساء من الأولين والآخرين فاطمة (عليهن السلام).

ومن ثمّ لم يكن المختصون في العلوم النفسية والاجتماعية والتربوية والفلاسفة والمفكرون والمصلحون قد أوجدوا هذا الاهتمام من فراغ وأنما لمرافقة مشروع الاسرة مشروع الأنبياء والمرسلين فكانت من أهم القضايا التي شغلت بال الإنسان وجل عنايته وموضع سكنه وأنسه وجهاده، بل ونواة وجوده على الأرض.

من هنا كانت مادة الدراسة ومشروع الكتاب هو الممازجة بين معارف بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) والذي هو عين بيت النبوة ومصدره إلى الناس وبين معارف العلوم النفسية والاجتماعية والتربوية التي تخصصت في دراسة الأسرة ولا سيما علم الاجتماع العائلي وعلم اجتماع الأسرة وذلك ابتغاء تقديم رؤية مشتركة تقدم للدارس والباحث ولاسيما في قسم علوم نهج البلاغة والتربية الاسلامية لم يشكله من مادة علمية أساس في دراسة الحياة الأسرية في بيت أمير المؤمنين وسيدة نساء العالمين عبر جملة من المباحث والمسائل التي أشتمل عليه الكتاب.

---

(١) البقرة: ٣٥.

فقد خصص الفصل الأول لبيان : سمات الحياة الزوجية في بيت علي وفاطمة(عليهما السلام)، وقد اشتمل على مبحين، الأول: مفهوم الأسرة وتعريفها، والثاني: فاطمة عليها السلام الزوجة، وقد تضمن سبع مسائل.

أما الفصل الثاني: الأمومة في بيت علي وفاطمة(عليهما السلام) وقد أشتمل على سبع مباحث، تضمنت عدد من المسائل.

ومن ثمّ فالدراسة تقدم أنموذجا من المعارف التي قد يكون كثير من الناس لم يتعّرف عليها فهي غنية بما تحتاج إليه كل أسرة.

فإنْ أصبت فذلك مبلغ علمي ومقدار رزقي من التوفيق ﴿**نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٧٦] ، والله ولي التوفيق ، ومنه ومن رسوله (صلى الله عليه وآله) نسأل المزيد ، قال تعالى : ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ سَيُؤْتِينَا اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ أَنَّا إِلَى اللهِ رَاغِبُونَ**﴾ [التوبة:٥٩] .

اللَّهم أنَّا إليك وإلى رسولك راغبون ولفضلكما ملتمسون؛ ﴿**وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيه أُنِيبُ**﴾[هود:٨٨] ، ﴿**رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا أَنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾ [البقرة:١٢٧] ؛ فالحمّد لله على فضله وفضل رسوله(صلى الله عليه وآله) .

المتشرّف بالخدمتين

العتبة الحسينية المقدسة وكتاب نهج البلاغة

السيد نبيل الحسني الكربلائي

التمهيد:

المسألة الأولى: معنى مصطلح فقه الأخلاق ومفهومه.

أولاً: الفقه لغة.

تناول اللغويون مفردة (الفقه) في المعاجم اللغوية، وأبدوا جملة من المعاني، وهي على النحو الآتي:

١ ـ إنّ الأصل في الكلمة هو: الشق، قال الزمخشري:

(الفقه: حقيقة الشق والفتح، والفقيه الذي يشتق الأحكام ويفتش عن حقائقها، ويفتح ما استغلق منها)[١].

٢ ـ إنَّ الاصل في الكلمة هو الفهم ، قال ابن الأثير:

(الفقه في الأصل: الفهم، واشتقاقه من الشق والفتح، يقال: فقِه الرجل بالكسر يفقه فقها إذا فهم وعلم، وفَقُه بالضم يفقه: إذا صار فقيهاً عالما)[٢].

وقد أرجع معنى المفردة إلى ما ورد في محكم التنزيل ومنه أخذ، فهو:

أ ـ العلم بالشيء والفهم له[٣]؛ وهو ما ورد، أي: المعنى في قوله تعالى:

﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ [هود: ٩].

---

(١) الفائق في غريب الحديث: ج٣ ص ٤٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث: ج٣ ص ٤٦٥.

(٣) لسان العرب لابن منظور: ج١٣ ص ٥٢٢.

ب ـ **فهم الشيء الدقيق**، وقد ورد هذا المعنى في قوله تعالى:

﴿فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

ولهذا خصص أهل اللغة أسم الفقه بالعلوم النظرية، فإنه مطلق يتناول فهم الأشياء الواضحة كما يتناول فهم الأشياء الدقيقة وهو مأخوذ من قوله تعالى:

﴿فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [الإسراء: ٧٨] .

ثانياً : الفقه اصطلاحا .

جاء معنى الفقه في الاصطلاح ضمن مراحل فقد (أُطلق الفقه أوّلاً على ما يرادف لفظ الشرع، فكان علم الفقه هو العلم بكل ما جاء من قبل الله سبحانه وتعالى في الدين سواء ما يتعلق بأُصول الدين أو الأخلاق أو أفعال الجوارح أو معرفة النفس أو القرآن وعلومه، وهو الذي أوجبته الآية الشريفة:

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ...﴾ [سورة التوبة: ١٢٢].

وقد سمّي بالفقه الأكبر، إلاّ انّه بالتدريج قد دخله تخصيص كثير فاستبعد علم العقائد وجعل علماً مستقلاً برأسه مسمّى بعلم التوحيد أو علم الكلام، واستبعد علم الأخلاق ومعرفة النفس والسلوك وسمّي بعلم الأخلاق وعلم العرفان والسلوك، واستبعد ما يتعلّق بالقرآن الكريم فسمّي بعلم التفسير وعلوم القرآن، واستبعد ما يتعلّق بأُصول الفقه فجعل علماً

مستقلاً يبحث عن منهج الاستدلال الفقهي أو الأدلّة المشتركة في الفقه. فاختص تعريف الفقه الاصطلاحي بـ : العلم بالأحكام الشرعية الفرعية عن أدلّتها التفصيليّة.

والمقصود من الفرعية: الأحكام المتعلقة بأفعال المكلّفين وتروكهم – فيخرج أُصول الدين وأُصول الفقه– سواء كانت تكليفية كالوجوب والحرمة أو وضعية كالملكية والطهارة وسواء كانت متعلقة بالفرد في سلوكه الشخصي أو بالأُسرة والعائلة أو بالمجتمع والدولة والسلوك العام.

والمقصود بكونها من أدلّة تفصيلية: اخراج الفقه التقليدي ، أي علم المقلِّد بفتاوى مقلَّده، فإنّه ليس من الفقه الاصطلاحي، فيختص علم الفقه بالاجتهادي كما يختص عنوان الفقيه بالمجتهد)[1].

ثالثاً : معنى الأخلاق في اللغة والاصطلاح .

١. الأخلاق لغة :

الأخلاق جمع خلق ، والخلق أسم لسجية الإنسان وطبيعته التي خلق عليها . قال ابن منظور :

(الخلق بضم اللام وسكونها هو الدين والطبع والسجية ، وحقيقته أن صورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها)[2] .

---

(١) موسوعة الفقه الإسلامي طبقا لمذهب أهل البيت (عليهم السلام)؛ مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي: ج١ ص١٨ .

(٢) لسان العرب : ج١٠ ص٨٧ .

وقال الراغب : (والخلق والخلق في الأصل واحد ، كالشرب والشرب ، والصرم والصرم ، لكن خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر ، وخص بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة)[1].

٢ . الأخلاق اصطلاحاً .

عرّفَ الجرجاني الخلق بأنه : (عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية ، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقا حسنا ، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئا)[2] .

وعرّفه ابن مسكويه في (تهذيب الأخلاق) بقوله : (الخلق : حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا روية ، وهذه الحال تنقسم إلى قسمين : منها ما يكون طبيعيا من أصل المزاج ، كالإنسان الذي يحركه أدنى شيء نحو غضب ويهيج من أقل سبب ، وكالإنسان الذي يجبن من أيسر شيء ، أو كالذي يفزع من أدنى صوت يطرق سمعه ، أو يرتاع من خبر يسمعه ، وكالذي يضحك ضحكا مفرطا من أدنى شيء يعجبه ، وكالذي يغتم ويحزن من أيسر شيء ينالـه . ومنها ما يكون مستفادا بالعادة والتدرب ، وربما كان مبدؤه بالروية والفكر ، ثم يستمر أولا فأولا حتى يصير ملكة وخلقا)[3].

رابعاً : المعنى التركيبي لمصطلح فقه الأخلاق .

(١) المفردات في غريب القرآن : ص ١٥٨ .
(٢) كتاب التعريفات ، الجرجاني : ج١ ص ١٠٢ .
(٣) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق ، ابن مسكوية : ج١ ص٤٢ .

يتكون مصطلح فقه الأخلاق – كما مرَّ بيانه – من (الفقه) و(الأخلاق) وبمجانسة المعنيين ومؤالفتهما ينتج عنهما أن معنى المصطلح هو : الضوابط الشرعية التي تقنن فعل الإنسان الشخصي والأسري والاَجتماعي لتصل به إلى مراتب الكمال النفسي الذي يحقق له مبتغى الشريعة وغايتها .

وقد قسم الفقهاء فقه الأخلاق إلى قسمين ، **وذلك** (إنّ مراتب الوصول إلى الكمال نظير أفراد الكلي المشكك – متفاوتة حسب تفاوت الاستعدادات – تفاوتا بينا ، فكل مرتبة يسلكه السالك إلى الله بالجوارح أو بالجوانح فهي مرتبة من مراتب الفقه – لا بالمعنى المصطلح – بل بمعناه الواقعي النفس الأمري ، فللفقه مرتبتان مترتبتان ثانيتهما أعلى مقاما .

١ـ الفقه الجوارحي[١]:

وهو الذي يحتاج أبناء نوع بني آدم إليه في السلوك الظاهري ، ويسمى بالفقه الجوارحي ، سواء تعلقت بالأبدان بجميع أنواعها ، واجبة أو غير واجبة ، والصوم بجميع أنواعه أو تعلقت بالأموال كالزكوات والأخماس وأنواع الكفارات والصدقات أو بهما كالحج والعمرة وعدة من الكفارات . وسواء كانت مجعولة لانتظام مجتمع أبناء النوع كالحدود والقصاص والديات وأحكام المعاشرات وأحكام القضاء المجعولة لرفع الخصومات والمشاجرات ، بل وأنواع البيوع والإجارات والجعالات أو مجعولة لحفظ النسل والانتسابات كالنكاح والطلاق واللعان والظهار والإيلاءات .

أو متعلقة بكيفية السلوك مع المخلوقات ، سواء كانت من أبناء نوعه

(١) في الأصل : أحداهما الفقه الجوارحي .

حتى أحكام العبيد والإماء كالعتق والتدبير والمكاتبات أم غيرهم في المجالسات والمعاشرات .

٢ ـ الفقه الجوانحي [١]:

والجامع لجميع ما عددناه أمران ، **أحدهما** : كيفية السلوك مع خالقه وتسمى بالعبادات .

ثانيهما : كيفية السلوك مع غير خالقه حتى مع نفسه وهي غير العبادات من الأنواع المذكورات ، وكل ذلك يحتاج إلى الفقه العملي أو العملي ، أمرا أو نهيا ، والفقه بكلا معنييه بمنزلة المظهر لمسألتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين صار سببين لكون هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس .

ففي كل مرتبة من المراتب المذكورة لو عمل المسلم بها كان آتيا « بهما ، ولو ترك كان تاركا « لهما ، فالأمر بالمعروف بجميع مراتبه مستلزم للعمل بجميع المندرجات ، والنهي عن المنكر بجميع مراتبه لترك أضداد المذكورات.

وهما بجميع مراتبهما تتعلقان بفعل المكلف ، سواء كان من أفعال الجوارح والأعضاء ، أو من أفعال القلب .فأسباب الوصول إلى الكمالات ترجع إلى الفقه ، ولذا عرفه غير واحد من أساطين الفن بأنه العلم بالأحكام الشرعية ، فكل موضوع له حكم ما من الشرع المقدس فهو فقه ، سواء كان تكليفيا أو وضعيا ، وسواء كان متعلقا « بنظم الدنيا أو نظم الآخرة ، ولذا جعلوا موضوعه أفعال المكلفين)[٢] .

---

(١) في الأصل : وثانيهما الفقه الجوانحي .

(٢) كشف الرموز الفاضل الآبي : ج١ ص٦ .

المسألة الثانية: أهمية المقاربة المعرفية بين منهج الحياة الأسرية وأصولها في بيت علي وفاطمة(عليهما السلام) وبين علم الاجتماع العائلي وعلم اجتماع الأسرة.

أحببنا قبل الغوص في بحور علوم بيت علي وفاطمة (عليها السلام)، أن نبين للقارئ الكريم، أمرين:

الأول: السبب الذي دفعنا إلى الممازجة بين فقه الأخلاق وعلم الاجتماع العائلي، وما يرتبط به من علوم نفسية وتربوية وبين الحياة الأسرية في بيت علي وفاطمة(عليهما السلام)، وهو: توصيل فكرة لدى القارئ الكريم، بأن الكثير من النظريات أو المناهج التي قدمها علماء الاجتماع عند دراستهم للعائلة، هي نفسها التي وضعها أمير المؤمنين وفاطمة (عليهما السلام) قبل أربعة عشر قرناً، إلا أن علماء الاجتماع والتربية قد توصلوا إلى هذه النظريات عن طريق البحث والتحليل والمراجعة والمتابعة، بينما قدم بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) للمجتمع هذه المناهج عن طريق (العلم اللدنّي) الذي خصهما الله به، وهو ما يميز هذا البيت عن جميع البيوت التي عرفتها البشرية، أي أن الله تعالى جعلهما من أهل العصمة.

قال الله تعالى: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ**﴾[2].

فيما قال لها رسول الله:

«**فاطمة بضعة مني**».

(١) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(٢) سورة يس: الآية ١٢.

وقال لها أيضا، وقد ضمها إلى صدره:

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[1].

بعد أن أجابت على مسألة عجز عنها المسلمون[2].

وغيرها من الدلائل التي تنص على أنها عليها السلام قد قدمت هذه الأسس والمناهج، والقواعد، والنظريات، عن طريق ما خصها الله به، وبما ورثته من علوم أبيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فضلاً عن ذلك أنّ النظرية عند الأئمة المعصومين تختلف بمصداقها عن النظرية التي يتوصل إليها العالم الذي يعمل في المؤسسات والهيئات والجامعات المعاصرة؛ إذ ترتكز النظرية عند المعصوم عليه السلام على تفسير الظاهرة أو القانون أو القاعدة طبقاً لعين الواقع، ولذا فهي علمية لاستحالة نفوذ الاحتمال أو الظن إليها، بمعنى لا يكون بيان المعصوم يستند إلى الظن أو عدم الإحاطة الكاملة والشاملة والدقيقة للسنن والقوانين والظواهر الكونية، ونقصد بالكونية جميع ما يمكن أن يدركه الإنسان ويحسه بل وحتى الأشياء التي لم يتمكن من إدراكها ومعرفتها، فجميع ذلك علمه عند المعصوم (عليه السلام)، وذلك أن علم المعصوم هو علم حضوري أو لدنّي ــ كما أسلفنا ــ.

وعليه: تكون نظرية المعصوم (عليه السلام) هي عين الواقع، ونظرية غيره من الخلق تبنى على مجموعة من الظنون تتفاوت في نسبها وقوتها ومرجحاتها، فقد يصل هذا العالم أو ذاك عبر الدراسة والبحث إلى معرفة

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٤.

(٢) كتاب ألف باء للبلوي: ج٢ ص٧٦؛ الإسلام والأسرة لمعوض عوض: ص٦٤.

الحكم بنسبة محدودة تقترب أو تبتعد عن الحكم الواقعي والمطابق لعين الحق.

وقد يبتعد كل البعد عن عين الواقع فتكون نظريته واهية سرعان ما يظهر فشلها حينما يأتي عالم آخر يقدم أدلته التي تكتسب أهميتها عبر قربها من الواقع، ومن ثمّ إحراز نسبة من الحقيقة التي سنّها الله تعالى، من هنا ذهب البعض إلى: (أن النظرية بسبب اتساعها يبقى صدقها احتماليا مهما بلغ النجاح فيها)[1].

وعلى هذا نجد أن نظرية المعصوم هي عين الواقع فلا وجود للاحتمالات فيها ولا ظنون نافذة إليها فهي عين الصدق؛ لأنها ترتكز على فيض من سنَّ السُنّن وأجراها، ومن بيده مقاديرها وتصريفها جلّ شأنه، ومن ثمّ كان علم المعصوم بها علماً ربانياً ولدنيّاً وذلك لقوله تعالى في بيان حال عبده الخضر (عليه السلام): ﴿**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾[الكهف:٦٥].

الثاني: إنّ علم الاجتماع العائلي يُعدّ من (أحدث فروع علم الاجتماع التي تبلورت موضوعاتها ومناهجها، كما يعد في نفس الوقت من أخصب فروع علم الاجتماع من حيث المشكلات الهامة والقضايا التي تتجدد أهميتها ويتعاظم وزنها في مجتمعنا الحديث)[2].

ولأن علم الاجتماع العائلي يشرح ويفسر طبيعة النظم العائلية حيث يهتم العلماء بدراسة نشأة وتطور الأسرة الإنسانية من حيث نظامها وتركيبها

(١) أسس البحث العلمي للدكتور محمد نجيب والدكتور محمود ميلاد: ص٤٣.
(٢) الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة للدكتورة علياء شكري: ص١٥.

ووظائفها، ونظم القرابة فيها، ويهتم بعوامل تغيرها، وكذلك بعوامل ثباتها واستمرارها وبقائها في جميع المجتمعات كنظام اجتماعي من أهم النظم الاجتماعية.

وكذلك يهتم بدراسة وتفسير نماذج العلاقات العائلية بين أفرادها، والتفاعل الاجتماعي بين الزوجين، وبين الأخوة والأبناء والوالدين، وبين بقية الأقارب الآخرين.

ونظرا لاهتمام علم الاجتماع بدراسة الجماعات، وكذلك دراسة البناء الاجتماعي، والنظم الاجتماعية الكبرى التي تتفاعل فيها الجماعات والأفراد، فإن علم الاجتماع العائلي كفرع هام من فروع علم الاجتماع العام قد خصص في (دراسة الأسرة) كجماعة اجتماعية أولية، وكنظام اجتماعي[1].

ومن هنا: فإننا ونحن نسير في رحاب الحياة الأسرية في بيت أمير المؤمنين الإمام علي وسيدة نساء العالمين والصدّيقة الكبرى فاطمة البتول (عليهما السلام) فلابد لنا من الوقوف بإجلال أمام هذه الأسرة، كي نستلهم منها المناهج والنظم، والروابط الأسرية، كما يستلهم الباحث والأكاديمي من المحافل العلمية مادته البحثية، وعنوانه التخصصي.

فضلا عن تقديم منهجية أخرى في دراسة الأسرة تضاف إلى تلك المناهج المتبعة في حقل الاجتماع العائلي بشكل خاص، وفي علم الاجتماع وفروعه بشكل عام، فلعل المهتمين بهذا الحقل ونواته ـ أي ـ الأسرة يجدون ما يضيفونه

(١) للمزيد من الاطلاع على ما يتناوله علم الاجتماعي العائلي أنظر: علم الاجتماع العائلي للدكتور الوحيشي: ص٥ ــ ٦؛ علم اجتماع العائلة للدكتور محمد صفوح: ص٣.

إلى مادتهم البحثية، ومنهجهم العلمي الأكاديمي.

ومن ثمّ فإننا سنقوم بطرح النظم الأسرية في بيت علي وفاطمة(عليهما السلام) بادئ الأمر ثم نقارنه بما صدر عن المحافل والهيئات العلمية التخصصية، سواء على نطاق فردي، أو هيئوي، أو مؤسساتي فلعلنا بذلك نكون قد قدّمنا للباحث والقارئ ما يساعدهما في الوصول إلى مبتغاهما في حفظ الأسرة، وبنائها وتطويرها.

الفصل الأول

سمات الحياة الزوجية في بيت علي وفاطمة (عليهما السلام)

توطئة:

قد لا يخفى على أهل الاختصاص في العلوم الاجتماعية والتربوية والنفسية ما للأسرة من عنصر أساس في بناء الإنسان ورقيه.

كما لا يخفى على الباحثين والقراء في مختلف الديانات السماوية والحركات الإصلاحية سواء كانت فلسفية أو سلوكية أو سياسية أو اجتماعية من أنّ بيوت الأنبياء التي اصطفاها الله تعالى ورفعها، فقال سبحانه:

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[1].

من دور قيادي في تأسيس الإنسان النموذجي وصلاحه والذي به تصلح الحياة على الأرض.

من هنا:

كانت الأسرة مصب اهتمام الفكر الإنساني، وموضع اهتمام المصلحين، والمهتمين بصلاح المجتمع الإنساني.

(ولعل كل مشتغل بالعلوم الاجتماعية ـ على اتساعها وتشعبها ـ يدرك إدراكا واضحا ليس في حاجة إلى تدليل: أن اهتمام المفكرين بالأسرة وخصائصها ومشكلاتها، اهتمام يضرب بجذور عميقة في تاريخ الفكر الإنساني، بل يكاد يكون قديما قدم الفكر الإنساني نفسه)[2].

(ولا نعرف حضارة راقية ـ خلفت لنا تراثا مكتوبا ـ لم يهتم مفكروها من زاوية أخرى ـ بالأسرة ـ. ولكن الاهتمامات تتنوع وتتباين، فمن اهتمامات

(١) سورة النور، الآية: ٣٦.

(٢) الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة للدكتورة علياء شكري: ص١٧.

فلسفية، إلى أخرى أخلاقية إلى ثالثة تأملية.

ويمكن القول: بأن دراسات الزواج والأسرة قد شهدت مرحلة طويلة تمتد منذ بداية التاريخ المدون وحتى منتصف القرن التاسع عشر: (وتضم هذه المرحلة الفكر العاطفي ـ الخرافي أو التأملي ـ في موضوع الأسرة).

كما يتمثل في: التراث الشعبي عن الأسرة وكتابات الأدباء، والتأملات الفلسفية، وربما كان من أعلام هذا الفكر في عالم الأدب: شكسبير وروبرت، وإليزابيث براو فنج، ووالت وايتمان.

وفي عالم الدين: كونفو شيوس، وسانت أوغصطين، وفي عالم الفلسفة: أفلاطون، وأرسطو، وجون لوك)[1].

وعليه، كيف يمكن لنا أن نهمل ما لبيت علي وفاطمة (عليهما السلام) من قواعد ونظريات ــ مطابقة لعين الواقع ــ ومناهج في خلق الأسرة الأنموذج في الإسلام.

ونحن نستعرض كل تلك الرؤى الفكرية والمعطيات الثقافية لأهل الفكر الإنساني والإبداع الحياتي.

(١) الاتجاهات المعاصرة، للدكتورة علياء شكري: ص١٧؛ نقلا عن: تطور ميدان الأسرة للدكتورة علياء شكري وغيرها؛ قراءات في الأسرة ومشكلاتها في المجتمع المعاصر: ص٩١، ط دار الثقافة؛ دراسات في الاجتماعي العائلي، فصل (الأسرة في نظر الفلاسفة: ص٦).

المبحث الأول
مفهوم الأسرة وتعريفها

المسألة الأولى: تعريف الأسرة.

وبالنظر إلى أهمية موضوع الأسرة، فقد اختلف الباحثون في الاجتماع والتربية في صياغة تعريف موحد، أو الاتفاق على مفهوم معين في الأسرة، سواء كانوا دينيين، أو علمانيين، (رغم أن مدلول الأسرة معروف لدى جميع الناس، وموجود في كل مكان)[1].

وحتى في حالات الرجوع إلى اللغة لمعرفة (الأسرة) لغة، أو اصطلاحا، أو عند النظر في القرآن الكريم والسنّة النبوية المطهرة ـ على صاحبها وآله الصلاة والسلام ـ فإننا لن نقف على تعريف موحد للأسرة في هذه المنابع والأصول الثلاثة.

١ ـ الأسرة في اللغة

هي: الدرع الحصينة، وأهل الرجل وعشيرته، وتطلق على الجماعة يربطها أمر مشترك، وجمعها: أُسر[2].

٢ ـ الأسرة في القرآن والسنّة النبوية

وإذا جئنا إلى القرآن والسنّة النبوية فإننا: لا نجد فيهما مصطلحا يعادل تماما كلمة (الأسرة) ولكن نستطيع استعمال اصطلاح (الأهل) المستعمل

---

(١) نظام الأسرة في الإسلام لمحمد عقلة: ص١٨.

(٢) المعجم الوسيط في اللغة: ج١، ص١٨؛ تهذيب اللغة للأزهري: ج١٣، ص٦٠؛ لسان العرب لابن منظور: ج١، ص١٤٠؛ جميعا في مادة: أسر.

فيهـا ـ أي القـرآن والسـنّة النبويـة ـ عـلى أنـه يعنـي الأسرة[1].)

المسألة الثانية ـ الاختلاف في مفهوم الأسرة بين الباحثين.

فضـلا عـن ذلـك فـإن سـبب الاختـلاف بـين أقـوال الباحثـين والمختصـين في دراسـة الأسرة يعـزى إلى مفهـوم الأسرة عنـد كل باحـث حسـبما تمليـه عليـه المعطيـات المعتمـدة في مادتـه البحثيـة ورؤيـاه الفكريـة، إذ يختلـف هـذا المفهـوم باختـلاف مـا تعطيـه لهـا الديانـات والمجتمعـات مـن وظائـف ومسـؤوليات وبحسـب متنـوع النظـم والتشريعـات العالميـة المتصلـة بهـا.

فللديانـات مفهومهـا، وللنظـم العلمانيـة مفاهيمهـا، وللإعـلان العالمي لحقوق الإنسـان ومواثيـق الأمـم المتحـدة مفهومهـا الخـاص المترتـب عـلى خصوصيـات أدوارهـا ومسـؤولياتها في القانـون الـدولي[2].

بينـما نسـب بعـض المتخصصـين هـذه الصعوبـة في تعريـف الأسرة إلى نفـس التعريـف لمـا: تترتـب عليـه مـن نتائـج عـلى حيـاة النـاس، إذ إن الاعتقـاد بـأن شـكلا معينـا مـن الأسر، ليـس هـو المرغـوب فقـط، ولكنـه الأكثـر واقعيـة أو أصالـة قـد يفـرض بعـض السياسـات الاجتماعيـة التـي قـد تصـف بعـض الأسر، أو بعـض السـلوك الجنـسي بأنهـا منحرفـة[3].

ثم تدور تساؤلات الباحثين عن نفس المفردة، ـ أي: الأسرة، ماذا تعني؟!

(١) الإسلام وتنظيم الأسرة لمحمد ظفار: ج١، ص٢٢١، ثبت أعمال مؤتمر الرباط.

(٢) أزمـة القيـم ودور الأسرة في تطويـر المجتمـع ـ فصـل: مفهـوم الأسرة ووظيفتهـا، لعبـد الهـادي بـو طالـب.

(٣) علم الاجتماع العائلي للدكتور الوحيشي: ص٥٣.

هل الأسرة النواة الصغيرة، الزوجان وأطفالهما؟ هل العلاقات بين الزوج والزوجة، أم العلاقات القائمة بين الوالدين والأطفال هي عماد الأسرة؟ هل تضم الأسرة كل شجرة الأسرة، جميع الأقارب الأعمام والعمات، الأخوال والخالات، والجدود والجدات، إضافة إلى الزوجين وأطفالهما وأبناء هؤلاء الأطفال وبقية الأقارب من الدرجة الثانية والثالثة، أو ما نطلق عليه العائلة أو العيلة[1] ـ هي الأسرة ـ؟

بينما يصب أحد الباحثين تساؤلاته عن: (العناصر التي يمكن إغفالها عند تعريف الأسرة هل هي: روابط الدم، روابط الزواج، معيشة الأفراد مع بعضهم البعض وشعورهم بالولاء،وبالمماثلة والتطابق، أم هي بعض هذه العناصر؟

وكيف تختلف قيمة تجربة الحياة في جماعات نطلق عليها أسر، في جماعات أخر لا نعدّها أسرية؟ وهل يمكن تطبيق تعريف معين للأسرة على كل الثقافات، وفي كل العصور التاريخية)[2]؟

ولذلك كلما تقدم الزمن كلما ازداد مفهوم أو تعريف الأسرة صعوبة، ولاسيما في العصر الحديث، حيث ظهرت (الأسر العصرية) التي: (لا تأتلف رابطتها من أجل الإنجاب، بل قد يتعاقد الزوجان على إقصائه، كما لا تكون مكوناتها هي الأب والأم والأولاد، ولا تربطها علاقة أب وأم)[3] والعياذ بالله.

---

(١) علم الاجتماع العائلي للدكتور الوحيشي: ص٥٣.

(٢) البيئة العاطفية لارلين سكولينك، ط شركة بروان ـ بوسطن لسنة ١٩٧٨م، وعنه الوحيشي في علم الاجتماع العائلي: ص٥٨.

(٣) أزمة القيم ودور الأسرة في تطوير المجتمع، فصل: مفهوم الأسرة ووظيفتها، لعبد الهادي بو طالب: ص١٥٨.

لكن هذا الوضع المحيط بمفهوم أو تعريف (الأسرة) لا يمنع من وجود مفاهيم واقعية، وتعاريف (جامعة) وإن لم تكن (مانعة)، كما هو متبع في المنهج الأصولي والمنطقي.

فأعطت للمهتمين بهذه النواة للمجتمع الإنساني، صورة جميلة وواضحة ومقبولة إلى حد ما، وإن اختلفت الرؤى الفكرية لهذه الصورة عند الناظرين إليها.

المسألة الثالثة: الأسرة في الديانات الثلاث.

هي: (مؤسسة أخضعها الله لقيم وروابط، وحد لها مسؤولياتها ووظائفها ووكل أمر تنظيمها وتحديد العلاقة بين أعضائها إلى التشريع الديني.

وأجمعت الديانات الثلاث: ـ (اليهودية والنصرانية، والإسلامية) ـ على أن الإنجاب هو وظيفتها الأساسية وأن لها مسؤولية في تربية الأولاد المنجبين على أسس دينية.

واتفقت كلها على أن الزواج الشرعي، شعيرة دينية لا تقام الأسرة خارجه، أو بدون استكمال شروطه، وأن هذه العلاقة لا تقتصر على إشباع الجنس، بل هي جزء من ممارسة البشر لأمانة الخلافة على الأرض نيابة عن الله لتأمين استمرار جنس الإنسان، وممارسة مهمة إصلاح الأرض وإعمارها على النهج الذي جاء به الأنبياء المرسلون)[1].

المسألة الرابعة: الأسرة في مفهوم علم الاجتماع.

حمل علم الاجتماع مفاهيم متعددة للأسرة، فـ:

---

(١) أزمة القيم ودور الأسرة في تطوير المجتمع ـ فصل: مفهوم الأسرة ووظيفتها، لعبد الهادي بو طالب: ص١٧٦.

١ــ فهي: (عربة الوعي الجمعي، ومن ثم فإن النظام الأسري يشكل من الأمور التي تخضع لها الأسرة باعتبارها الوحدة الاجتماعية الأولى في البناء الاجتماعي من حيث تكوينها ونطاقها ووظائفها وعلاقة أفرادها بعضهم ببعض، ومحور القرابة، وطقوس الزواج، والطلاق، والحضانة، وشؤون المواريث)[١].

٢ــ (الأسرة في طبيعتها اتحاد تلقائي تؤدي إليه الاستعدادات والقدرات الكامنة في الطبيعة البشرية النازعة إلى الاجتماع، وهي بأوضاعها ومراسيمها عبارة عن مؤسسة اجتماعية تنبعث عن ظروف الحياة الطبيعية التلقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية)[٢].

٣ــ وفيما تتعدّد المفاهيم للأسرة في علم الاجتماع، فإن مفهوم وتعريف الأسرة بدا من السيدة ديان كارو (Diane Gareau) الكندية، يكشف عن رؤية تتناغم مع الحس الروحي الذي جاء به قوله تعالى:

﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[٣].

من حيث لا تعلم فتقول:

(هناك حيث تبدأ التربية، وهناك، حيث تتشكل قيمنا الأخلاقية، وهناك، حيث يتحسس البشر بيئته الاجتماعية وهنا، حيث يحتضن المودة فذلكم هو

(١) المرأة بين الدين والمجتمع للدكتور عبد الباقي: ص١١٤.
(٢) النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة للدكتورة سامية الخشاب: ص٣؛ علم الاجتماع العائلي للدكتور الوحيشي: ص٥٤.
(٣) سورة الروم: الآية ٢١.

ما ينبغي أن تكون عليه الأسرة)[١].

المسألة الخامسة: الأسرة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

بقي أن نشير إلى ما ورد في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من تعريف للأسرة

جاء في المادة ٣٦ (الفقرة الثالثة) للإعلان العالمي لحقوق الإنسان عن الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة المعلن في العشرين من ديسمبر ١٩٤٨ ما يلي:

(الأسرة هي الخلية الطبيعية الأساسية في المجتمع، ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة، ونصّت المادة نفسها على تحديد سن الزواج بالبلوغ، وعلى أن للرجل والمرأة ـ متى أدركا سن البلوغ ـ حق التزويج وتأسيس الأسرة دون قيد بالعرق أو الجنسية أو الدين. وعدم اعتبار قيد الدين يتنافى مع مقتضيات الديانات الثلاث الموحدة التي نظمت هذا النوع من الزواج فأحلّت بعضه وحرّمت بعضه.

وقد نصت المادة ١٦ من الإعلان العالمي على مساواة الذكور والإناث فيما يخص حقوق الزواج وفسخه ولم تسم هذا الفسخ باسم الطلاق وأضافت: أن المرتبطين بعلاقة الزوجية متساويان في الحقوق عند التزوج وخلال قيامه وعند فسخه)[٢].

---

(١) أزمة القيم ودور الأسرة في تطوير المجتمع، فصل: مفهوم الأسرة ووظيفتها، لعبد الهادي بو طالب: ص١٧٦.

(٢) المصدر السابق: ص١٧١.

المسألة السادسة: مفهوم الأسرة في الاتحاد الدولي لمنظمات الأسرة (U.I.O.F).

(Union Intrenationale Des Organisations Dela Famille)

جاء في المادة الأولى من المشروع الذي أعده الاتحاد الدولي لمنظمات الأسرة، تعريف جامع لمفهوم الأسرة محدّد لمسؤولياتها ووظائفها هو: (الأسرة هي العنصر الأساسي للمجتمع، يمارس أعضاؤها وظائف ولهم حقوق وعليهم واجبات.

والأسرة حقيقة واقعة لا يمكن الاستغناء عنها، وهي تضطلع بمسؤولية التربية والتكوين والتثقيف وتساهم في بناء الاقتصاد وإرساء قواعد المجتمعات.

وهي: إطار طبيعي لتوفير تربية وعيش رغيد لأعضائها، وهي: مكان متميز للتبادل والأخذ والعطاء بين مجتمعاتها)[1].

المسألة السابعة: مفهوم الأسرة في الإسلام.

وللإسلام مفهوم آخر للأسرة يتباين في الرؤى بحسب ما تمليه العناصر الثقافية والعقائدية لدى الكاتب الإسلامي.

ولذلك لم ننقل هذه المفاهيم فيما ذكرنا من تعاريف ورؤى لدى الباحثين حول مفهوم الأسرة ما يسد رمق الباحث، ولا يضفي على القارئ الإحساس بالملل.

بقي أن نعرج إلى حق القارئ علينا بمعرفة رؤية المؤلف لهذا الكتاب ومفهومه للأسرة فنقول:

---

(١) أزمة القيم، فصل: مفهوم الأسرة: ص١٧٥.

(الأسرة هي: آية من آيات الله تعالى الخَلْقية لسعادة الإنسان، وحفظ عنصره، وقطب عواطفه وبلورة إنسانيته، ومنشأ قيمه الخلقية، ونواة حسه السايكلوجي والوجداني، تنشأ من رجل وامرأة يربطهما رباط مقدس، حظي بمكانة خاصة لم يحظَ غيره من العقود والمواثيق في جميع المعاملات الفردية أو الجماعية بمثل ما خصه الله به فسماه بـ:

﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾[1].

ثم سن لهذين المتعاقدين ـ أي: الرجل والمرأة ـ نظم حياتهما، وحدّ لهما حدودهما، وأوضح لهما تعدد أدوارهما من آباء وأمهات، وما يترتب على هذه الأدوار من نظم جديدة تكفلت بحفظ العلاقة بينهما، والتي نشأت على ركيزتين أساسيتين وهما (المودة والرحمة) اللتان مصدرهما ومنشؤهما (السكن)، النفسي، والعاطفي، والجسدي.

ثم أوضح لهما: أن دورة الحياة لا تكتمل، تكاملاً يثمر ثمارا صالحة لدوام الحياة على الأرض، حياة إنسانية، ميزتها الأوحدّية هي: (الوجدان) إلا بحفظ تلك الحدود والالتزام بالواجبات قبل المطالبة بالحقوق.

فكم من علاقة أسرية تفلتت عن هذه النظم والحدود، فتمخضت عن هياكل بشرية تحمل سجايا بهيمية غاية أحدهم في الأرض أن:

﴿يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾[2].

---

(١) سورة النساء: الآية ٢١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

.يمطافلا تيبلا يف ةرسألا موهفم :ةنماثلا ةلأسملا

إن مفهوم الأسرة في بيت علي وفاطمة (عليها السلام) هي: حاضنة التكامل الإنساني، الذي يبحث عنه الرجل والمرأة كلا في الآخر.

:ىلاعتو كرابت هللا لاقف

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[1].

والذي لا يتبلور إلا بمحارة الزواج الذي شرعه الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم كي ينتج لآلئ تزهر في جيل الحياة الإنسانية.

ومن ثمّ:

فنحن في أمسّ الحاجة إلى بيت علي فاطمة (عليها السلام)، كي نفهم أسلوب الحياة الأسرية ونتعلم المناهج في استمرار هذا البناء وتواصله، وندرك سبل التوافق، والنسق العاطفي والنفسي بين الزوج والزوجة.

ونستلهم طرق التنشئة الأسرية، والمناهج التربوية الصحيحة التي خطها وسنّها كتاب الله وعترة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

وسنرى كيف تأسس البضعة النبوية (عليها السلام) المناهج والأسس في العلوم الاجتماعية والعلوم النفسية، التي سنتناولها عبر أبواب الكتاب، ونحن نطوف بين منابر علوم بيت بنت المصطفى الهادي (صلى الله عليه وآله وسلم).

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

المبحث الثاني

فاطمة (عليها السلام) الزوجة

كثيرة هي أدوار المرأة، وكثير هو عطاؤها، بل لا نبالغ إن قلنا: إنها نبع ماء ارتبطت به حياة الكثيرين من حولها.

وهنا: في هذا المبحث.. (فاطمة الزوجة) سنرى صورة الزوجة التي لم تتمكن أرقى تقنيات الحضارة من إظهارها بذلك النقاء والوضوح الذي أبداه بيت فاطمة (عليها السلام)، هذا البيت الذي سنرى فيه فاطمة وهي تؤدي دورها كزوجة، تعرف حقوقها، وتدرك واجباتها، سنراها كيف تتعامل مع هذا الوضع الجديد، فبالأمس كانت في بيت أهلها تأدّي دور البنت الذي له مسؤوليات محدودة، أما اليوم فالمسؤوليات عديدة، والحدود كثيرة، والأدوار التي تنتظرها عديدة.

ومن هنا: نرى سيدة نساء العالمين، وهي في بيت الزوجية كيف تعطي المناهج العديدة والأسس الثابتة التي يقوم عليها هذا البيت.

فهل نستطيع أن نتعلم من فاطمة هذه المناهج، كي نعلم بناتنا، وأخواتنا، ونرشد أمهاتنا ونساءنا؟

وهل ستعي المرأة من سيدة النساء عليها السلام كيف تؤدي واجباتها، وكيف توصل صوتها إلى الطرف الآخر عندما تنادي بحقوقها التي حدّها الله تعالى لها؟ والذي خلقها فأحسن خلقها وكرمها بما لا يكرمها به أحد من الخلق، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

أما ما وضعه بعض الناس من مناهج وأسس لحقوق المرأة ورسم أدوارها في الحياة، فهو في حقيقته: مناهج لإشباع الشهوات، وأسس لإرضاء الرغبات، ثم تترك المرأة في بحر عميق تتلاقفها الأمواج، تحوم حولها شباك الصيد، فلا تدري أيكون البحر وأعماقه أرحم لها، أم البر وذئابه أرفق بها؟!

فلا.. يا أختي المؤمنة، لا يصلح المرأة غير دينها، كما لا يصلح السفينة غير سفانها، وكذلك هو الرجل لا يصلحه إلا دينه.

ولكن علينا أن نفهم الدين بأخذه من أهله، (أهل الذكر)، وأن نركب السفينة التي دلّ عليها معلم البشرية ومنقذها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قائلا:

«إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى»[2].

ومن هنا: جئنا إلى بيت فاطمة عليها السلام كي نتعلم منها كيف نؤدي دورنا في الحياة، ومن بينها دورنا كأزواج، كيف نتعامل مع أزواجنا، ما هي حقوقنا؟ ما هي واجباتنا؟

كيف نتصرف إن كان الزوج مهموما؟ ماذا نصنع إن كان معسور

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٠.

(٢) كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص٣٧٨؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩، ص١٦٨؛ المعجم الصغير للطبراني: ص١١٣؛ ينابيع المودة للقندوزي: ص٢٨ و ص٢٩٨؛ رشفة الصادي للحضرمي: ص٧٩؛ الصواعق المحرقة لابن حجر: ص٩١.

الحال؟كيف نشعره بحبنا ومودتنا له؟ وأهم من هذا وذاك كيف نحفظ هذا البيت، بيت الزوجية؟

المسألة الأولى: أنّ فاطمة زوجة لعلي في الدنيا والآخرة[1]

أحببت أن يكون مدخل الولوج إلى بيت فاطمة عليها السلام يتضمن موضوعا مهما فيما يخص الحياة الزوجية، والذي قلما وجدت من يركز عليه، أو يوليه اهتماما خاصا، ــ حسبما توفر لدي من مصادر ــ ألا وهو: (استمرارية الرباط الزوجي) في الدنيا والآخرة.

إذ إن المعروف بين الناس، أو الذي جرت عليه العادة منذ أن كان هناك رباط شرعي يجمع الرجل والمرأة سواء كان هذا الجمع لشهور أو سنين عديدة، أن يحرص كلا الزوجين على أن لا يفترقا.

لكن هذا الحرص سرعان ما يتبدد أمام سلطان قاهر لا يستطيع أحد أن يقول له: لا، ألا وهو (الموت)، ولذلك سمي بمفرق الجماعات، وهادم اللذات[2].

إذ ما دام هناك ارتباط كانت هناك لذة وجدانية وهي لذة القرب والأنس، فأكثر ما يؤلم الإنسان هو الوحشة والوحدة، اللتين يسببهما الفراق.

---

(١) أنظر: قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «فاطمة زوجتك في الدنيا والآخرة»: تفسير فرات الكوفي: ص٢٧٧؛ الحدائق الناضرة للمحقق البحراني: ج٣، ص٣٨٦؛ المبسوط للسرخسي: ج٢، ص٧٢؛ بدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني: ج١، ص٣٠٦؛ حاشية رد المحتار لابن عابدين: ج٢، ص٢١٤.

(٢) هذه التسمية جاءت في حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قائلا: «أذكروا هادم اللذات».

ولذا نجد أن البعض قد أعلن حالة التمرد على الموت، ظانا أنه لا يفرق فيما بينه وبين من يحب، فتراه يرمي بنفسه في أحضانه منتحراً، دون أن يدرك أنه الأسرع في الاستجابة لهذا الموت ممن يحب.

في حين أن الموت لا يجمع تحت سلطانه الأحباب، فكم من حبيب لا يعلم عن حبيبه شيئا إذ كل إنسان مرهون بعمله، فإن جمعهما رباط الزواج في الحياة الدنيا، فسيفرقهما بعد الموت العمل، أو أن العمل هو الذي سيجمعهما، لكن يبقى الموت في عقول الناس هو المفرق.

ولذلك نجد أن الكثير من النساء والرجال، يعرضون عن الزواج بعد رحيل الزوج، أو الزوجة، حرصا على أن لا يدخل القلب زائر جديد، وحتى الذين تزوجوا بعد وفاة أزواجهنّ، أو زوجاتهم، لم يكن هذا الزواج الجديد، بحائل عن الحنين لتلك العشرة، ولم يكن هذا الارتباط بقادر على محو تلك الذكرى.

فهذا الحنين، وهذه الذكرى، لطالما أبداه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة أم المؤمنين خديجة عليها السلام فلم يُخل تعدد الزوجات من الشوق والحنين لأم الزهراء، مما أثار غيرة عائشة، كما تروي الصحاح[1].

وهذا الحنين أيضا لطالما أبداه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد استشهاد فاطمة عليها السلام، ورحيلها إلى جوار ربها وأبيها صلى الله عليه وآله وسلم.

فيناديها راثيا:

---

(١) صحيح مسلم: ج٥، ص٢٤١٩، كتاب الفضائل، باب: فضائل خديجة أم المؤمنين ـ عليها السلام ـ، حديث: ٧٦و٧٨، برقم ٢٤٣٧.

ما لي وقفت على القبور مسلما ... قبر الحبيب فلا يرد جوابي
أحبيب ما لك لا ترد جوابي ... أنسيت بعدي خلة الأحبابِ
لا خير بعدك في الحياة وإنما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي[1]

ومن أجل ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتبشير الإمام علي عليه السلام وتطمينه، بأن فاطمة عليها السلام، معه في الدنيا والآخرة.

قائلا له:

«أنت معي يا علي في قصري في الجنة مع فاطمة بنتي، هي زوجتك في الدنيا والآخرة، وأنت رفيقي»[2].

ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾

«المتحابون في الله ينظر بعضهم إلى بعض»[3].

وفي رواية أوردها ابن شهر آشوب في المناقب عن سفيان الثوري، عن الأعمش[4]، عن أبي صالح في قوله تعالى:

---

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٣، ص٢١٧.

(٢) تفسير فرات الكوفي: ص٢٢٧.

(٣) العمدة لابن البطريق: ص١٦٨؛ تفسير الفرات الكوفي: ص٢٢٧؛ بحار الأنوار: ج٣٨، ص٣٤٦، باب: أنه عليه السلام كان أخص الناس بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ مستدرك سفينة البحار للنمازي: ج٨، ص٢٤٧.

(٤) الأعمش: ترجم له السيد الخوئي قدس سره في معجم رجال الحديث: ج٩، ص٤٩٢؛ برقم ٨١٥٥، وقال عنه الشبستري: أبو محمد سليمان بن مهران الأسدي، وقيل الكاهلي بالولاء، الرازي، الكوفي، المعروف بالأعمش.

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[1].

قال (صلى الله عليه وآله وسلم):

«ما من مؤمن يوم القيامة إلا إذا قطع الصراط زوجه الله على باب الجنة بأربع نسوة من نساء الدنيا وسبعين ألف حورية من حور الجنة إلا علي بن أبي طالب فإنه زوج البتول فاطمة في الدنيا وهو زوجها في الآخرة في الجنة ليست له زوجة غيرها من نساء الدنيا، لكن له في الجنان سبعون ألف حوراء لكل حوراء سبعون ألف خادم»[2].

مسائل البحث في الحديث:

أولا: لا يحرم الله المؤمن مما بذل له من نعم الدنيا في الآخرة.

يكشف الحديث عن حقيقة غيبية تظهر حجم اللطف الإلهي بعباده المؤمنين ودوام حسنه وكرمه إليهم، ففي الوقت الذي سخر الله تعالى للمؤمن نعم الحياة الدنيا وأباح له الزواج من أربع نساء ولم يتمكن من الاستفادة من هذه النعمة والتنعم بها فإن الله يجعل له هذا المباح المبذول له في الدار الدنيا متحققاً ومنالاً في الآخرة.

فمن تزوج بواحدة من النساء في الحياة الدنيا وكانت هذه الزوجة من

من ثقات محدثي الإمامية، ومن خواص الإمام الصادق عليه السلام، وقيل من المهملين، كان مقرئاً جليل القدر، ورعا، حافظاً، مستقيم الرأي، فاضلاً أصله من دباوند من قرى الري ولد بالكوفة سنة ٦١ وتوفي بها سنة ١٤٨ هـ.

(١) سورة التكوير، الآية: ٧.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ج٣، ص٣٢٤.

أهل الإيمان والصلاح جمعهما الله في الجنة وتزوج من ثلاث نساء من نساء الدنيا كي يتحقق ما قدر الله تعالى للمؤمن من استحقاق حياتي في الدار الأولى.

ثانياً: التفاوت في عدد النساء والرجال في المجتمعات.

كما يكشف الحديث عن الحكمة في هذا التفاوت السكاني بين الرجل والمرأة؛ إذ غالباً يكون عدد النساء أكثر في جميع المجتمعات الإنسانية على الأرض، ومن ثم فكثير منهن قد لا يتنعمن بنعمة الزواج والأمومة والزوجية.

وعليه: ستعوض في الآخرة فتنال الزوجية التي حرمت منها في الحياة الدنيا.

ثالثاً: الحكمة في التعدد.

يدل الحديث على أن هذه الحقيقة الغيبية قد دل عليها أيضا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لخديجة عليها السلام حينما دخل عليها في أيامها الأخيرة وهي متهيئة للالتحاق بربها سبحانه وتعالى (فقال لها:

«بالكره مني ما أرى منك يا خديجة، وقد يجعل الله في الكره خيراً كثيراً، أما علمت أن الله قد زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون».

قالت:

«وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟».

قال:

«نعم».

قالت:

«**بالرفاء والبنين**»[1].

والحديث يكشف بوضوح عن تحقق الزواج من أربع نساء في الآخرة مع بيان مقام الشأنية للمؤمن فسيد الخلق زوجه الله سبحانه من أربع نساء من نساء الدنيا في الجنة وهن خديجة ومريم وآسية وكلثم أخت موسى وهن سيدات أهل الجنة مع خصوصية مقام خديجة عليها السلام.

رابعاً: شأنية فاطمة(عليها السلام).

يكشف الحديث عن شأنية فاطمة عليها السلام وعلو مقامها عند الله تعالى وأن ليس هناك امرأة في الدنيا ترقى إلى تلك الشأنية ولذا لا تتناسب هذه الشأنية والمقام الخاص الذي خصها الله تعالى به مع نزول ضرة فتكون مقارنة لها في الحقوق الزوجية.

بل لا يمكن أن تتحقق العدالة هنا مع ما يفرضه مقامها عند الله تعالى من حدود خاصة تتقاطع مع حقوق وجود ضرة لها.

المسألة الثانية: تقسيم مسؤوليات الحياة الزوجية بينهما عليهما السلام.

اهتمت الدراسات الحديثة بالتوافق الزواجي اهتماما كبيرا، فهي ما بين دراسة ميدانية مستفيضة في المراقبة والتحليل، وما بين نظرة موضوعية ومرجعية لأداء الباحثين.

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج١٩، ص٢٠؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩، ص٢١٨؛ المعجم الكبير للطبراني: ج٢٢، ص٤٥١؛ تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ج١٠، ص١١٩.

ومن بين هذه وتلك تبرز النظم النبوية على صاحبها وآله الصلاة والسلام، في الأسرة كأساس يقوم عليها التوافق الزواجي.

لكن تختلف الدراسات الحديثة عن النظم النبوية في الأسرة، في المنهجية: فالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد جعل التكافؤ الزواجي هو الأساس لنجاح التوافق الزواجي الذي أنتجته الدراسات الحديثة، بينما الدراسات الحديثة جعلت التوافق الزواجي هو نقطة الانطلاق وهو الركيزة التي ترتكز عليها السعادة الزوجية.

ولو رجع المعنيون بدراسة الأسرة إلى النظم النبوية لما احتاجوا إلى بذل الجهود المتواصلة لمعرفة الأسس التي يقوم عليها نجاح العلاقة الزوجية وتواصلها، وما يرتبط بها.

فالنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، بقوله:

«زوجوا الأكفاء».

يكون قد وضع للباحثين والمفكرين الحجر الأساس في نجاح العلاقة الزوجية واستمرارها.

ولذلك عندما أراد أن يزوج فاطمة عليها السلام انتظر بها القضاء؛ لأن الله عزّ وجل هو الأعلم بكفؤ فاطمة، كما مرّ بيانه في الفصول السابقة، فهذا التكافؤ فيما بين علي وفاطمة عليهما السلام كان الأساس في ظهور التوافق الزواجي ودوامه.

وقد توصّلت الدراسات الحديثة: إلى أنّ الأسس التي يقوم عليها (التوافق الزواجي) هو مفهوم الذات، وقد دلت الكتابات والدراسات التي دارت حول مفهوم الذات أنه يعد حجر الزاوية في الشخصية، وقد أصبح الآن ذا

أهمية بالغة، ويحلّ في هذه الأيام مكان القلب في التوجيه النفسي، وفي العلاج المركز حول العميل[1].

وتكمن أهمية (مفهوم الذات) في تحقيق التكافؤ المؤدي إلى حصول (التوافق الزواجي)، إذ كيف يمكن أن يتحقق التكافؤ بين الزوجين ومن ثم التوافق وكلٌّ منهما لا يعرف ولا يفهم ذاته؟ فهذه المعرفة بالذات هي التي تحدد بنجاح حالة التكافؤ الزواجي المؤدي إلى حصول التوافق في الحياة الزوجية، فكلما عرف الإنسان ذاته كلما استطاع الوصول إلى الكفؤ والنظير له.

ومن ثمّ: فعلي وفاطمة عليهما السلام كل منهما عارف بذاته، أي: (نفسه) متيقّن بكفؤ شريكه في الحياة، وعند العودة إلى النظريات الحديثة فإن نظرية (كارل روجرز) تعدّ من أبرز نظريات مفهوم الذات، حيث ينظر إلى مفهوم الذات كمفهوم متطور عن تفاعل الكائن الحي مع البيئة ولذلك يكتشف الفرد من هو؟ خلال خبرته مع الأشياء والأشخاص الآخرين.

كما يقرر (روجرز) أن كل فرد يعيش في عالم متغير من الخبرة المستمرة التي يكون هو محورها ويستجيب للمجال كما يخبره ويدركه، ويتضمن مفهوم الذات قيما عن الذات قد تكون إيجابية، أو سلبية كما يدرك أي خبرة غير متسقة مع مفهوم الذات على أنها عمل مهدد لكيانه.

ولذلك تتكون الدفاعات التي تنكر هذه الخبرات على الشعور وتصبح صورة الذات أقل انسجاما لذلك يقع الفرد في صراع ويصبح أقل تكيفا[2].

---

(١) الإرشاد والتوجيه النفسي لحامد عبد السلام: ص٢٥٨.

(٢) علم النفس الاكلينيكي لمصطفى فهمي: ص١١٦.

وهذه النظرية وإن كانت من أبرز نظريات مفهوم الذات، إلا أنها لا يمكن حملها على فهم ومعرفة ذات علي وفاطمة عليهما السلام! لأنهما ذاتان قد ذابت في الفيوضات الإلهية فلم تريا إلا الله عزّ وجل ولم تحبا سواه، ولم تعبدا إلا إياه جلت قدرته.

ومن كانت ذواتهم بهذه الكيفية فإنهم لا يكتسبون هذا الفهم عن ذواتهم من خلال تفاعلهم مع البيئة ثم يكتشفون من هم، فهم عليهم السلام قوم اختارهم الله لعبادته واجتباهم لطاعته فعرفوا ربهم من معرفتهم لنفوسهم كما نص عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**من عرف نفسه فقد عرف ربه**»[١].

ولكن أوردنا هذه النظرية وغيرها في مفهوم الذات للتدليل على أن (التكافؤ) لا يتحقق إلا بمعرفة الذات وفهمها.

ولذا قالوا: (بأن الذات في علاقة دائمة مع الآخرين قد تكون هذه العلاقة ــ علاقة ــ تعاون، أو صراع، أو تنافس، فما لم يتحقق للفرد تقدير لذاته لن يعترف بالآخرين، وما لم يقدم مصلحته الشخصية لن يهتم بالمصلحة المشتركة.

فالفردية لابد أن تكون الأساس الذي تقوم عليه الغيرية، فالذات لابد من الاعتراف بها قبل المطالبة بإنكارها)[٢].

(والذات تدرك الخبرات وتتقبلها، أو ترفضها في ضوء قيمها المعينة،

---

(١) بحار الأنوار: ج٢، ص٣٢.

(٢) علم النفس ودراسة التوافق لكمال دسوقي: ص٢٨٤.

فتسمح لما تستقبله من خبرات بالانتظام في بنائها فيقرر للشخصية الهدوء والاستقرار، أو تتبرأ من هذه الخبرات وتستبعدها من الاتساق الذاتي فيتصدع نشاطها ويصيبها القلق)[١].

أولا: كيف يتحقق التوافق الزواجي؟

كي يتحقق التوافق الزواجي، والحياة الزوجية السعيدة، لابد للزوجين أن يعملا معا على تنمية الأساليب الصحية الصحيحة في التعامل، مع الحرص على تجنب أسباب الاحتكاك ومناسبات الاختلاف الشخصي[٢].

والتوافق بصفة عامة يريده الإنسان هدفا ويتخذه وسيلة لتحقيق هذا الهدف وهو يستهدف الرضا من النفس وراحة البال، والاطمئنان نتيجة الشعور بالقدرة الذاتية على التكيف مع البيئة والتفاعل مع الآخرين، وحسن التعامل مع الغير[٣].

وهو يتضمن التحرر النسبي من الصراع والاتفاق النسبي بين الزوجين على الموضوعات الحيوية المتعلقة بحياتهما المشتركة، وكذلك المشاركة في أعمال وأنشطة مشتركة وتبادل العواطف[٤].

والتوافق الزواجي لكونه يقوم على أساس علاقة متبادلة بين زوجين لكل منهما تنظيمه الخاص للشخصية من حيث سماتها وإطارها المرجعي الذي يحدد الميول والاتجاهات والقيم وأساليب المعاملة الزوجية؛ لذا لا

(١) سيكلوجية العلاقات الزوجية للدكتور محمد بيومي: ص١٦.
(٢) سيكلوجية العلاقات الزوجية لمحمد بيومي: ص١٦.
(٣) علم النفس ودراسة التوافق لكمال دسوقي: ص٣٨٥.
(٤) الزواج والعلاقات الأسرية للدكتورة سناء الخولي: ص١٩٠.

تخلو الحياة الزوجية السعيدة من بعض الاختلافات التي تتحول بالتفاهم والمصارحة إلى مدعم جيد ومنشط بين الزوجين، وعلى قدر نجاح الزوجين في تحقيق هذه المهمة يكون التوافق الزواجي.

وقد أوضحت الدراسات المتعلقة بالتوافق الزواجي: أن التوافق الزواجي يتوقف على عوامل شخصية واجتماعية[1].

وعليه:

فلا مجال للخروج عن القاعدة التي وضعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في نجاح العلاقة الزوجية، بقوله: (زوجوا الأكفاء) والتي دارت من أجل الوصول لها أقلام الباحثين والمفكرين.

فمنهم من جعل التوافق الشخصي هو الأساس في حصول التوافق الزواجي، كالدراسة التي قام بها (هوفمان)[2].

ومنهم من جعل نجاح التوافق الزواجي متوقفاً على الأشخاص الذين يتسمون بالاتزان الانفعالي والموضوعية والاجتماعية، كالدراسة التي قام بها (بيكفورد) وآخرون، التي أجراها على عينة من المتزوجين من الجنسين[3].

ثانياً: منهاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تحقق التوافق الزواجي

والنتيجة المستقاة من هذه الأبحاث، أن التوافق الزواجي الذي ركزت عليه الدراسات لا يمكن أن يتحقق في الحياة الزوجية دون الرجوع إلى

(١) سيكلوجية العلاقات الزوجية: ص١٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سيكلوجية العلاقات الزوجية لمحمد بيومي: ص٢٩.

القواعد التي وضعها النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي ضمنت لمتبعها الحياة الزوجية السعيدة المتسمة بأعلى درجات التوافق الزواجي.

وهذه القواعد هي:

١ـ قاعدة (التكافؤ).

ويشترط أن يكون التكافؤ هو الخطوة الأولى في منهاج بناء الحياة الزوجية، وهو الركيزة التي ينطلق من خلالها الرجل والمرأة؛ إذ تنعدم مصداقية التكافؤ بعد الاقتران.

والتكافؤ لا يمكن أن يتحقق في ضوء فقدان مفهوم الذات، فكيف لمن يريد أن يجد الاحترام لذاته وهو جاهل بها؟!

وكيف يمكن أن يطلب الإنسان التواصل مع شريك الحياة وهو غير عارف بذاته؟! ومن عجز عن فهم ذاته فهو أعجز عن فهم الآخر.

ولهذا نجد أن ما ورد عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في معرفة النفس[1]، هو قطب العلاقة الناشئة بين الفرد ونفسه، وبينه والآخرين.

فمن عرف ذاته استطاع معرفة كفؤه الذي سيشاركه مسيرة الحياة الزوجية التي تتسم بالتوافق والانسجام والفهم.

٢ـ قاعدة (المودة والرحمة).

ليس من المجهول لدى جميع المسلمين أن القرآن الكريم أول ما نص في بحثه الحياة الأسرية ورسم حدودها وعوامل دوامها هما: (المودة والرحمة).

---

(١) وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من عرف نفسه عرف ربه».

(وذلك لأن هذا الأسلوب يقوم على احترام ذاتية الآخر واعتباره شريكا وليس يتابع بمعتمد على الأخذ والعطاء المتبادل، المشاركة الوجدانية، الانسجام والتفاهم، في ظل هذا الأسلوب يتم مبادلة الآراء واحترامها، وتبادل الثقة وتدعيمها، فتنمو العواطف نموا سليما، وتستقيم الحياة الزوجية ويكتب لها النجاح والتوافق الزواجي السوي)[1].

٣ـ قاعدة تقسيم مسؤوليات الحياة الزوجية بين علي وفاطمة عليهما السلام.

من الأمور التي يقوم عليها كيان الأسرة هو تقسيم مسؤوليات الحياة الزوجية، فالرجل الذي يلقي بأعباء الحياة الزوجية فوق عاتق المرأة لا يمكن له أن يضمن دوام المحبة والاستقرار في الأسرة، وفي حال تكون الزوجة من النوع الذي لا يطيق هذه الأعباء الإضافية فإن مصير هذه الحياة والعلاقة سيؤول إلى الزوال والانفصال.

وفي المقابل نجد أن الأسرة التي اتبعت منذ الأيام الأولى لتكوينها منهاج تبادل المسؤوليات تكون أسرة يطفو على وجوه أصحابها الهدوء والحيوية وفي عيونها بريق المودة وإبداء الرغبة الحقيقية في مواصلة الحياة جنبا إلى جنب.

ولذلك: نجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وضع هذا المنهاج منذ الأيام الأولى لتكوين الأسرة المحمدية صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فقد قسم (بأبي وأمي) مسؤوليات الحياة الزوجية بين علي وبين شريكة حياته فاطمة الزهراء بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

كي يحفظ لهذه الأسرة الهدوء والطمأنينة، وكي تحيا بهم المودة وتتعايش

(١) سيكلوجية العلاقات الزوجية لمحمد بيومي: ص٢٩.

معهم الرحمة، وهو ما كشفت عنه الروايات:

١ــ فقد روى الحميريّ القمي عن الصادق عليه السلام، وابن أبي شيبة عن حمزة ابن حبيب، كل بسنده، واللفظ للإمام أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عن أبيه الباقر عليهما السلام، قال:

«تقاضى عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ إِلَى رَسُولِ اللهَّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي الْخِدْمَةِ فَقَضَى عَلَى فَاطِمَةَ عليها السلام بِخِدْمَتِهَا مَا دُونَ الْبَابِ وَقَضَى عَلَى عَلِيٍّ عليه السلام بِمَا خَلْفَهُ، قَالَ فَقَالَتْ فَاطِمَةُ فَلا يَعْلَمُ مَا دَخَلَنِي مِنَ السُّرُورِ إِلاّ اللهَّ بِإِكْفَائِي رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وآله وسلم تَحَمُّلَ أَرْقَابِ الرِّجَالِ»[1].

٢ــ أخرج الكليني رحمه الله عن علي بن إبراهيم، عن ابن أبي عمير، عن هاشم ابن سالم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال:

«كان أمير المؤمنين عليه السلام يحتطب، ويستقي، ويكنس، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن، وتعجن، وتخبز»[2].

٣ــ وفي رواية، عن البزنطي، عن حماد بن عثمان، عن زيد بن الحسن، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول:

---

(١) قرب الإسناد للشيخ الحميري القمي: ص٢٥؛ وسائل الشيعة للعاملي: ج٢٠، ص١٧٢ وص٢٢٢؛ مستدرك الوسائل للميرزا النوري: ج١٣، ص٤٨ ـ ٤٩؛ المصنف لابن أبي شيبة: ج٦، ص١٠؛ الزهد لهناد: ج٢، ص٣٨٦، برقم ٧٥٠؛ حلية الأولياء: ج٦، ص١٠٤؛ المغني للمقدسي: ج٧، ص٢٢٥.

(٢) الكافي للشيخ الكليني: ج٨، ص١٦٥، باب ١٧٦؛ أمالي الشيخ الطوسي: ص٦٦١، عن: الحسن بن علي الزعفراني، عن البرقي عن ابن أبي عمير (مثله)؛ البحار للعلامة المجلسي: ج٤٣ ص١٥١، وج٤١ ص٥٤؛ المناقب لابن شهر: ج١، ص٣٧٢.

«كان علي عليه السلام أشبه الناس طعمة وسيرة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان يأكل الخبز والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم، قال وكان علي عليه السلام: يستقي ويحطب، وكانت فاطمة عليها السلام تطحن وتعجن وتخبز وترقع»[1].

ثالثاً: مسائل البحث في الروايات.

١ـ التقسيم السوي بين المسؤوليات الحياتية.

تدل الرواية بوضوح على التقسيم السوي في مسؤوليات الحياة الزوجية بين علي وفاطمة عليهما السلام، فثلاثة أعمال يقوم بها الإمام علي عليه السلام يقابلها ثلاثة أعمال تقوم بها فاطمة عليها السلام.

٢ـ مراعاة الجانب الإنساني في التقسيم.

مراعاة الجانب الإنساني في هذا المنهاج الأسري في تحمل تبادل المسؤوليات، فقد اختار عليه السلام العمل الذي يتسق ومقام الرجولة ويتلاءم مع تكوين الرجل الفاسيولوجي والسايكولوجي في آن واحد.

فالمرأة بطبيعتها البدنية والنفسية لا تنسجم مع الاحتطاب، أي: مع الحطب وحمله إلى البيت أو أن تذهب لتحمل الماء وتأتي به إلى الأسرة، فضلاً عن ما يحتاجه الإنسان من كمية الماء في استخداماته هو والأسرة مما يتطلب تكرار حمل الماء في اليوم الواحد أكثر من مرة.

(١) بحار الأنوار: ج٤١ ص١٣١.

٣ـ الحفاظ على المرأة وصيانتها.

الحفاظ على كرامة المرأة وصيانتها من التعرض لها في أثناء الخروج بالنظر والمضايقة، ولاسيما في الأماكن التي يتردد عليها المارة وطلاب الحاجة كمنابع المياه أو الأنهار، كما هو الحال في السابق.

ولكن هذه الحالة أي: تكليف المرأة بالخروج لسد احتياجات الأسرة أصبحت اليوم من الأمور المألوفة، بل إن بقاءها في الدار ربما أصبح من غير المألوف، فلا الرجال أخذت تحرص على كرامة المرأة، ولا هي أخذت تقنع بأن يكف عنها أعباء الحياة خارج المنزل.

وبين تملص بعض الرجال من أداء مسؤوليات الحياة خارج الدار، ورغبة بعض النساء بممارسة دور الرجل، يبقى أداؤها لمسؤولياتها ضمن حدود بيت الأسرة، هو أحفظ لها وأليق بأنوثتها، وأدوم بجمالها.

ولو كان القوام الجمالي يسمح للمرأة بممارسة مهام الرجل لما أسقط الله عنها الجهاد في ساحات القتال.

ولو كان القوام الجمالي يسمح للرجولة بتحميل المرأة أعباء الحياة لما كان الإمام علي عليه السلام يحمل الحطب والماء لأسرته.

٤ـ مسؤوليات الحياة داخل الأسرة لا تقل عنها في الخارج.

قد يتبادر إلى الذهن: (أن الطحن والعجن والخبز) هم جميعا لعمل واحد وهو: (الرغيف) سواء أكان من الشعير أو من القمح، وفي الواقع أنه ليكشف لنا عن صعوبة الحياة التي كانت تفرضها مسؤوليات الزواج على المرأة

داخل الأسرة في ذلك الوقت.

فالأمر لم يكن بهذا الشكل المعهود في عصرنا الحاضر الذي هيأ للمرأة ما تحتاج إليه في تأدية وظيفتها داخل البيت وهي في نفس الوقت تشكو من الصعوبة، في حال أن مجرد الحصول على رغيف الخبز كان يكلف المرأة معظم وقتها، ويستنفد جهدها.

فمن بين تنقية القمح أو الشعير إلى الجلوس أمام (الرحى) وهي تحكي في دورانها قصة المعاناة في تلك الأزمنة، إلى جمع الطحين، ثم عجنه، ثم سجر التنور والوقوف أمام لهبه وتنظيم حرارته إلى تعدد اللسعات الحارقة في اليدين وهما تصافحان جوانب التنور.

فضلاً عن التسابق مع اللهب فأما أن يسرق الرغيف من المرأة فيحرقه لها وأما أن تعرض يديها له فتنتزعه من سلطانه، كي تأتي به، أي: (الرغيف) فتضعه أمام الرجل، فكل هنيئا مريئا.

٥ـ الباعث في سرور فاطمة عليها السلام الحشمة وليس اللجوء للراحة من الخروج للسوق

إن الواضح في سياق الرواية هو تحديدها لمسؤوليات الزوج والزوجة ضمن نطاق الحياة الزوجية التي جعلها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إحدى القواعد الأسرية في تحقيق التوافق الزواجي.

وحيث أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد حدد من البدء تقسيم هذه المسؤوليات والأعمال بين الرجل والمرأة فجعل ما دون الباب وإلى داخل الدار هو من مسؤوليات المرأة وما خلف الباب (أي الخارج) هو من مسؤوليات الرجل.

فإن سرور فاطمة عليها السلام وبحسب ما يفيد سياق الرواية لم يكن لتحقق الراحة وكف العناء عنها بما يقوم به الرجل من جهد وتعب في تحمل الماء والحطب والطعام واستحصال موارد العيش.

وإنما هو لمكوثها في دارها وعدم تعرضها للتعامل مع المواطن التي تلزم وجود الرجال فيها، بدلالة استخدام النبي صلى الله عليه وآله وسلم للفظ (الباب) بكونه الحد الفاصل في تحديد هذه المسؤوليات والتي أناطها بحسب ما ينسجم مع تكوين الرجل والمرأة من الناحية النفسية والبدنية فضلاً عن انسجام هذا التقسيم مع ما يترتب على المرأة والرجل من تكاليف شرعية، كالحجاب ومخاطبة الأجنبي وغيرهما.

وعليه: يكشف سرور فاطمة عليها السلام الكبير والذي عبرت عنه بـ(فلا يعلم ما داخلني من السرور إلا الله) بسبب إعفائها من الخروج إلى خارج الدار لتقوم بما تفرضه الحياة الأسرية من تهيئة لوازم العيش.

هو لتحقق حشمتها ودفع الضرر عنها سواء كان دنيوياً أو أخروياً وهو ما ينبغي بكل امرأة ورجل الامتثال لهذا النهج المحمدي كي يضمن الزوجان حياة أسرية هادئة ومطمئنة وطاهرة تنجب ثماراً تكون ذخراً لهما في الدنيا والآخرة.

رابعاً: إعانة الزوجة في المنزل منهج حضاري.

ربما يجد البعض أن قيام الرجل بإعانة المرأة في إنجاز بعض أعمال البيت هو مما لا يتناسب مع مقامه الذكوري، بينما يجد البعض الآخر تحميل المرأة المشاق هو من نتاج فرض ذكوريته عليها.

في حين أن إسهام الزوج بالقيام ببعض أعمال البيت هو منهج حضاري يحقق للأسرة دوام المودة، ويشعر الزوجة بجو الرحمة، كما يدل على رسوخ المروءة في شخص الرجل.

وعند النظر إلى بيت فاطمة وعلي عليهما السلام نجد أن أمير المؤمنين عليّاً، كان أول من وضع هذا المنهج الحضاري في حفظ الأسرة وسلامتها.

فكان عليه السلام يعين البضعة النبوية في إنجاز بعض الأعمال المترتبة على عاتقها، فيقوم بـ(كنس الدار) كي يدل بهذا العمل الإنساني أن الدار التي تجمعه مع شريكة حياته تستحق أن يعتني بها لأنها حاضنة الحب الأسري، وهي الرمز لهذا الحب.

وهو في نفس الوقت يشير بهذا العمل إلى منهاج أخلاقي يسفر عن طباع الزوج اتجاه شريكة حياته وأم أولاده، فهذه الطباع لا يمكن أن تنكشف أو تظهر للطرف الآخر إلا من خلال المعاشرة.

وقد توصلت الأبحاث والدراسات المعاصرة: (أن الإنسان يظهر في مجرى معاشرته للناس الآخرين جوهره الأخلاقي من جهة، ومن جهة أخرى تبدو المعاشرة كوسيلة لتطوره الأخلاقي.

وعن طريق المعاشرة الحقيقية الحميمية الداخلية يحاول الإنسان التخلص من محدوديته ونواقصه وإيجاد ذاته الأخرى (atter eqo) وبسط مكامن روحه أمامه)[1].

(١) أخلاقيات المعاشرة لـ(غ.ب.بوتيليكو): ص٢٨، ترجمة يوسف إبراهيم الجهماني ط دار حوران بدمشق.

وقد دلت: (أن أساليب التعامل التي تنشأ في الأسرة منذ مستهل الحياة الزوجية هي بمثابة العوامل الحاسمة التي تعمل على بقاء الأسرة أو انحلالها)[1].

بينما عدّت بعض الدراسات أن (الارتباط السيكلوجي والروحي يتوطد بين المحبين بالزواج مقترضاً قدرة عند كليهما للاعتناء أحدهما بالآخر ومساعدته، واحترام مشاعر الأسرة، ووجود قدرة أيضا على تبادل تحمل المسؤوليات)[2].

في حين أن: (الناس المحدودين روحيا وغير المستعدين للزواج الأخلاقي، لا يستطيعون تحمل هذه المسؤولية أو امتلاك هذه القدرات)[3].

وكفى بالباحث المتبع لسبل السعادة الزوجية بالنظر إلى منهاج علي وفاطمة عليهما السلام في تبادل تحمل مسؤوليات الحياة الزوجية، وكفى ببيت فاطمة دلالة على نمو التوافق الزواجي في جميع جوانب الحياة الأسرية.

وذلك من خلال مجموعة من الصور الحياتية التي دلت عليها الروايات وهي كالآتي:

١ـ رعاية الإمام علي لفاطمة عليهما السلام وإيثارها على نفسه في تحمل عمل البيت.

من الصور الحياتية الكاشفة عن طبيعة التعامل فيما بين علي وفاطمة

(١) الزواج والاستقرار النفسي لزكريا إبراهيم: ص٧١ـ٨٢، وعنه: محمد بيومي، سيكلوجية العلاقات الزوجية: ص١٦.

(٢) أخلاقيات المعاشرة (لبوتيليكو): ص٣٥ ط دار حوران بدمشق.

(٣) المصدر السابق.

عليهما السلام التي تقدم أنموذجاً جديداً في رفع مستوى الحب والمودة فيما بين الزوجين هو قيام الزوج بإيثار زوجته على راحته وحرصه في استحصال راحتها على الرغم من احتياجه إلى ذلك وهو ما كان مخالفاً ـ ربما ـ لكثير من الأعراف الاجتماعية لدى الناس؛ إذ غالباً من يقوم بالإيثار المرأة فهي تقدم راحة زوجها على راحتها لاسيما إذا كانت هذه المرأة قد نشأت في بيئات ذكورية أي: طغيان الجانب الرجولي على الجانب الأنوثي الذي يلقي بجل أتعابه على كاهل المرأة.

في حين نجد أن بيت علي وفاطمة عليهما السلام يعطي أنموذجا أخلاقياً ينطق عن روح القرآن والإسلام الذي يقدم المرأة في مجال الرفق والعطف والرأفة على الرجل ضمن قاعدة نبوية متوغلة في سيوكولوجية المرأة، فيقول صلى الله عليه وآله وسلم:

«المرأة ريحانة وليست قهرمانة».

ومن هذا النهج النبوي في التعامل مع المرأة ينطلق الإمام علي عليه السلام وهو التلميذ المطيع والمتبع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تعامله مع زوجته وشريكة حياته.

فقد روى شاذان بن جبريل القمي رحمه الله قائلاً: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على علي وفاطمة (وهما يطحنان الجاورس[1])، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) الظاهر أن العبارة: يطحنان بالجاورس، والجاورس: جسم مجوف من حديد أو نحاس يضرب بمدقة يوضع في داخله الحب فيدق ليطحن.

«**أيكما أعيا؟**».

فقال علي عليه السلام:

«**فاطمة يا رسول الله**».

فقال لها:

«**قومي يا بنية**».

فقامت، وجلس النبي صلى الله عليه وآله وسلم موضعها مع علي فواساه[1] في طحن الحب).

وتدل الرواية أيضاً:

ألف: حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتساوي لهما وحرصه على إعانة المتعب منهما، سواء كان علي أو فاطمة عليهما السلام، في حين يكون الأمر لدى أغلب الناس تقديم الأب ابنته على زوجها لأنها الأقرب إلى قلبه فضلاً عن عاطفة الأبوة لكننا هنا: نلمس حب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المتساوي لهما، وهذا فيما يخص حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم من موضع النبوة لهما.

باء: أما فيما يخص موضع التربية الأسرية فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقدم درساً تربوياً للآباء حينما يقومون بزيارة بيوت أبنائهم أو بناتهم أن يعتمدوا أعلى استخدام هذا الأسلوب التربوي الكاشف عن إظهار الحب لكلا الزوجين مما يعزز أوامر المودة فيما بين الأسرة فضلاً عن دفع الهواجس النفسية الغالبة أحياناً كثيرة في إشعار الطرف الآخر في تحميل المرأة فوق طاقتها.

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين لشاذان بن جبريل القمي: ص٥٦.

جيم: امتثال فاطمة عليها السلام لكلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيامها دون أن تبادل علياً عليه السلام هذا الإيثار كان للأمور، منها:

١ـ طاعة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«قومي يا بنية».

فكان الامتثال أمراً واجباً.

٢ـ إن الجانب الأنوثي في المرأة يدعوها بإشعار الزوج بأنها تستظل بظله ولا غنى لها عن عونه ورعايته ومن ثم سكوتها كاشف عن أنوثتها وتغليب هذه الصفة على غيرها من المشاعر كإظهار الرغبة في تحقيق راحة الزوج لاسيما إذا كان الأمر لا يشكل في الواقع عبئاً على الرجل أو يستلزم منه بذل جهود كبيرة كطحن الحب بالجاروس.

٣ـ حقيقة حالها عليها السلام أنها كانت قد تعبت إلا أنها لم تجد من يعين عليّاً عليه السلام إذا قامت ولذا كانت أيضا قد آثرت علياً مع احتياجها للراحة.

٢ـ تعظيم حق الأسرة وتهذيب النفس على خدمة العيال عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ التتبع للروايات التي تتحدث عن طبيعة الحياة الزوجية لفاطمة عليها السلام يكشف عن برنامج نبوي مقتضب يتابع فيه أسلوب التعايش والمعاشرة فيما بين هذين الزوجين لغرض خلق البيت الأنموذج في الإسلام.

ولذا: ما فتئ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من تعدد زياراته لبيت فاطمة وكثرة متابعته للحياة الأسرية الجديدة.

من هنا:

إنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يستغل تلك اللحظات التي يدخل فيها إلى بيت علي وفاطمة كي يضع الأسس والضوابط في تفتين تلك الحياة ويرسم لكل منهما حدود ذلك التعايش المبني على قاعدة الحقوق والواجبات وقاعدة العرض والطلب.

ومن ثمّ: سنجد في هذه الصورة التي سنوردها مجموعة من المعطيات سواء على المستوى الامتثالي بمن سبق من الأنبياء عليهم السلام أو على المستوى التهذيبي للنفس أو المستوى الإيماني ممثلاً في الأجر والثواب، أي تعزيز الشعور بمراقبة الباري عزّ وجل حرصاً على نيل الرضا منه سبحانه وتعالى.

فقد روى المحدث النوري نقلاً عن جامع الأخبار، عن علي عليه السلام قال:

«دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهَّ صلى الله عليه وآله وسلم وَفَاطِمَةُ عليها السلام جَالِسَةٌ عِنْدَ الْقِدْرِ وَأَنَا أُنَقِّي الْعَدَسَ، قَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهَّ، قَالَ: اسْمَعْ وَمَا أَقُولُ إلاّ مَا أَمَرَ رَبِّي، مَا مِنْ رَجُلٍ يُعِينُ امْرَأَتَهُ فِي بَيْتِهَا إلاّ كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ عَلَى بَدَنِهِ عِبَادَةُ سَنَةٍ صِيَامُ نَهَارِهَا، وَقِيَامُ لَيْلِهَا وَأَعْطَاهُ اللهَّ مِنَ الثَّوَابِ مَا أَعْطَاهُ اللهَّ الصَّابِرِينَ، وَدَاوُدَ النَّبِيَّ، وَيَعْقُوبَ، وَعِيسَى، عليهم السلام.

يَا عَلِيُّ مَنْ كَانَ فِي خِدْمَةِ عِيَالِهِ فِي الْبَيْتِ وَلَمْ يَأْنَفْ كَتَبَ اللهَّ اسْمَهُ فِي دِيوَانِ الشُّهَدَاءِ وَكَتَبَ اللهَّ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثَوَابَ أَلْفِ شَهِيدٍ وَكَتَبَ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ ثَوَابَ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ وَأَعْطَاهُ اللهَّ تَعَالَى بِكُلِّ عِرْقٍ فِي جَسَدِهِ مَدِينَةً فِي الْجَنَّةِ.

يَا عَلِيُّ سَاعَةٌ فِي خِدْمَةِ الْبَيْتِ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفِ حَجٍّ، وَأَلْفِ عُمْرَةٍ، وَخَيْرٌ مِنْ عِتْقِ أَلْفِ رَقَبَةٍ، وَأَلْفِ غَزْوَةٍ، وَأَلْفِ مَرِيضٍ عَادَهُ، وَأَلْفِ جُمُعَةٍ، وَأَلْفِ جَنَازَةٍ، وَأَلْفِ جَائِعٍ يُشْبِعُهُمْ، وَأَلْفِ عَارٍ يَكْسُوهُمْ، وَأَلْفِ فَرَسٍ يُوَجِّهُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَخَيْرٌ لَهُ مِنْ أَلْفِ دِينَارٍ يَتَصَدَّقُ عَلَى الْمَسَاكِينِ، وَخَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَقْرَأَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ وَالْفُرْقَانَ، وَمِنْ أَلْفِ أَسِيرٍ اشْتَرَاهَا فَأَعْتَقَهَا، وَخَيْرٌ لَهُ مِنْ أَلْفِ بَدَنَةٍ يُعْطِي لِلْمَسَاكِينِ، وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَرَى مَكَانَهُ مِنَ الْجَنَّةِ.

يَا عَلِيُّ مَنْ لَمْ يَأْنَفْ مِنْ خِدْمَةِ الْعِيَالِ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، يَا عَلِيُّ خِدْمَةُ الْعِيَالِ كَفَّارَةٌ لِلْكَبَائِرِ، وَيُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَمُهُورُ حُورِ الْعِينِ، وَيَزِيدُ فِي الْحَسَنَاتِ، وَالدَّرَجَاتِ، يَا عَلِيُّ لاَ يَخْدُمُ الْعِيَالَ إِلاّ صَدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ أَوْ رَجُلٌ يُرِيدُ اللهُ بِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[1].

والرواية ـ كما أسلفنا ـ تعطي جملة من المعطيات النبوية في تحديد نظام هذه الحياة الأسرية وتقنين حالة التعايش الحياتي بين الرجل والمرأة، وهي كالآتي:

ألف: مداومة الإمام علي عليه السلام على إعانة فاطمة عليها السلام في عمل البيت لاسيما في إعداد الطعام.

إن أول أمرٍ ترشدنا إليه الرواية هو مداومة الإمام علي عليه السلام على إعانة زوجته في عمل المنزل وذلك من خلال دلالة الروايات في بيانها لهذه الصورة عند كل دخول لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيت فاطمة

(١) مستدرك الوسائل للميرزا النوري: ج١٣، ص٤٨ ـ ٤٩، برقم (١٤٧٠٦)٢.

عليها السلام، فمرة يدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيجد عليا جالسا يطحن الحب بالجاورس ويعين فاطمة ومرة أخرى يدخل عليها فيجده يعينها في أمر الطبخ فينقي لها العدس.

مما يدل بوضوح على أن وقوف الزوج في المطبخ لإعانة زوجته في إعداد الطعام لم يكن من إفرازات الحداثة ولم يبتكره الحداثيون وإنما هو من صميم التربية الأسرية الإسلامية المخصوصة في بيت علي وفاطمة عليهما السلام.

بل إن ما قدِم إلينا من ثقافة أسرية ينادي بها أهل الاختصاص في علم الاجتماع بأنها نتاج جهد ودراسة متواصلة في رصد طبيعة العلاقة الزوجية وتقويمها فكان من بينها إعانة الزوج لزوجته في عمل المنزل هو في حقيقته جهد مسروق من الثقافة الإسلامية كان المسلمون الذين تخلفوا عن مدرسة أهل البيت عليهم السلام هم المسؤولين عن تغييب هذه الثقافة عن المسلمين وهم المسؤولين عن سرقته فيما لو أردنا أن نضع ذلك المنهج ضمن حقوق الملكية الفكرية لبيت فاطمة عليها السلام.

وعليه:

ينبغي بأهل الاختصاص في التربية والنفس والاجتماع وعلى رأسها علم الأخلاق الرجوع إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام لأخذ المعلومة الصحيحة فيما يبحثون عنه في مجالات بحثهم ودراستهم.

باء: حرص الشريعة المقدسة على حفظ الأسرة وصيانتها

يرشدنا قول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم حينما خاطب الإمام عليّاً عليه السلام قائلا:

«يا أبا الحسن، قلت لبيك».

قال:

«أسمع وما أقول إلا ما أمر ربي».

يرشدنا إلى أن الأسرة في الشريعة الإسلامية لها من الحرمة الخاصة ما جعلت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقدّم هذه المقدمة في كلامه مع علي عليه السلام قبل أن يبدأ في بيان ما للرجل من الأجر والثواب والمنزلة عند الله تعالى فيما لو أعان زوجته وعياله.

وإلاّ كان يمكن أن ينتقل مباشرة بعد رؤيته لعمل الإمام علي عليه السلام وهو جالس ينقي العدس لفاطمة وهي واقفة بجانب القدر، إلى المباشرة في ذكر ما للرجال من الأجر والثواب عند الله تعالى.

ولكن أراد صلى الله عليه وآله وسلم أن يقدّم حرمة الأسرة في الشريعة وحرصها الكبير على حفظها وصيانتها قبل التسلسل في بيان الأجر والثواب كي يعيَ المتتبع لسيرة أهل البيت عليهم السلام حجم هذه النعمة ويدرك خطورتها في بناء المجتمعات الإنسانية، ولذا اهتم بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل هذا الاهتمام فقدم لها هذه المقدمة في حديثه مع الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

جيم: اهتمام الشريعة بالتربية النفسية الأسرية من خلال تهذيب الأنا الذكورية.

ثم ينتقل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بعد بيانه لحرمة الأسرة وحرص الشريعة على صيانتها وتعظيم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها، ينتقل إلى مرحلة جديدة في هذا البيان وهو اهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم

بالتربية النفسية الأسرية من خلال تهذيب الأنا الذكورية فيقول:

«ما من رجل يعين امرأته في بيتها إلا كان له بكل شعرة في بدنه عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله من الثواب ما أعطاه الله الصابرين».

واختصاص الرجل المعين لزوجته بثواب الصابرين لكونه مخالفاً للطبيعة الذكورية، بمعنى آخر اعتياد الرجل من وحي الأنا الذكورية على العمل والجهد خارج البيت وبما يتناسب مع تكوين الرجال فضلاً عن إظهار مظاهر الرجولة التي تفرض بطبيعتها عليه التحكم والقيمومية ومن ثم لا تسمح تلك الأنا للرجل بمزاولة أي عمل يدخل ضمن حدود عمل المرأة.

ومن ثم يشعر الرجل بأن وقوفه إلى جانب امرأته هو إعانته لرجولته وهو الذي يفترض أن يزاول الأعمال الصعبة والشديدة التي لا قدرة للمرأة على الإتيان بها.

وعليه:

أن يصبر الرجل على ترويض نفسه وتهذيبها عبر التنازل عن ذكوريته والنظر إلى الرحمة والرقة وبناء حياة مطمئنة تنعكس على الأبناء فينهضون لبذل التعاون فيما بينهم فضلاً عن الاهتمام بالوالدين.

مما يترجم إلى عمل دؤوب في بناء العلاقات الاجتماعية التي قوامها التعاون والمشاركة.

دال: ما هي الحكمة في ذكر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء الأنبياء الثلاثة (أيوب، ويعقوب، وعيسى عليهم السلام) وما علاقتهم بإعانة الرجل لامرأته.

يحدد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ثلاثة من الأنبياء عليهم السلام في إحراز الرجل الذي يعين امرأته لثواب عملهم فما هي الحكمة في هذا التحديد، فهل أن بقية الأنبياء لم يكونوا يعينون عيالهم، أو أن الأمر له وجه آخر من الحكمة.

ونقول:

نحن نؤمن بأن جميع الأنبياء هم على خلق واحد لأنهم مبعوثون من قبل إله واحد هو الله الواحد الذي لا شريك له ومن ثم لا يمكن حصول اختلاف في أخلاقهم.

فالأسرة والمرأة والأولاد هم جميعاً لهم حرمة عندهم وإن الإنفاق عليهم وإعانتهم وحفظهم من أساسيات الشريعة سواء كانت عند داود أو أيوب أو عيسى أو موسى أو غيرهم سلام الله عليهم أجمعين.

أما الحكمة في ذكر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لهؤلاء الأنبياء الثلاثة فهي لما يلي:

١. أما ما يخص نبي الله داود عليه السلام فلكونه كان يعمل في صناعة الدروع وهو ما جاء في قوله تعالى:

﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾[1].

وهذا فيها دلالات عديدة تتناسب مع عمل الرجل في إعانة عياله وامرأته وذلك من خلال:

ألف: هذا التعاون بين الرجل والمرأة يقي الأسرة من التصدع إذ يترك

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٠.

وقوف الرجل بجانب زوجته وإعانتها أثراً كبيراً في شد أواصر المحبة ودوام الألفة ومن ثم ستكون هذه الأسرة محصنة.

باء: قد لا يخفى أن التعامل مع الحديد كما كان يصنع داود عليه السلام يتطلب جهداً كبيراً وصبراً أكبر كي يصل عليه السلام إلى إخراج الدرع وهكذا يكون عمل الرجل داخل البيت في إعانة المرأة فهو يتطلب جهد كبيراً في تهذيب النفس لما تفرضه طبيعة الرجل من أنفة في العمل داخل البيت ولذا يحتاج إلى صبر أكبر كي يصل الرجل إلى هدفه في تحصين أسرته.

جيم: لوجود التقابل في الدلالة اللفظية بين المرأة والدرع فكلاهما من اللباس الذي يلبسه الرجل والمرأة.

كما دلّ عليه قوله تعالى:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[1].

وهناك قال سبحانه:

﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾.

كما أن المرأة لها نوع خاص من أنواع الملابس التي تتستر بها وهي المدرعة.

٢. أما ما يخص نبي الله يعقوب عليه السلام فلكونه كان كثير العيال، وكثرة العيال تستلزم بذل جهود كبيرة في تنشئتهم ورعايتهم؛ فضلاً عن أنه قد ابتلي بفقدان أحد أبنائه وغيابه عنه فبات لفقده جاري الدمعة عظيم الحزن.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.

مما يعني أنه قد قدم صورة رائعة في تمثيل الجانب الأبوي والإنساني المتفرد في حب الوالد لولده.

أي: بيان حالة أنموذجية في التماسك العاطفي الوالدي.

٣. أما ما يخص نبي الله عيسى عليه السلام فهو لدوره المتميز في بيان حالة أسرية خاصة قد أكدت عليها الشريعة المقدسة من آدم وإلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ألا وهو بر الوالدة.

أي: يدور الأمر أيضاً في هذه الصورة الحياتية لأحد الأنبياء عليهم السلام في تكوين الأسرة وحرمة العائلة كما كان لداود ويعقوب وعيسى عليهم السلام.

قال تعالى:

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾[1].

فالقرآن الكريم يتحدث في معرض بيانه لسيرة نبي الله عيسى عليه السلام عن دور الأم وما تفرضه الأمومة من جهد وجهاد وتعب منذ اللحظات الأولى للحمل وإلى يوم المخاض والولادة ثم السهر والمثابرة والاجتهاد في رعاية المولود إلى حين يصبح رجلاً كل هذه الرحلة يستعرضها القرآن من خلال جوانب متعددة في حياة نبي الله عيسى عليه السلام.

ولذا مثلما أوصاه الله بالصلاة والزكاة كذاك أوصاه بما يوازي ذلك، أي الصلاة والزكاة، وهو البر بوالدته.

(١) سورة مريم، الآية: ٣٢.

فكان كل رجل يقوم بإعانة زوجته لاسيما في مرحلة الحمل وما بعدها ينال من الثواب المعدود للأبرار بالوالدين كما كان عيسى عليه السلام.

هاء: النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يخصص ساعة في اليوم لخدمة العيال.

من المناهج التربوية في صلاح الأسرة وبنائها التي تضمنتها الرواية الشريفة وضعه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من منهاج للرجل في تخصيص ساعة في كل يوم يتفرغ فيها في خدمة البيت.

فقال:

«يا علي ساعة في خدمة البيت خير من عبادة ألف سنة وألف حج وألف عمرة وخير من عتق ألف رقبة وألف غزوة، وألف مريض عاده، وألف جمعة، وألف جنازة، وألف جائع يشبعهم، وألف عار يكسوهم، وألف فرس يوجهه في سبيل الله، وخير له من ألف دينار يتصدق على المساكين وخير له من أن يقرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ومن ألف أسير اشتراها فأعتقها وخير له من ألف بدنة يعطي للمساكين ولا يخرج من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة»[1].

واو: التهذيب النفسي قبل التنفيذ العملي.

يسعى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خلال هذا المنهاج في التربية الأسرية إلى خلق نموذج متميز من الرجال الذين تجتمع فيهم بحكم وجودهم في الأسرة صفة الرجولة والقيمومية والوالدية ومن ثم يلزم أن يكون

(١) جامع الأخبار: ص١٠٢ ـ ١٠٣.

هؤلاء الرجال صورة أنموذجية في هذا التكوين الإنساني الممثل بالأسرة.

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن يقدم كل تلك الحوافز والدوافع الترغيبية في خلق هذا الأنموذج الأسري، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم يتدرج في هذا المنهاج ليصل بالقارئ إلى رتبة خاصة بالرجل ومرتبطة بتهذيبه نفسياً، أي إرجاع الأمر إلى التربية النفسية قبل أن تكون في التربية الأسرية.

بمعنى: من لم يدفعه المحفز الأخروي في استحصال الأجر في خدمة العيال ورعايتهم فلا أقل أن يحظى هذا الرجل بجانب من التربية النفسية.

بمعنى آخر:

إن المانع الذي يمنع الرجل من السعي في استحصال الأجر الأخروي هو محصور بين أمرين؛ إما أن هذا الرجل يحتاج إلى التهذيب النفسي كي يتسنى له التنفيذ العملي في رعاية الأسرة وإما أنه من الأساس قد رقى إلى رتبة كمالية وأخلاقية متسامية ولذا فهو لا ينظر إلى الأجر الأخروي بقدر ما تدفعه سجيته الأخلاقية ورتبته الإيمانية إلى المضي في هذا العمل داخل الأسرة كما سيمر في الفقرة اللاحقة.

وعليه:

نجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجعل الممتنع من رعاية العيال في رتبة المريض نفسياً ومن ثم يحتاج إلى علاج، وهو ما دل عليه قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا علي من لم يأنف من خدمة العيال دخل الجنة بغير حساب».

بمعنى: أن هذا الإنسان الذي قدم على خدمة عياله هو في الحقيقة

صحيح نفسياً ومن كان يأنف أي: يستنكف، فإنه مريض ومن ثم عليه أن يسعى في تغيير أخلاقه ويقوم بتهذيب نفسه.

فضلاً عن ذلك:

فإن مجرد انتفاء الأنفة عن النفس حتى ولو لم يقم الإنسان في خدمة عياله لظروف عمله وصحته إلا أنه في حقيقة الحال لا يأنف من خدمتهم، ولذا فهو يؤجر على ذلك لانتفاء هذه الصفة السلبية عنه.

زاي: خدمة الرجل لعياله كاشفة عن مستواه الخلقي ومنزلته الإيمانية.

يختم النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حديثه حول هذا المنهاج التربوي للأسرة ببيان حال الرجل الذي يقوم بخدمة عياله ويكشف عن منزلته الإيمانية فيقول:

«يا علي لا يخدم العيال إلا صدّيق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة».

بمعنى: أن خدمة العيال لها كاشفية عن حال الإنسان ومستواه الإيمان ومن ثم يمكن أن يستدل الإنسان سواء كان هو الذي قد قام بهذا العمل، أي: خدمة العيال أو من عايشه على حقيقة نفسه ودرجة إيمانه فليس لكل رجل أن يقوم بهذا العمل فقد أنيط بمن خصهم الله بلطفه.

وعليه: لزم من المسلم أن يهذب نفسه على السعي في خدمة عياله وأن يخصص لهم من وقته ولو ساعة وأن يحرص على هذه الخدمة فهي فضلاً عن ما ادخرته من أجر وثواب تقود الإنسان إلى الرقي والرفعة ليصل إلى تلك الرتبة التي كشف عنها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهي أن يكون (صدّيقا أو شهيداً أو رجلاً يريد الله به خير الدنيا والآخرة).

المسألة الثالثة: كشفها لهموم زوجها.

لو أردنا الحديث عن هموم الرجل وأسبابها لطال بنا المقام، ولخرجنا عن حدود الموضوع الذي من أجله نواصل البحث، وهو دور فاطمة عليها السلام في الحياة الأسرية كزوجة.

ولكن لو أردنا الحديث عن كشف هذه الهموم، فلربما لن نجد هناك شيئاً أسرع وأقوى أثرا وتأثيرا من المرأة.

فالمرأة هي الدواء السحري، وهي صمام الأمان الذي يتحكم بالضغط النفسي للرجل، وهي الكاشف الوحيد لتلك الغيوم المتلبدة في فضاء الروح، ولا نبالغ إن قلنا إنها الوحيدة القادرة على تحويل هذه الغيوم إلى سحب تحمل الغيث والماء الذي يجدد حياة الرجل، فتراه يمطر همة وثقة بنفسه، وحيوية عالية تسخّر جميع قدراته الروحية والبدنية، فتراه يجعل من الخسارة ربحا، ومن التأخر تقدماً، ومن الهزيمة نصرا.

وتلك صفحات التاريخ قد ملئت بنماذج متعددة لما أسلفنا، بل إنك أيها القارئ الكريم: لتجد صورا أخرى تحكي، أن المرأة، وإن كانت في تلك الأدوار والأثر فهي أيضا موضع هبوط الهمة، وعنوان الفشل لكثير من الرجال.

لكن هذا لا يغير من حقيقة كونها الشيء الوحيد الذي يكشف هموم الرجل وأن تعددت هذه الهموم بتعدد أسبابها، وهي أيضا الشيء الوحيد الذي تجتمع فيه جميع معاني السكن، الذي جاء به الوصف القرآني، قال تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ

بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1].

ولذلك قد نجد أن كثيراً من الرجال ربما يعيشون ويسكنون أرقى الدور، وأجمل القصور لكنهم في سكنهم هذا مضطربون؛ لأنهم فاقدون لسكن الروح والنفس، أنهم فاقدون للزوجة، بينما تجد الكثير لا يستظل إلا بسقف متهاوٍ، وجدران ضعيفة، لكنه مطمئن ساكن النفس لوجود زوجة تشاطره الحياة.

ومن معاني السكن القرآني: أن المرأة هي الحاضنة التي يزرع فيها الحب، فبغيرها لا يمكن أن تجد الدفء، ولا الجو، ولا الظرف الملائم للحب.

(فهو بالنسبة للزوجين غذاء روحي لا يقل أهمية ولا يقل خطورة لنفس كل من الزوجين، وكلما كان الحب الذي يسود الحياة الزوجية هو الواقعي الإنساني المتزن، ارتفع مؤشّر السعادة في الأسرة.

والحب المتزن قوامه قلب متعاطف وعقل متفاهم وجسم متجاذب، وهو أشبه بالمثلث الدائم المتلاقية أضلاعه فتعاطف القلبين بين الزوجين ضرب من ضروب ا لحب المتبادل بينهما، ومن آيات التعاطف بين الزوجين ذلك الحنين الذي يشعر به كل منهما في غيبة الآخر)[2].

ومن آيات الحب هو كشف هموم الزوج، وتسكين آلامه على الرغم من وجود هموم قد تثقل عاتق المرأة، وأحزان قد تنهك قواها لكنها هي السكن

(١) سورة الروم: الآية ٢١.

(٢) الصحة النفسية للحياة الزوجية، لصالح عبد العزيز: ص٢٣٩ ط الهيئة المصرية العامة لسنة ١٩٧٢م.

النفسي والنبع العاطفي لكل من يحيط بها، فمنها يتعلم الأبناء معاني المودة والرحمة، ليكونا كما كانت أمهم لأبيهم.

ونحن عندما نركز الضوء على المرأة دون الرجل، فذلك التركيز أصله القرآن وتطبيقه العترة الطاهرة عليهم السلام.

فنموذج العلاقة الأسرية تجده في بيت علي وفاطمة عليهما السلام، وأسس التوافق والتواصل الزواجي نأخذه من بيت علي وفاطمة عليهما السلام، وتعلم الحب الحقيقي الذي تتجلى فيه معاني المودة والرحمة تجده في هذا البيت، الذي فيه كل مصاديق السكن الروحي والنفسي والإيماني.

ويكفي من الشواهد على كيفية كشفها لهموم وأحزان علي عليهما السلام، هو ما أخرجه السيد ابن طاووس، وأبو عيسى الترمذي، والفقيه الشافعي ابن المغازلي[1] مختصرا، وغيرهم في حديث المؤاخاة: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار، وعلي واقف يراه ويعرف مكانه، لم يواخ بينه وبين أحد، فانصرف علي عليه السلام باكي العين فافتقده النبي

(١) هو الحافظ الفقيه المحدّث: أبو الحسن، أو أبو محمد، علي بن محمد بن محمد بن الطيب الجلابي الواسطي، الشافعي، الشهير بابن المغازلي، مؤرخ واسط وخطيبها، ترجم له ابن حجر في (تبصير المنتبه بتحرير المشتبه)، ترجمة ١/ ٣٨٠ بتحقيق علي محمد البجاوي ط الدار المصرية للتأليف، وسبب تسميته بـ(ابن المغازلي) يعود إلى أن أجداد المصنف كان نزيلا بمحلة المغازليين بواسط فنسب إليها، ذكر ذلك السمعاني في: الأنساب ط مرجليوث ورقة ١٤٦، ولد بواسط العراق، وتلقى العلم فيها على أبيه القاضي محمد بن محمد الطيب الذي كان من أفاضل علماء واسط، وكان قاضي المرافعات بها كما أخذ وروى عن كثير من الثقات الأثبات، حملة الحديث، ذكره المرتضى الزبيدي في تاج العروس، وقال إنه توفي سنة ٥٣٤هـ التاج ١/ ١٨٦ الطبعة المصرية سنة ١٣٠٦هـ بينما أرجع السمعاني وفاته إلى سنة ٤٨٠هـ.

صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

«ما فعل أبو الحسن؟».

قالوا: انصرف باكي العين يا رسول الله.

قال:

«يا بلال اذهب فأتني به».

فمضى بلال إلى علي عليه السلام وقد دخل إلى منزله باكي العين.

فقالت فاطمة:

«ما يبكيك لا أبكى الله عينيك؟»

قال:

«يا فاطمة آخى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعرف مكاني، ولم يواخ بيني وبين أحد».

قالت:

«لا يحزنك إنّه لعله أدّخرك لنفسه».

قال بلال: يا علي أجب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأتى علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما يبكيك يا أبا الحسن؟».

قال:

«آخيت بين المهاجرين والأنصار يا رسول الله وأنا واقف تراني وتعرف مكاني ولم تواخ بيني وبين أحد؟».

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنما ادخرتك لنفسي، ألا يسرك أن تكون أخا نبيك؟».

قال:

«بلى يا رسول الله أنى لي بذلك؟».

فأخذ بيده فأرقاه المنبر وقال:

«اللهم هذا مني وأنا منه إلا إنه مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا علي مولاه»[١].

وحديث المؤاخاة من الأحاديث المشهورة وقد تناقلته حفاظ المسلمين بأسانيد صحيحة وطرق عديدة[٢].

---

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٣٧ ص١٨٦-١٨٧.

(٢) راجع حديث المؤاخاة بين علي ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المصادر التالية: صحيح الترمذي، كتاب المناقب: ج٥، ص٤٥٤، حديث٣٧٢٠؛ تلخيص المستدرك للذهبي مطبوع بذيل المستدرك؛ كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ص١٩٤؛ مصابيح السنة للبغوي الشافعي: ج٢، ص٢٧٥؛ الصواعق المحرقة لابن حجر: ص١٢٠؛ مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لابن المغازلي: ص٣٧، ح٥٧و٥٩، وفي ط منشورات دار مكتبة الحياة جاءت الأحاديث في الصفحة: ٤٤-٤٤؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١٧٠؛ أسد الغابة: ج٤، ص٢٩؛ تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي الحنفي: ص٢٤؛ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ص٥٦؛ الشافعي: ص١٤٠، وبهامشه إسعاف الراغبين: ص١٤٠؛ نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ص٩٤؛ ترجمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي: ج١، ص١٠٣، ح١٤٣و١٤٥و٢٤٦؛ جامع الأصول لابن الأثير: ج٩، ص٤٦٨؛ الرياض النضرة للطبري: ج٢، ص٢٤٢و٢٧٧؛ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ص٢١؛ مستدرك الحاكم: ج٣، ص١٤؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج٩، ص١١٢؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج١٨، ص٢٤؛ السيرة النبوية لابن هشام: ج٢، ص١٠٨؛ مقتل الحسين للخطيب الخوارزمي الحنفي: ج١، ص٤٨؛ الطبقات

ومن خلاله يظهر لنا الأسلوب الجمالي الذي اتخذته البضعة النبوية في استدراك الموقف وتهوين الأمر الذي لحق بأمير المؤمنين علي عليه السلام، فكانت كلماتها بلسماً يرطب القلب ويخرج الهم ويزيل الحزن عن علي عليه السلام.

ومن ناحية أخرى يكشف عن دقة تقييمها للأمور، وحسن معرفتها ببواطن الحوادث.

وأخيرا: قد أعطت درسا لكل امرأة تتعلم من خلاله كيفية التعامل مع الزوج عندما يعود إليها مهموما حزينا متكدر الحال، فأي هم يبقى في نفس الرجل وهو يسمع زوجته تستقبله بهذا الحب واللطف والحنان.

وأي جمال حملته تلك الكلمات وهو يسمعها بصوت هادئ: «**ما يبكيك لا أبكى الله عينيك**»، فهذا الجمال وحدها المرأة التي تقرأ معانيه، ووحده الرجل الذي يرى ملامحه.

المسألة الرابعة: الحالة الانفعالية والوجدانية للمرأة بين مقارنتها لمستواها ومستوى الزوج العلمي والاجتماعي وبين ضعف حاله المادي.

قد تظهر المرأة عدم الرضا أو الانزعاج عندما تكون بين أمرين لا تستطيع الخضوع لأحدهما، فهي بين حالة سماعها للمديح أو الإطراء على زوجها لما يحمله من خصائص وامتيازات، وهي في نفس الوقت تحمل أيضا خصائص وامتيازات قد تكون بنفس المستوى لما يحمله الزوج، فتتصور أن

الكبرى لابن سعد: ج٣، ص٢٢؛ كنز العمال للهندي: ج١٥، ص٩٢، ح٢٦٠ و٢٧١ و٢٨٦ و٢٩٩ و٣٠٤ و٣٢٥ و٣٣٤ و٣٥٠ و٣٥٥ و٣٨٣.

ذلك تعريض بها، وبين أن تقر بأفضليته عليها دون أن يمس ذلك كبرياءها.

وبمعنى آخر: فهي إما أن تستجيب لهذا الكبرياء فتجعل نفسها نداً أو خصما لهذه الامتيازات التي يشاد بها عند زوجها، وأما أن تقر له بذلك غير ملتفتة إلى كبريائها لأنها تجد حبها له أكبر مما تحمله من امتيازات.

هذه الحالة يمكن ملاحظتها في موضعين:

الأول: عندما يكون الزوجان على نفس المستوى التخصصي في مجالات الحياة العلمية والعملية.

والثاني: هو عندما يكون الزوجان على نفس المستوى الاجتماعي والأسري، من حيث عوامل الجاه والشهرة والثراء، ومن حيث المآثر العائلية والقبلية، وهو ما يعرف بالاحساب.

وهنا: تقدم البضعة النبوية النموذج القويم للمرأة عندما توضع في مثل هذه الحالات فهي عليها السلام، تظهر بأسلوب عملي لكل امرأة تنطبق عليها هذه الحالة أو أنها واقعا تعيشها وتعاني منها، بكيفية التعامل والتعايش معها.

إذ قد تختار المرأة الوقوف إلى جانب كبريائها منقادة إلى هواجس توهمها بأن الإقرار للزوج بالأفضلية عليها يعرض كرامتها للخدش، ويقلل من شأنها.

في حين أن بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم توجه كل امرأة بهذا الوضع الخاص إلى الأسلوب الصحيح الذي يعزز مقامها عند زوجها، ويزيد في إجلالها، ويرفع شأنها، لا العكس كما تتوهم البعض من بنات حواء.

ولكن قبل التعرف على المنهاج الفاطمي في تعليم المرأة كيفية حفظ

كرامتها ورفعة مقامها عند زوجها مع ما تحمله من امتيازات سواء على الصعيد العلمي أو الاجتماعي أو الأسري، ننتقل إلى بيان مقام كل من الزوجين الأنموذجين، أي: علي وفاطمة عليهما السلام.

فأما من حيث المستوى العلمي، فعلي عليه السلام باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[1]، الذي فيها علم الكتاب.

وباب مدينة حكمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو قوله: «**أنا مدينة الحكمة وعلي بابها**»[2]، وفي المقابل فإن فاطمة عليها السلام هي: «بضعة النبوة وصفوة الرسالة».

وأما من حيث المستوى الاجتماعي: فهي بنت محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهي سيدة نساء العالمين[3]، وفي المقابل فإن عليّاً عليه السلام: هو أمير المؤمنين وسيد المسلمين.

وأما من حيث المستوى الأسري: فكلاهما من أشرف الأسر في مكة وأجلها عزا وشأنا فعلي بن أبي طالب عليه السلام هو ابن عم النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما من حيث المناقب والمقامات التي لهما عند الله عزّ وجل فهو ما لا يسعه مقام، ولكن يكفي أنها بضعة النبي التي يرضى الله لرضاها ويغضب

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج١، ص٣١٤.
(٢) أمالي الصدوق: ص٦١٩.
(٣) مسند أبي داود: ص١٩٧؛ الأمالي للطوسي: ص٥٦٩؛ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري: ج٣، ص١٥٧؛ فتح الباري لابن حجر: ج٧، ص٨٢.

لغضبها[1]، وأن عليّاً عبد الله وأخو رسوله، وهو ولي كل مؤمن بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم[2].

وهنا: عندما يكون الزوجان بهذا المستوى من المقامات والشأن الأخروي والحياتي كيف يعيشان كزوجين من حيث المنظور الحياتي الواقعي؟!

وهل تؤثر هذه المستويات الرفيعة في علاقتهما، وهل يتعارض ذلك مع كبريائهما عندما يريدان أن يعيشا في بيت واحد، يحب أحدهما الآخر ويسعى لسعادته، ويحرص على راحته، وهل المرأة تستجيب لدورها كزوجة فتلبي حاجات ومتطلبات الزوج، دون أن يكون ذلك ماسا بمقامها؟!

ربما أن الكثيرين قد مروا بمثل هذه الحالات، لكن هل أحسنوا التكيف مع حالة كهذه، وهل أجادوا الأسلوب، كل هذه التساؤلات سنأخذ أجوبتها من بيت علي وفاطمة عليهما السلام.

أولا: كيف ينبغي بالمرأة أن تتصرف عند سماعها من يثني على زوجها ويعدد مناقبه ويشيد بسجاياه، وهي ترى أنها أيضا تحمل مناقب عديدة، وتتمتع بسجايا كثيرة، وفي نفس الوقت ترى منه ضعف الحال فجاءت تشكو هذا الضعف.

قبل أن نورد الرواية التي تكشف عن تصرف وأسلوب فاطمة عليها السلام، في التعامل مع هذه الحالة، نشير إلى أن المرأة قد لا يحرك شعورها سماع هذا الثناء على الزوج؛ لأنها لا تقل عنه شأنا، وقد تكون الحالة

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني: ج٧، ص٨٢.

(٢) لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه».

الشعورية لديها إيجابية بحيث أن هذا السماع يفرحها؛ لأنها وجدت أن نظرة الغيرة لها تدل على حسن اختيارها لشريك حياتها، وأنها قد ارتبطت بمن هو يليق بمقامها، ومن ثم فإن هذا الثناء يرضي كبرياءها، لأنه في حقيقته ثناء عليها.

لكن أن تأتي المرأة لتشكو ضنك الحياة، وقساوة المعيشة فتسمع مقابل هذه الشكوى الثناء على الزوج فهذه حالة خاصة قلما تمر بها النساء، وإن مررن بها فكيف كانت الحالة الشعورية والانفعالية لهن.

إذن فلننظر إلى أسلوب سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء عليها السلام، وما بدا منها من حالة انفعالية وجدانية.

عن أبي حمزة، عن علي بن الخرور، عن القاسم بن أبي سعيد، قال:

أتت فاطمة عليها السلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فذكرت عنده ضعف الحال!

فقال لها:

«أما تدرين ما منزلة علي عندي؟ كفاني أمري وهو ابن اثنتي عشرة سنة، وضرب بين يدي بالسيف وهو ابن ستّ عشرة سنة، وقتل الأبطال وهو ابن تسع عشرة سنة وفرّج همومي وهو ابن عشرين سنة، ورفع باب خيبر وهو ابن اثنين وعشرين سنة وكان لا يرفعه خمسون رجلا».

قال: فأشرق وجه فاطمة عليها السلام ولم تقرّ قدماها حتى أتت عليا عليه السلام، فأخبرته.

فقال:

«كيف لو حدّثك بفضل الله علي كلّه؟»[1].

مسائل البحث في الحديث:

أولا: بحث تربوي: المعالجة التربوية للأسرة عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

في هذا الحديث نجد أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد عالج هذه الشكوى بأسلوب خاص؛ إذ إن المرأة المتزوجة عندما تشكو ضعف الحال، فإن هذا الضعف سببه الدخل المادي للزوج، فحال المرأة في الأسرة مرتبط بحال الرجل ووضعه، هكذا هو الجاري في الأسر العربية والإسلامية سابقا وحديثا، على الرغم من وجود نساء كثيرات في نطاق العمل في الوقت الحاضر، لكن تبقى المرأة مرتبطة اقتصاديا بالرجل.

وهنا: فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يدفع هذا الإحساس بأمرين:

الأول: الترابط العاطفي والتماسك الروحي بين المرأة والرجل فلا شيء يعين المرأة في الحياة غير الحب والعاطفة الزوجية، فكان حديثه عن علي عليه السلام محركا للشعور الوجداني والانفعالي العاطفي اتجاه الزوج.

الثاني: حقيقة حال الدنيا وأنها مهما تكن من عسر أو يسر فهي فانية، ولذا أرجعها إلى مكان الخلود والبقاء حيث النعيم الدائم، فذكر لها فضائل علي عليه السلام عند الله تعالى.

---

(١) الأمالي للصدوق: ص٤٨٣.

ثانيا: بحث سيكولوجي: بُعد الانفعالات والوجدانات عند المرأة.

تكشف لنا انفعالات الفرد عموما عن كفاءة الأنا من متصل الايجابية والسلبية من حيث النشاط السائد والانفعال الذي يصاحب هذا النشاط.

إن كفاءة الأنا لا ينبغي النظر إليها من حيث مدى قدرتها على مواجهة الواقع الخارجي والتغلب على ما يزخر به هذا الواقع من مشاعر سلبية ومن ثم فإن النشاط الإيجابي يعد بمثابة القشرة الخارجية التي يكمن نقيضها خلفها والتي تبدو في صورة مشاعر، فالهدف هنا[1] هو تسجيل مشاعر المرأة، وتسجيل الحياة الداخلية ورسم صورة كلية في تكوينها الداخلي، فالعالم الداخلي يفرض نفسه على معطيات الاختيار وتكون استجاباتهن تسجيلا أمينا للواقع النفسي وللعوامل اللاشعورية الانفعالية للمرأة.

إذ ليس من الغريب أن يكون الانفعال الأكثر شيوعا هو الحب والحنان، فالمرأة عطوفة بغريزتها، فهي الأم مع أبنائها وزوجها، فالمرأة غيرية أكثر منها فردية[2]، وقد أكد بحث كارلسون هذه الفرضية.

وأيضا يجب أن تكون المرأة عاطفية، لبقة دافئة وقد أكدت دراسة لماكونالد: أن هناك سمات مثل السيطرة، التوكيد، العدوان، والقيادة، والحب، والصداقة، والدفء، تختلف توزيعها بين الإناث والذكور، وقد كان عند كارلسون الاجتماعية للإناث في مقابل الفردية للذكور، وهنا في نتائج ماكدونالد كانت السيطرة لدى الرجال، والحب لدى الإناث.

---

(١) أي: في الدراسات التي أجراها الباحثون على بعض العينات من النساء في المجتمعات المختلفة.

(٢) أي: إنها تبذل نفسها لغيرها لمن يرتبطون معها بصلة الأمومة، أو الزوجية، وتقدمهم على نفسها.

بينما ذهب الأستاذ مصطفى زيور إلى القول: (بأن قليلا من التفكير يدلنا على أن الحياة نفسها مستحيلة بغير الحب وأن علاقة الناس بعضهم ببعض تستند إلى أساس منها فماذا تكون حياة الأسرة بغير رابطة الحب، وكيف يظل المجتمع قائما ما لم يؤلف الحب بين أفراده.

إن هذه العاطفة السامية استغلقت على الفهم وليس من العسير علينا أن نفهم كيف يكون الحب طاغيا فياضا، مع ذلك فهو لا ينتسب إلى الحب الأصيل ولا يستحق أن يسمى حبا فهناك فارق شاسع بين الواقع النفسي والواقع الفعلي[1].

إن مشاعر القلق والحيرة والخوف تتم عن شعور عقيم بالعجز وإحساس بالتفاهة والنقص وقلة الرضا عن النفس، ومن أجل ذلك كانت الحاجة إلى العطف مطلباً حيويّاً يرمي إلى بلوغ الطمأنينة والظفر بالرضا عن النفس، ومن أجل ذلك كان طلبها ملحا لا يصبر ولا يطيق استثناء.

أن الحب في هذه الحالة ليس إلا دواء يطلب للشفاء، الشفاء من داء الشعور بالعجز والإثم فإذا امتنع الداء فلا اقل عن أن يلصق الإثم بالمحبوب كدواء بدلا من دواء الحب وتخلصا من الشعور بالعجز والإثم والقلق، فالغيرة الملحة ليست دليلا على الحب وإنما هي الغضب من قلة دواء الحب[2].

إن الطب النفسي يعد عاطفة الحب مقياس الصحة والمرض، فالإنسان في الحب عنوان شخصيته ومبلغ نضجه وما ظفر به من السعادة)[3].

---

(١) النفس بحوث مجمّعة، تأليف مصطفى زيور لسنة ١٩٨٢ ص٢٨٧.

(٢) النفس، مجموعة بحوث، تأليف مصطفى زيور: ص ٢٢٨.

(٣) دراسات في سيكولوجية المرأة، تأليف: د. سهير كامل أحمد، ص ١٣٦.

ولقد أشارت بعض الدراسات إلى: (أن الرجل يحب من زوجته أن تتصف بشيء من الأمومة نحوه، والمرأة تحب من زوجها أن يتصف بشيء من الأبوة نحوها فإذا استطاعا أن يتبادلا العطف والمودة والحب والرحمة ـ وكان هذا دليلا على نضجهما ـ فتستقى السعادة في البيت.

وأما إذا طلبت المرأة من زوجها أن يكون أبا فحسب فلن يرضيها مهما بذل لها لأن الواقع أنه ليس أبا فينشأ الغضب ويدب الشقاء وهذا يدل على العجز والطفولة)[1].

ومن هنا:

فإن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد وضع المنهج الصحي للنفس بمعرفة مواضع تحريك الانفعالات والوجدانات عند المرأة، وأن الحب هو أقوى الانفعالات لدى المرأة فقام صلى الله عليه وآله وسلم بمعالجة ضعف الحال الذي لقيته فاطمة وجاءت تبينه له صلى الله عليه وآله وسلم، بتحريك عاطفة الحب والمودة والرحمة باتجاه علي عليه السلام كي لا تلتفت عليها السلام إلى هذا الضعف الذي تشكو منه، لأن دوام الحال من المحال، ولذا يبقى بين الرجل والمرأة المودة والحب والرحمة.

ولذلك جاءت إلى علي عليه السلام كي تعبر عن كل هذا الحب الذي تحمله وتكنه له، وما كان من إشراق وجه فاطمة، ولم تقر قدماها حتى أتت عليّاً عليه السلام كي تسمعه ما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ حالة وجدانية نقية، وانفعالية قوية تنطق في كل خطوة بما تحمله من حب لابن

(١) النفس لمصطفى زيور: ص ٢٢٨؛ دراسات في سيكولوجية المرأة، سهير كامل: ص ١٣٧.

عمها وشريك حياتها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي المقابل لتبين لكل متتبع وباحث في مناهج الرقي والحضارة الإنسانية النقاط التالية:

١ـ أن حب المرأة لزوجها ينسيها ويغنيها عن ضعف الحال، وقلة المال.

٢ـ أن المرأة التي تتمسك بزوجها الذي يحمل كل هذه الفضائل والسجايا الحميدة، والمناقب العديدة التي له عند الله عزّ وجل ـ كما هو حال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بشكل خاص ـ وبشكل عام كل رجل يتحلى بالخلق الحميد والدين القويم، فإن تمسك المرأة بزوجها إنما يكون منها ذلك لأنها تجد فيه ومعه الأمن والأمان، والحب والرحمة، والسعادة في الدنيا والآخرة، وهي السعادة الأبدية.

٣ـ حب فاطمة لعلي عليهما السلام يرفع من مقامها، مع علوها ورفعتها عند الله عزّ وجل، لأنها كزوجة ترى فيه نفسها، فإن امتدحه أحد فكأنما يمتدحها لأنها منه وهو منها.

وعليه:

فسرور المرأة بما تسمع من ثناء على زوجها من الناس إنما هو دليل حبها المخلص النقي له إذ لا ترى وجوداً لنفسها بغير هذا الحب.

ثالثا: أثر المفاخرة بين الرجل والمرأة على الحياة الزوجية.

في هذا الجانب من بُعد الانفعالات عند المرأة ننتقل إلى ركن مهم وهو التفاخر بين الرجل والمرأة، وأثر ذلك على جو الأسرة.

إذ قد يجر ذلك التفاخر إلى حالة من النفور بين الزوجين، وبخاصة عند

تحرك الإحساس بالفوقية، أو إذا كانت المرأة ممن تشعر بالنظرة الدونية، أو: (النظرة الفرويدوية)!

فإن ذلك سيؤدي إلى حالة من الصراع بين هذه النظرة، وبين النهوض على الواقع لتحسيس الرجل بأنها أفضل منه، أو لعلها واقعا تمتلك خصائص لا يمتلكها الرجل كما هو حال كثير من الزوجات، وهي مع هذا غير متأثرة بالنظرة الدونية، فتكون بين حالتين:

١ــ إما أن يجرها هذا الإحساس إلى التعامل بأسلوب الاسترجال فتفقد أنوثتها أولا ثم لا تجيد تجسيد دور الرجل فتقتل الإحساس بوجودها في الأسرة، مما ينعكس سلبا على الطفل؛ لأنه يرى أن الأدوار مختلفة في أسرته الصغيرة، فيشاهد والدته تقوم بدورين في آنٍ واحد ولربما بدون أن تلتفت إلى أنها تمارس دور الاسترجال على أطفالها فتجعل منهم ذكوراً لا يملكون حسن الرجولة، وإناثاً لا تملك التعبير عن أنوثتها، وبالنتيجة تتحول الأسرة إلى مجتمع ذكوري استرجالي.

٢ــ وإما وهي الحالة الثانية: أن تدرك المرأة أن هذا التفرد في مجال لأحد منهما لا يعني أنه هو الأفضل بشكل مطلق، أو أنها لم تمارس الدور الأساس في الأسرة!

بل على العكس فهي تبنت حالة الأفضلية ضمن نطاق ما ينسجم مع دورها كامرأة، وكذلك هو الحال بالنسبة للرجل.

هذه الحالة من التفاضل والتفاخر بين الرجل والمرأة، وبعدها الانفعالي نالت اهتماماً كثيراً من الأبحاث المعاصرة، فقد خلصت إحدى هذه الأبحاث

إلى القول: (بأن المرأة عندما تشعر برغبة الاحتباس نحو الخارج، أو رغبة الصعود نحو الإبداعية والعمل فإنها تعاني من شك في نفسها! هل ستظل أنثوية بما فيه الكفاية؟!

أو أنها ستفقد أنثويتها إن أبدعت، أو انطلقت نحو التفكير والعلم)[1].

والسبب في هذا الشك بين فقدان الأنوثة أو البقاء عليها بالقدر الكافي يعود إلى الدفاع عن الذات عندما ترى أنها تألقت في حين خبا ضوء الرجل وتهافت جنحه فتأخذ بالنظر إليه من منظار التفاضل والتفاخر، وليس الدفاع عن الذات هو السبب الوحيد وإنما هو: سيكلوجية المرأة.

رابعا: بالقياس إلى أي شيء تتصف المرأة بأنها أدنى؟

لقد وضع العالم النفسي (بيّر داكوا) بحثاً قيماً إلى جانب أبحاثه العديدة في سيكلوجية المرأة، يتناول فيه وضعاً ضابطه يرجع إليه عندما يتولد الإحساس بالدونية أو التفوق، أي التفاضل والتفاخر عند المرأة فيبدأ بحثه متسائلاً: بالقياس إلى أي شيء تتصف المرأة بأنها أدنى؟

ثم يجيب على هذا التساؤل قائلاً:

(تصاغ ضروب السلوك الإنساني دائما بمصطلحي الدونية والتفوق.

فغالبية الكتابات والمناظرات تقع في الالتباس ذاته، ويرفع المرء إضافة إلى ذلك، من قيمة سلوكه.

وعلى هذا النحو، ينتهي الناس إلى الإعجاب عندما يكون (التفوق)، وإلى

(١) تحليل سلوك الارتجال عند المرأة، ليلى شريف: ص ١٤.

الاحتقار عندما تكون (الدونية).

و(المتفوق) ينضح بالأهمية و(الأدنى) ينسحب خجلا مرتبكا.

ويعود النظام إلى نصابه، ويسود الهدوء في فارصوفيا، ولكن النار تستمر كامنة.

أيهما (المتفوق)، المرأة أم الرجل؟ ليس لهذا السؤال معنى! لأن التفوق والدونية يقاسان مقياساً مشتركاً.

فعندما نفصل، والحالة هذه، بين الجنسين، كما حدث ذلك على وجه العموم يصبح متعذرا كل قاسم مشترك، أن مثلنا في ذلك مثل من يتساءل: (أيهما المتفوق؟ الماء أم النار؟ الذهب أم الفضة؟ الجبل أم الوادي)؟

وما دمنا نفصل على هذا النحو بين الجنسين، فإن كل مناظرة تبقى مناظرة متعذرة، كيف يمكننا أن نبرهن على تفوق أحد الجنسين؟ بالقياس إلى أي شيء يتصف أحد الجنسين بأنه متفوق؟

إننا لا نتساءل أبدا إذا ما كانت المرأة والرجل هما حقا ما يمكن أن يكونا عليه، أوليست المرأة والرجل، كلاهما في مستوى أدنى من حيث إمكان تحقيقهما الخاص؟

هنا إنما تكمن المسألة، على ما يبدو لي.. فالمرأة المتحفظة (أسمى) من رجل مراهق ولو كان عبقريا، والرجل المكتمل (أسمى) من امرأة طفل، وكذلك فالمرأة الجميلة التافهة أدنى من امرأة تتصف بأنها امرأة على نحو كلي، والفلاح الذي يحب أرضه أسمى من قائد لامبال بمهنته.

إنني أقترح أن يحل مصطلح (معوق) محل مصطلح (أدنى) ومصطلح (متميز) محل مصطلح (متفوق)، ذلك يتيح لنا أن نرى من خلالها على نحو

أكثر وضوحا، فالمسألة مسألة قدرات بالطبع، ولكنها أيضا مسألة تحقيق الذات، وكون الإنسان، في هذا المجال امرأة أو رجلا لا يدخل في الحساب كما لا يدخل في الحساب كون الإنسان حاكما أو محكوما.

وأود أن أشير إلى التباس آخر، يوازن المرء على وجه العموم شخصا بشخص آخر بدلا من أن يقيسه بمعيار إمكاناته الخاصة.

فلنتصور عاملة فقدت استخدام ذراعها، أنها تعتقد في نفسها مباشرة بأنها (أدنى) من الآخرين، والواقع أنها معوق بالقياس إلى معيارين: عملها ومردودها.

ولكن ذلك لا يعني على الإطلاق أنها أصبحت (أدنى) (من الناحية الداخلية) من ذاتها ولا من أي شخص، بيد أن احتمال أن تعاني الشعور بالدونية يبلغ ٩٠ بالمئة، لأنها تخلط بين ما عليه وبين ما يتوقعه منها المجتمع، ومع ذلك، لن يبدو أي شعور بالدونية إذا كانت هذه العاملة متوازنة ولن تعاني غير إحساس بالإعاقة التي ستسعى جهدها لتعويضها في حدود إمكاناتها ومن الواضح أننا جميعاً متميزون أو معوقون مائة مرة في اليوم وبحسب الظروف ـ فبطل العالم بالملاكمة على سبيل المثال، معوق بالقياس إلى مغرم بالرياضيات في الخامسة عشرة من عمره، إذا اتخذنا الرياضيات معيارا، وينقلب كل شيء إذا أصبحت الملاكمة هي المعيار.

ومن اليسير أن نكثر الأمثلة، فكل إعاقة وكل ميزة منوطتان بالوقت والظروف، والإعاقة هذا اليوم قد تصبح ميزة في الغد)[1].

(١) المرأة، بحث في سيكولوجية الأعماق لبير داكوا: ص٤١ ـ ٤٣؛ الانتصارات المذهلة لعلم

وبنفس التساؤل الذي طرحه (بير داكوا)، نحن نسأل أيضا: (ما هو المعيار الذي ينوط به التفوق أو الدونية)؟

ولكي نضفي إلى بحث هذا العالم معيارا ربما لم يوجد له بديل، فإني وجدت ومن خلال بيت علي وفاطمة عليهما السلام، أن المعيار هو: (حب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم).

فعن جابر بن عبد الله:

(أنه افتخر علي وفاطمة بفضائلهما، فأخبر جبرائيل النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنهما قد أطالا الخصومة في حبك فاحكم بينهما.

فدخل صلى الله عليه وآله وسلم وقص عليهما مقالتهما، ثم أقبل على فاطمة وقال:

«لكِ حلاوة الولد وله عزّ الرجال، وهو أحب إلي منك».

فقالت عليها السلام:

«والذي اصطفاك واجتباك وهداك وهدى بك الأمة، لا زلت مقرّة له ما عشت»[1].

في هذا الحديث تظهر الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، (معيار) التفوق أو الدونية عند المرأة والرجل على حدٍ سواء، وتبين أنه المعيار الوحيد الذي يستحق أن ينظر إليه الإنسان ويحمل عليه تفوقه أو دونيته.

وبالأصح أنه المعيار الوحيد الذي ينال صاحبه الإحساس بالتفوق

النفس الحديث، لبير داكوا: ص٣٠٠ـ٣٠٦ ترجمة وجيه أسعد.

(١) بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٣، ص٣٨؛ مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج٣، ص١١٢.

الكامل الذي لا دونية معه، والذي يوصله إلى رتبة العزة، فصاحب هذه الرتبة يحيا حياة الاطمئنان والأمن الذي لا تضطرب به المشاعر ولا تختلج به النفس، لأن أي معيار آخر وإن كان يعد تفوقا عند البعض فإنه لا يشعر صاحبه بالعزة والطمأنينة، والسر فيه أن الفطرة التي فطر الله النفس الإنسانية عليها، لها نظام لا تستقر فيه إلا بوجود تلك العناصر التي خصها الباري عزّ وجل والتي أشار إليها في محكم التنزيل:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وقد تجر بعض النفوس أصحابها إلى الوهم بأنها عزيزة، وهي النفس الخالية من التقوى فتأخذها.

﴿الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾، فهذه النفس الأسيرة بوهم العزة لا يمكن لها أن تحيا ولو للحظات بالأمن، ولا عرفت معنى الإحساس بالطمأنينة.

أما الأبحاث والدرسات في علم النفس فهي تصب جل طاقتها في معرفة تلك العناصر التي ركبت منها النفس الإنسانية، ويبدو أنها لن تصل إلى المعرفة الكاملة ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[2]؟

وعليه:

يبقى الطريق الأصح والأيسر لمعرفة هذه النفس وخفاياها وما يصلحها لا يكون إلا من خلال من أطلعهم الله عزّ وجل على هذه العلوم، وتبقى الأبحاث والدراسات هي أحب السبل الموصلة إلى فهم سنة النبي

(١) سورة المنافقون: الآية ٨.

(٢) سورة الإسراء : الآية ٨٥.

وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم، وهم الذين اتخذوا حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، (المعيار) الوحيد في التفوق.

ولعل سائلاً يسأل عن الحكمة في اتخاذهم هذا المعيار في التفوق أو الدونية؟ سنرى جوابه فيما يلي:

خامسا: سيكولوجية الحب والإتباع.

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم الذي فيه علم كل شيء، فإن المعيار في التفوق هو (التقوى) لكن تحصيل التقوى لا يتم إلا بتطبيق أحكام الله عزّ وجل، وهذا التطبيق لا يمكن أن يحصل كواقع عملي إلا بإتباع صاحب الشريعة ومبينها للناس وهو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وإتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتطبيق ما ورد عنه، لا يمكن حصوله من الناحية النظرية والعملية إلا من خلال حب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فبدون حب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن تطبيق أحكام الله عزّ وجل؛ لأن هذه الأحكام وتطبيقها معدة من قبل الباري عزّ وجل ضمن قاعدة وضابطة:

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[1].

وحصول الإتباع من الناحية السيكولوجية لا يتم إلا بوجود الدافع والمحرك الانفعالي والوجداني في النفس وهو الحب، ولذلك لا يصدق إتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدون حبه، هذا لا يمكن لا من الناحية السيكولوجية عند الرجل والمرأة، ولا يمكن من الناحية الإيمانية! لأنه إن

(١) سورة آل عمران: الآية ٣١.

تم مثل هذا الإتباع ـ أي إتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدون حبه ـ كان نفاقا وهو من أخطر الأمراض النفسية لأنه يصيب القلب وهو موضع الحب والإيمان، وهو عند الله تعالى أشد من الكفر لما يحمله من خطر على هيكلية المجتمع الإنساني.

ومن هنا: ورد في الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

١ـ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين»[١].

٢ـ وقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا يؤمن أحدكم حتى أكن أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين، ولا يحبني حتى يحب أهل بيتي لحبي»[٢].

٣ـ وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأهلي أحب إليه من أهله، وعترتي أحب إليه من عترته، وذاتي أحب إليه من ذاته»[٣].

ولأجل ذلك كان حب أهل بيته فرضاً على جميع الخلائق لأن فيه صلاح النفس ونواتها وهو القلب.

(١) صحيح البخاري، كتاب الإيمان: ج١، ص١٠.
(٢) نظم درر السمطين للزرندي: ص٢٣٣؛ شرح إحقاق الحق: ج٩، ص٤٥٨.
(٣) الأمالي للصدوق: ص٤١٥؛ مجمع الزوائد للهيثمي: ج١، ص٨٨؛ المعجم الكبير للطبراني: ج٧، ص٧٥؛ كنز العمال للمتقي الهندي: ج١، ص٤١.

ومن هنا: نلمس ومن خلال الواقع العملي والنفسي والإيماني، مغزى قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا علي لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق»[1].

لأن إتباع علي عليه السلام دافعه الوجداني والانفعالي هو حب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وبه يصدق العمل إيمانا وهداية، ولأجله كان حبه عليه السلام جنة تقي الإنسان من الوقوع في النفاق، وبحبه تقسم الأعمال، فكان قسيم النار والجنة.

وهذه الحقيقة والسنّة الإيمانية التي سنّها الله عزّ وجل تظهر مغزاها فاطمة عليها السلام بعد أن سمعت أباها الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم يقول لها:

«وهو أحب إلي منك»

فأدركت أن هذا الحب مرتبط بالوحي، كما قال الله تبارك وتعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾[2].

فعندها ردت قائلة: **«والذي اصطفاك واجتباك وهداك، وهدى بك الأمة لا زلت مقرّة له ما عشت»** وهذا الإقرار هو (إقرار بالولاية) رزقنا الله إياها.

فمن كان أكثر الناس حبا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حق له أن يفتخر على مَنْ أقلّهم درجة في ذلك فمما لا شك فيه أنه في رتبة الدونية بمعيار حب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) أمالي الصدوق: ص١٩٧؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج٣١، ص٣٢٢.

(٢) سورة النجم، الآيتان: ٣ و ٤.

أما أثر ذلك على الحياة الزوجية.

فمن البديهي أن البيت الذي يتخذ حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم معيارا في التفوق أنه يحيا حياة المودة والرحمة والطمأنينة والأمن وهو (السكن)، لأن هذا الحب يفرز من خليته مزيجاً من العناصر التي تغذي قلب الرجل والمرأة وهي:

١ـ الاحترام المتبادل.

٢ـ حفظ الحقوق والواجبات.

٣ـ الحرص على رعاية الآخر.

٤ـ حفظ الذات.

٥ـ الأنوثة المحققة عند المرأة.

٦ـ الرجولة المتكاملة عند الرجل.

وكل هذا منوط بحب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لأنه سيجعل الرجل أو المرأة حريصا أشد الحرص على تطبيق شريعته، فمن أحب محبوبا حرص على إرضائه.

وأما من لا يؤمن بحب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجعله معيارا في تفوقه فإني أعتقد أنه لن يجد معيارا ينقذه من الإحساس بالدونية، وإن اختلفت لديه المعايير.

المسألة الخامسة: خوفها على زوجها عند خروجه للقتال.

(الخوف) في علم النفس والسلوك الإنساني، هو: (انفعال يثيره الشعور

بالخطر، وهو إرتكاس وجداني سوّي للعضوية المعرّضة لتهديد واقعي)[1].

وفي هذا الفصل نعرض لحالة وجدانية تمر بها الزهراء عليها السلام كزوجة، وهي ترى أن هناك خطراً يهدد حياة زوجها فتبدو مظاهر القلق والبكاء عليها واضحة دون أن تتمالك نفسها من حبس هذا الشعور الممزوج بالخوف والقلق والإشفاق عليه عليها السلام، بل تعبر عنه بكل وجدانية.

ونحن وإن كنا سنعرض في هذا الفصل لروايتين تدور حول حديث واحد، لكل رواية صورة تعبيرية عن الحالة الوجدانية لفاطمة عليها السلام إلا أن الكتاب سيتضمن العديد من الصور التي تعبر عن الحالة الوجدانية والانفعالية لفاطمة عليها السلام وهي ترى أن حياة زوجها، وأبي أولادها في خطر حقيقي فتندفع لرد هذا الخطر والعدوان، وإن كلفها ذلك حياتها، كما حدث في الهجوم على دارها لإخراج علي أمير المؤمنين عليه السلام كي يبايع قهرا[2]، فتلحق به عليها السلام على الرغم ممّا بها من آلام وجراح ونزف للدماء وهي تنادي:

«خلوا ابن عمي أو لأكشفن بالدعاء رأسي».

الرواية الأولى: ذكر أصحاب السير

(أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان ذات يوم جالسا إذ جاء إعرابي فجأة بين يديه ثم قال: إني جئت لأنصحك قال:

(١) المعجم الموسوعي في علم النفس، نور بير سيلامي: ج ٣ ص ١٠٣٤ ترجمة وجبة أسعد.

(٢) سنوافي القارئ الكريم في الجزء الأخير من الكتاب وهو (فاطمة ومقاومة الإرهاب) بكل التفاصيل التي أخرجها حفاظ المسلمين، ومصنفو أمهات كتبهم، حول ما جرى على فاطمة عليها السلام بعد وفاة أبيها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

«وما نصيحتك»؟.

قال: قوم من العرب قد عملوا على أن يبيتوك بالمدينة ووصفهم له.

قال: فأمر أمير المؤمنين عليه السلام، أن ينادي بالصلاة جماعة، فاجتمع المسلمون فصعد النبي فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«أيها الناس إن هذا عدو الله وعدوكم قد أقبل عليكم يزعم أنه يبيتكم بالمدينة فمن للوادي؟».

فقام رجل من المهاجرين، فقال: أنا يا رسول الله فناوله اللواء وضم إليه سبعمائة رجل وقال له:

«أمض على اسم الله».

فمضى فوافى القوم ضحوة، فقالوا له: من الرجل؟ قال: رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إما أن تقولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أو لأضربنكم بالسيف.

قالوا له: ارجع إلى صاحبك فإنا في جمع لا تقوم له، فرجع الرجل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«**من للوادي؟**».

فقام رجل من المهاجرين فقال: أنا يا رسول الله، قال: فدفع إليه الراية ومضى ثم عاد بمثل ما عاد به صاحبه الأول.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أين علي بن أبي طالب؟».

فقام أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

«أنا ذا يا رسول الله».

قال:

«أمضِ إلى الوادي».

قال:

«نعم».

وكانت له عصابة لا يتعصب بها حتى يبعثه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وجه شديد، فمضى إلى منزل فاطمة عليها السلام فالتمس العصابة منها.

فقالت:

«أين تريد؟! وأين بعثك أبي؟!».

قال عليه السلام:

«إلى وادي الرمل».

فبكت إشفاقا عليه.

فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهي على تلك الحال، فقال لها:

«ما لك تبكين؟ أتخافين أن يقتل بعلك؟ كلا إن شاء الله».

فقال علي عليه السلام:

«لا تنفس[1] علي بالجنة يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم».

ثم خرج ومعه لواء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمضى حتى وافى القوم بسحر فأقام حتى أصبح ثم صلى بأصحابه الغداة وصفهم صفوفا واتكأ على سيفه مقبلا على العدو، فقال لهم:

«يا هؤلاء أنا رسول، رسول الله إليكم، أن تقولوا لا إله إلا الله أو أضربنكم بسيفي هذا، أنا علي بن أبي طالب».

فاضطرب القوم لما عرفوه ثم اجتروا على مواقعته فواقعهم فقتل منهم ستة أو سبعة وانهزم المشركون، وظفر المسلمون وحازوا الغنائم وتوجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد أنزل الله عزّ وجل في هذه الحادثة قوله تعالى:

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾[2])[3].

والرواية تشير إلى مناقب عديدة لعلي بن أبي طالب عليه السلام، أما الغزوة فتسمى أما بـ(وادي الرمل) أو (السلسلة).

مطالب البحث:

١ـ دلالة قولها عليها السلام:

«أين تريد وأين بعثك أبي؟».

قال:

---

(١) لا تنفس: أي لا تبخل عليّ بالجنة.

(٢) سورة العاديات، الآية: ١.

(٣) الإرشاد للشيخ المفيد رحمه الله: ج١، ص١١٥؛ البحار للعلامة المجلسي: ج٢١، ص٨١.

«إلى وادي الرمل».

فبكت إشفاقا عليه (عليهما السلام).

ويرشد إلى أمرين:

أولاً: بعض المواقف المثيرة للقلق.

على الرغم من صعوبة تحديد أسباب القلق إلا أنه توجد أربعة مواقف على ما يبدو تحدث القلق وهي:

١ــ الدوافع المتصارعة مثل الرغبة في تكريس الحياة لخدمة الآخرين وفي نفس الوقت الرغبة في تكوين ثروة من المال.

٢ــ الصراع بين المثل العليا الداخلية والسلوك، وهذا يحدث عندما نعمل شيئا ونعتقد أنه خطأ.

٣ــ مواجهة بعض الأحداث غير العادية لا نستطيع أن نفهمها فورا ونتوافق معها، ويحدث هذا عندما نلتحق بعمل جديد ولا نعرف أي أنواع السلوك هو المقبول.

٤ــ مواجهة أحداث لا يمكن التنبؤ بنتائجها، مثل الدرجة التي يمكن أن نحصل عليها في امتحان هام.

في هذه الحالات يرتبط انفعال القلق بالدوافع بوضوح، في المواقف (١)، (٢) ينتج القلق من الصراع بين الدوافع أو بين أحد الدوافع والمثل الداخلية للفرد.

في المواقف (٣)، (٤) ينتج القلق من إحباط دافع اليقين.

أي موقف تظلله غيوم عدم اليقين ــ أي عدم معرفة ما سوف يحدث،

وعدم معرفة ما يمكن توقعه، وعدم معرفة السلوك الأمثل المرغوب ـ يكون سببا في خلق القلق.

وعند الرجوع إلى الرواية نجد أن فاطمة عليها السلام كانت غير عارفة بما سيحدث لزوجها أمير المؤمنين عليه السلام وهو ذاهب إلى وادي الرمل.

بل إن طلبه للعصابة منها كان كافيا في خلق القلق؛ لأنها تدرك أن هذه العصابة شعار الموت وهي ناقوس الخطر فلذا بكت وكما أخبرت الرواية: (إشفاقا عليه) عليها السلام.

ثانياً: كيف يمكن التغلب على القلق؟

كيف يتم التعامل مع إنسان بدا سلوكه متأثرا بالقلق؟ سؤال ربما قد أجيب عليه كثيرا في حلقة بحث أو محفل علم، ولكن ربما الإجابة عليه هذه المرة تكون من خلال بيت فاطمة عليها السلام.

وعليه:

فإن المصطفى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ـ عندما دخل إلى بيت فاطمة عليها السلام وهي على تلك الحال من البكاء، عرف بأنها من القلق والخوف ـ والذي كما أشار إليه البحث كان من النوع، أو الموقف الرابع، أي: مواجهة أحداث لا يمكن التنبؤ بنتائجها، أي: عدم اليقين بمعرفة ما يحصل لعلي عليه السلام.

وهنا: قام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بتبديد هذه الغيوم وبتحويلها إلى سحابة خير تمطر يقينا بنجاة وسلامة زوجها عليها السلام قائلا:

«أتخافين أن يقتل بعلك؟ كلا إن شاء الله».

وبالطبع عندما يسمع الإنسان المؤمن من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإن أثر ذلك على المشاعر والأحاسيس، ليس كما يسمع من غيره.

أما نحن في حياتنا اليومية وانفعالاتنا النفسية بما للدوافع من مدخلية في تحرك هذه الانفعالات فإنه ينبغي علينا أن نتدارك القلق بما يلي:

أولا: بمعرفة الموقف الذي دعا إلى خلق القلق.

ثانيا: إزالة هذه الغيوم وتبديدها بتحقق اليقين بالله عزّ وجل بأنه خير حافظ وهو القادر على رد البلاء ودفعه.

ثالثا: أن يكون حوارنا فيما نحن قلقون بسببه أو من أجله مع شخص يتسم بالثقة لدينا وله القدرة على بث الطمأنينة في نفوسنا كما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع ابنته فاطمة عليها السلام.

وأما في الموقف (١)، (٢) الذي أشار إليهما البحث فجوابها أيضا في بيت علي عليه السلام إذ يضع قاعدة علمية لتبديد الصراع النفسي والتغلب على القلق من خلال إتباع ما أشار إليه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فقال: «**خالف نفسك تستقم، وخالط العلماء تعلم**»[١].

وقال عليه السلام:

«**اركب الحق وإن خالف هواك، ولا تبع آخرتك بدنياك**»[٢].

أما الرواية الثانية.

---

(١) العلم والحكمة في الكتاب والسنة للريشهري: ص٤١٦.

(٢) المصدر نفسه.

وهو ما يمنع حصول تصارع بين الدوافع النفسية كالرغبة في تكريس الحياة لخدمة الآخرين وفي نفس الوقت الرغبة في تكوين المال؛ أو الصراع بين المثل العليا الداخلية والسلوك.

فنوردها التماسا للأجر دون البحث لأنها تصب في نفس المنهل الذي نهلنا منه وهو كيف كانت فاطمة عليها السلام وهي في حالة الخوف على زوجها علي عليه السلام عند خروجه للقتال.

أخرج الشيخ الصدوق رحمه الله في أماليه، عن يحيى بن زيد رضي الله عنه عن زيد بن علي رضي الله عنه، عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال:

«خرج رسول الله ذات يوم وصلى الفجر، ثم قال: معاشر الناس أيكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد آلوا باللات والعزّى ليقتلوني وقد كذبوا وربّ الكعبة؟».

قال:

«فأحجم الناس وما تكلم أحد، فقال: ما أحسب علي بن أبي طالب منكم فقام إليه عامر بن قتادة فقال: إنه وعك في هذه الليلة ولم يخرج يصلي معك، فتأذن لي أن أخبره؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، شأنك فمضى إليه فأخبره، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام كأنه نشط من عقال، وعليه إزار قد عقد طرفيه على رقبته، فقال: يا رسول الله ما هذا الخبر؟ فقال: هذا رسول ربي يخبرني عن ثلاثة نفر قد نهضوا إليّ لقتلي وقد كذبوا ورب الكعبة، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله أنا لهم سرية وحدي، هو ذا ألبس عليّ ثيابي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل هذه ثيابي، وهذا درعي،

وهذا سيفي، فدرّعه وعمّمه وقلّده وأركبه فرسه، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام، فمكث ثلاثة أيام لا يأتيه جبرائيل بخبره ولا خبر من الأرض.

وأقبلت فاطمة بالحسن والحسين على وركيها تقول: أوشك أن يؤتم هذين الغلامين، فأسبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عينه يبكي، ثم قال: معاشر الناس من يأتيني بخبر علي أبشّره بالجنة، وافترق الناس في الطلب لعظيم ما روأ بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وخرج العواتق، فأقبل عامر بن قتادة يبشّر بعلي عليه السلام»[1].

المسألة السادسة: إنها لا تسأل زوجها ولا تكلفه في شيء حتى فيما تحتاج إليه

ماذا تقدم المرأة للرجل كي تأخذ؟ وماذا عليه هو أن يقدم لها كي يأخذ منها في المقابل؟

ربما هذه النقطة هي من أكثر النقاط حساسية في حياة الأسرة، إذ يدور كل من الرجل والمرأة حول نواة الاستحقاق، كلا يعتقد من الآخر البذل دون أن ينظر ماذا هو قد قدم لشريك حياته.

وربما قد يعطي أحدهما دون أن يأخذ فيما لو نظرنا إلى هذا الشيء الذي يناله فعرضناه على طاولة القيمة الاعتبارية والمعيشية فإنه يساوي ما هو أغلى من التراب قيراطا.

أي: أن يعطي أحدهما دون أن يأخذ شيئاً يذكر وغالبا وكما هو معهود في مجتمعاتنا العربية، والشرقية ـ وليس المجتمع الغربي بمأمن عن ذلك ـ أن المرأة هي التي تبذل أكثر مما تأخذ.

---

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ص١٦٦؛ البحار للمجلسي: ج٤١، ص٧٤ ـ ٧٥.

فأين يكمن الخلل؟

أهو: ثقافتنا الأسرية؟ أو الدينية؟ أو الأكاديمية؟

أم هو: الأنانية؟ أو لعلها الاتكالية، أم هو تركيبة المرأة السيكولوجية؟

أسئلة عديدة، فكيف عالجها علماء النفس؟ وكيف عالجها بيت فاطمة عليها السلام.

أولاً: قانون العرض والطلب في علم النفس.

في كل علاقة إنسانية، يعرض كل فرد على الآخر ويطلب منه شيئا ما، بصورة سطحية أو عميقة بصورة مرئية أو غير مرئية، وكل امرأة ينبغي أن تتساءل:

١ـ ماذا يمكن أن أعرض على الرجل الذي يعيش معي؟

٢ـ ماذا أطلب منه؟

هذان سؤالان يوميان، إن لم يكونا سؤالي كل لحظة، ذلك أن العرض والطلب يتغيران بحسب الحالة الداخلية والأمزجة والمتاعب، وجاهزيات الفكر والقلب، وضروب الوفاق أو عدم الوفاق.

ويتغير العرض والطلب بالتأكيد وفق العمر والنضج الداخليين في المرأة، والمرأة التي تملك الزهيد لا يمكنها أن تعرض غير الزهيد، وعندما لا تملك المرأة غير الزهيد، تكون مطالبها في بعض الأحيان لا متناهية، إنها تعرض سحرها النزوي وحبها الطفولي، لأن أنوثتها ضعيفة، وذكورتها عدم من الناحية العملية، وهي، من جهة أخرى، تطلب أن تكون باستمرار مرفوعة

على رؤوس الأصابع محاطة بالرعاية والاهتمام.

وماذا تقدم إلى رفيقها؟ امرأة جعلتها الغيرة متصلبة، إن لم يكن إخلالا؟ وماذا تطلب غير أن تكون المركز الوحيد (المرضي) لرجلها (هي)؟

وما دامت مثل هذه الأوضاع مستمرة، فإن الثنائي لا يمكن أن يؤكد ديمومته، إنه يمضي من آن إلى آن، تحطمه بصورة مستمرة، ضروب اللوم والخصام، والضغائن، ثم يستأنف ديمومته الهزيلة، ولا يكون هؤلاء الرجال والنساء ثنائيا، بل سلسلة من ضروب الثنائي، ضروب تختلف من يوم إلى آخر على الرغم من المظاهر الخارجية.

هاهي ذي امرأة (لها حنان الأم) ماذا تعرض؟ إذا كانت أنوثتها قوية، أمكنها أن تعرض نزعاتها الدافئة، والمتسامحة، والمسؤولة، والحفية، والنشيطة، والمشاركة، ولكنها إذا كانت ذات أنوثة مشوهة، فليس بإمكانها أن تعرض غير نزعة لها حنان الأم المشوّه، وستصبح دبقة ونزاعة إلى الملك، وسلطوية، ومدققة، و(مراقبة).

وماذا تطلب؟ إذا كانت أنثويتها محققة، طلبت ثقة الرجل و(عفويته، وأصبحت بالنسبة إليه، زاد السفر الذي لا غنى عنه، أما إذا كانت أنوثة المرأة مشوّهة، فإنها تقتضي وبصورة لا شعورية أن يبقى الرجل طفلا بوسعها السيطرة عليه، إنها تطلب أن يكون رفيقها بحاجة إليها، بالمعنى السيئ للكلمة، وتريد أن يقدّم إليها تقريرا بصدد كل شيء ولا شيء، ومن المؤكد إنها تتلقى الإجابة التي تطابق ما تعطيه وسيتخلص أي رجل سوي بأي ثمن، من هذه السلاسل التي تحول بينه وبين الحياة، وتمنحه إحساس السقوط مرة ثانية في عبوديات الطفولة.

ويقودنا هذا القدر من الأمثلة إلى التساؤل ما يجري عادة لدى ثنائي، حيث وقعت المرأة، وقد فقدت إستطاعة أنوثتها، في حبائل نقائص صفاتها)[1].

ثانياً: قانون العرض والطلب في بيت فاطمة عليها السلام.

بعد أن أسلفنا أولا لقانون العرض والطلب في علم النفس وكيف يراه علماؤه، نأتي الآن إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام، لنرى كيف أن العرض والطلب يطبق بينهما، وما هي الأصول التي ارتكزت عليها فاطمة عليها السلام في عرضها كزوجة لعلي عليه السلام وماذا تطلب منه.

أخرج العياشي رضي الله عنه في تفسيره، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

«إن فاطمة عليها السلام ضمنت لعلي عليه السلام عمل البيت والعجين والخبز، وقسم البيت، وضمن لها علي عليه السلام ما كان خلف الباب: نقل الحطب وأن يجيء بالطعام.

فقال لها يوما: يا فاطمة هل عندك شيء؟

قالت: والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء نقريك به»[2].

ـ وفي رواية ـ، قالت:

«لا والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة عندي شيء وما كان شيء أطعمناه منذ يومين إلا شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابني هذين الحسن والحسين.

---

(١) المرأة، بحث في سيكولوجية الأعماق لبيير داكوا: ص٣١٧ ـ ٣١٨.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٧١؛ البحار: ج٤٣، ص٣١.

فقال علي: يا فاطمة إلا كنت أعلمتيني فأبغيكم شيئا.

فقالت: يا أبا الحسن إني لأستحي من إلهي أن أكلفك نفسك مالا تقدر عليه»[1].

وفي رواية، قالت:

«كان رسول الله نهاني أن أسألك شيئا فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا تسألي ابن عمك شيئا إن جاءك بشيء عفواً وإلا فلا تسأليه[2].

قال: فخرج علي عليه السلام فلقي رجلا فاستقرض منه دينارا ثم أقبل به وقد أمسى، فلقي مقداد بن الأسود فقال لمقداد: ما أخرجك في هذه الساعة؟

قال: الجوع والذي عظم حقك يا أمير المؤمنين».

قال الراوي: «قلت لأبي جعفر عليه السلام: ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيّ؟! قال: **ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيّ.**

قال علي عليه السلام: فهو ـ أي الجوع ـ **أخرجني، وقد استقرضت دينارا وسأؤثرك به، فدفعه إليه.**

فأقبل فوجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالسا وفاطمة تصلي وبينها شيء مغطى فلما فرغت اجترّت ذلك الشيء فإذا جفنة من خبز ولحم.

قال: يا فاطمة أنى لك هذا؟ قالت:

(١) تفسير فرات الكوفي: ص٨٣؛ البحار: ج٤٣، ص٥٩ ـ ٦٠.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٧١؛ البحار: ج٤٣، ص٣١.

﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[1].

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا أحدثك بمثلك ومثلها؟ قال: بلى.

قال: مثلك مثل زكريا إذ دخل على مريم المحراب فوجد عندها رزقا.

﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

فأكلوا منها شهرا، وهي الجفنة التي يأكل منها القائم عليه السلام، وهي عندنا»[2].

وعند الرجوع إلى علم النفس نجده قد أوكل قانون (العرض والطلب) ومجال تطبيقه إلى أنوثة المرأة، بوصفها هي المعنية بالدرجة الأولى بإنجاح العلاقة الزوجية وكما سميت (بديمومية الثنائي).

وأيضا يتحكم في هذا القانون كل من العمر والنضج الداخليين في المرأة، وبحسب الحالة الداخلية، والأمزجة، وجاهزيات الفكر والقلب وضروب الوفاق أو عدم الوفاق.

لكن كل ذلك وإن كان يتحكم في العرض والطلب إلا أن أنوثة المرأة تبقى هي الركيزة التي يرتكز عليها هذا القانون.

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

(٢) تفسير العياشي: ج١، ص١٧٢؛ البحار للمجلسي: ج١٤، ص١٩٨؛ التفسير الصافي للفيض الكاشاني: ج١، ص٣٣٣.

ومن ثم فمن كانت أنوثتها متحققة، طلبت ثقة الرجل و(عفويته)، وأصبحت بالنسبة إليه زاد السفر الذي لا غنى عنه.

ألف: أنوثة المرأة وعفوية الرجل في مدرسة بيت فاطمة عليها السلام.

فمن كانت ـ أولا وقبل الدخول في البحث ـ (سيدة نساء العالمين) بمقتضى الإرادة الربانية الدال عليها قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

فإنها هي (امرأة كاملة الأنوثة) ومتحققة عندها بأعلى رتبة، وعليه: فهي بالنسبة لعلي عليه السلام كـ(زاد السفر الذي لا غنى عنه).

ويكفي دليلا على ذلك قوله عليه السلام:

«**ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان**»[2].

ورثاها بعد استشهادها قائلا:

أرى علل الدنيا عليّ كثيرة ... وصاحبها حتى الممات عليلُ

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الممات قليلُ

وإن افتقادي فاطما بعد أحمد ... دليل على أن لا يدوم خليل[3]

فهذه الكلمات لا تنبع إلا من معنى حب علي لفاطمة عليها السلام، وقد قال أيضا:

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٢) كشف الغمة للأربلي: ج١، ص٣٧٣؛ البحار للمجلسي: ج٤٣، ص١٣٤.

(٣) بحار الأنوار للمجلسي: ج٤٣، ص١٨٠.

ما لي وقفت على القبور مسلما ... قبر الحبيب فلا يردّ جوابي

أحبيب مالك لا ترد جوابنا ... أنسيت بعدي خلة الأحبابِ

لا خير بعدك في الحياة وإنما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي[1]

باء: ركائز قانون العرض والطلب في بيت فاطمة عليها السلام

من الناحية العلمية التي يهتم بها الباحث وهو يغض النظر (ربما) عن الإرادة الإلهية في اصطفاء وقوام وكمال البضعة النبوية عليها السلام فإن قولها:

«ما أصبح الغداة عندي شيء، وما كان شيء أطعمناه مذ يومين إلا شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابني هذين الحسن والحسين».

وقولها:

«إني لأستحي من إلهي أن أكلفك ما لا تقدر عليه».

هو قمة الأنوثة إذا نظرنا لها من المنظور السيكولوجي (النفسي) للمرأة.

فحالة (العرض والطلب) عند الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام ترتكز على أمرين:

فأولا: إنها تستحي من الله عزّ وجل أن تكلفه بما لا يطيق.

وثانيا: التزاما بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا تسألي ابن عمك شيئاً، إن جاءك بشيء عفواً، وإلا فلا تسأليه».

وإذا نظرنا إلى هذا الشيء الذي لا تريد أن تكلف زوجها به وهو

(١) اللمعة البيضاء للتبريزي الأنصاري: ص٩٨٨.

(الطعام لها ولأولادها)، ثم عرضناه على مائدة (علم النفس) وقارناه بما جاء في البحث بـ(الطلب) وهو (الطعام) الذي أخبرت عنه الرواية، والذي سئل عنه عليه السلام، مقابل (العرض) الذي آثرت به زوجها على نفسها وأولادها على الرغم من احتياجها إليه.

نلمس بعمق سمو الحالة الإنسانية بكل جوانبها عند أهل البيت (بيت علي وفاطمة عليهما السلام) ودنوها اليوم عند كثير من الناس لابتعادها عن نهج أهل البيت عليهم السلام، وتعلقها بمناهج غيرهم فأصبحت الأنوثة من خلال ذلك الابتعاد مشوهة، إن لم تكن مصدومة لما تركته هذه المناهج من ترسبات ذهنية وفكرية على كثير من الأسر المسلمة.

ويكفي بالقارئ المسلم المنصف والأكاديمي أن ينظر إلى تلك الأحاديث التي صاغتها قلوب مريضة وأيد مأجورة عصفت بها المصالح والسياسات، لتصف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وهو يحمل إحدى زوجاته والعياذ بالله على ظهره واضعة خدها على خده كي تستمتع برقصات الأحباش، أي ـ الزنوج ـ ثم لا ينزلها حتى تكتفي من النظر[1].

فلو عرضت هذه الأحاديث وغيرها على طاولة البحث ونظر إليها من المنظور السيكولوجي فكيف تبدو هذه الصورة؟! وما هو (العرض والطلب)؟! وكيف تتحقق (ديمومية الثنائي)؟!

لا شك إنه يلمس بعمق ــ إن كان مسلما منصفا وأكاديميا مدققاً ــ صورة مشوهة، الأنوثة فيها معدومة، فضلاً عن انتهاك حرمة النبي صلى الله عليه

(١) صحيح البخاري، كتاب العيدين: ج٢، ص٣.

وآله وسلم وإيذائه والعياذ بالله.

ومن يؤذ الله ورسوله لعنه الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾[1].

ولذلك لم يجد القارئ صورة أجمل مما يجده في بيت علي وفاطمة عليهما السلام، لأنه ـ وكما أسلفنا ـ البيت الأنموذج في الإسلام، بل في الحياة الإنسانية، وحيثما وجدت علاقة زوجية شرعية بين رجل وامرأة.

ولعل هناك من يسأل عن السبب، وآخر يقول: أين بيوتات النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزوجاته وهنّ أمهات المؤمنين.

والجواب من عدة محاور:

١ـ علة كينونتهن أمهات للمؤمنين غير مرتبطة بعصمتهنّ وكمالهنّ

كونهن أمهات المؤمنين سببه كونهن زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أي: بمعنى أنهن قد حرّمْنَ على كل رجل بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فمن عقد عليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم دخل بها، أم لم يدخل هي قد حرمت على غيره من الرجال فكانت برتبة الأم التي يحرم الزواج منها، وهذا كله كرامة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعظيما لحرمته، وهو ليس له علاقة بهن من حيث التكريم، بل العكس، فهو قانون يشدد عليهن الالتزام ببيوتهن وعدم رؤية الرجال لهن فكيف بالزواج، والقرآن واضح في تشديده على نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(١) سورة الأحزاب: الآية ٥٧.

٢ـ انعدام التكافؤ

لم تكن أي واحدة منهن كفؤاً لسيد الخلق صلى الله عليه وآله وسلم ثم قد تعرض بعضهن للتوبيخ والتحذير في القرآن كعائشة وحفصة في قوله تعالى:

﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾(١).

وقد حذرهن الله جميعا من أن يبدلهن بنساء آخر أفضل منهن:

﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾(٢).

وقد هجرهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جميعا وآلى منهن شهرا(٣)، وطلق حفصة ثم راجعها(٤)، كل ذلك يكشف عن أن بيوتهن لم يكن كبيت فاطمة عليها السلام وهو في طبيعته محال لأنها سيدة نساء العالمين وسيدة نساء أهل الجنة وعليه: فهي سيدتهن، وعليهن التعلم منها.

٣ـ حصر الكفؤ في علي وفاطمة عليهما السلام حقق الثنائي الزوجي الأنموذجي

فاطمة وعلي عليهما السلام كلاهما كفؤ للآخر، فقد مر قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لو لم يخلق الله عليا ما كان لفاطمة كفؤ»(٥).

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٤.

(٢) سورة التحريم، الآية: ٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب المظالم: ج٣، ص١٠٤.

(٤) روضة الطالبين لمحي الدين النووي: ج٦، ص١٨٤.

(٥) ينابيع المودة للقندوزي: ج٢، ص٢٤٤.

فضلاً عن كونها (بضعة النبوة) بنص قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأن عليّاً عليه السلام هو نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن في آية المباهلة:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1].

فهنا بإجماع المفسرين أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخرج عليّاً وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام إلى المباهلة فجعل الله عزّ وجل أبناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين ونفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو علي عليه السلام، ونساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي فاطمة عليها السلام.

وعليه فمن كان هو وزوجه بهذه الرتبة فلا شك أن البيت الذي جمعهما هو البيت الأنموذجي الأول والأخير، ومنه تأخذ العلوم بكل أقسامها وإليه يرجع الطالب للعلم، فمن ركب معهم نجا ومن تخلف عنهم غرق[2].

ثالثا: السبب في بقائها ثلاثة أيام على يسير من الطعام حتى نفد في اليوم الثالث.

قد ورد في الرواية قولها عليها السلام:

«والذي عظم حقك ما كان عندنا منذ ثلاثة أيام شيء نقريك به».

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي: ج٦، ص١٧٦.

وبلفظ آخر:

«والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك بالوصية ما أصبح الغداة عندي شيء، وما كان أطعمناه مذ يومين إلا شيء كنت أؤثرك به على نفسي وعلى ابني هذين الحسن والحسين».

فما هو السبب في بقائها على طعام يسير؟ هل الإمام علي عليه السلام لم يكن حاضرا عندها، أي: إنه في سفر؟ أو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد بعثه في أمر ما فغاب عن فاطمة يومين أو ثلاثة؟

والجواب:

١ـ أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن في سفر أو غياب من البيت، فلو كان كذلك لما طلب منها إخباره، فهذا محال، أي: إخباره بما تحتاج إليه وهو غير موجود.

فإذن: الإمام علي عليه السلام كان حاضرا، لكنه لم يتناول الطعام في بيت الزهراء عليها السلام منذ يومين أو ثلاثة فما هو السبب؟

من الثابت في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام أنه كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يفارقه إلا في حالات خاصة ينصرف فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى شؤون أزواجه، ثم سرعان ما يجتمعان، فإما أن يبعث وراءه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإما أن يأتي إليه علي عليه السلام، وهذه الحالة من التلازم تقتضي أن يكون طعام علي عليه السلام، مشتركا من طعام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فضلاً عن أن بيت علي عليه السلام لا يفصله عن بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا الجدار فهو في المسجد النبوي المطهر.

ولذا فإن طعام علي عليه السلام كان خلال اليومين مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ـ ليس المراد من عدم سؤالها عليّاً عليه السلام من أن يجلب لها شيئاً خلال الأيام الثلاثة من أنها لم تأكل أي شيء لا هي ولا ولداها الحسن والحسين عليهم السلام، فقد دلّ قولها:

«ما أصبح الغداة عندي شيء وما كان أطعمناه مذ يومين (إلا) شيء كنت أؤثرك به على نفسي وابني هذين الحسن والحسين».

إنها قد تناولت ما كانت قد آثرت به عليّاً عليه السلام خلال الأيام السابقة والتي خلت قبل هذين اليومين فلما لم يبقَ عندها سوى ما كانت تؤثر به عليّاً عليه السلام قامت فأطعمت به ولديها ونفسها، ولكنه حتى هذا الشيء قد نفد في صبيحة اليوم الثالث، وهو اليوم الذي كان أمير المؤمنين علي عليه السلام قد سألها في صبيحته (هل عندك شيء؟).

المسألة السابعة: تزيّنها لعلي عليهما السلام.

(الزينة) اسم جامع لكل ما يتزين به[1]، وقد عدّت (الزينة) من بين النقاط المهمة في حفظ العلاقة الزوجية، وعاملا قويا في دوام التفاعل الزواجي.

وبخاصة ونحن نعيش اليوم في مجتمعات قد انفتحت على ثقافات وأخلاقيات مختلفة من العالم فبين ما يعمل الإعلام من نقل لهذه الثقافات من خلال شاشات التلفزة والصحف والمجلات إلى داخل البيت، وبين ما

(١) كتاب العين: ج٧، ص٣٨٧؛ لسان العرب: ج١٣، ص٢٠١.

ينعكس على الشارع من تطبيقات لهذه المشاهدات سواء كانت سلبية أو إيجابية فإن تأثيرها السايكولوجي على أفراد البيت يكون بنسبة لا يستهان بها.

إذ يصبح المرء بين مشاهدتين، الأولى: لصورة تتجدد ألوانها مرات عديدة فينجذب هنا أو هناك وهذا بطبيعة الحال خارج البيت سواء في العمل، أو بجانب مقعد الدراسة أو حتى في موقف الباص، فضلاً عن زحمة الركوب في بعض الباصات التي قد لا يفصلك عن الجنس الآخر بعض مليمترات وقد لا تحصل عليها في مرات أخرى لندرتها كما يحدث في بعض المدن الإسلامية.

فهذه المشاهدات العديدة قد تجمعت في الصورة الأولى والتي هي خارج البيت وبين مشاهدة ثانية لصورة داخل البيت قد لا يرى فيها أي لون فتكون حالته النفسية بين ما يراه خارجا فلا يتمكن من الحصول عليه، وبين ما يطلبه في بيته فلا يجده، فينعكس عليه ذلك سلبا فيصبح في تعكير للمزاج، أو أنه يكون منصرف الذهن مشغول البال مع تلك الصورة التي تكرر ظهورها خارج بيته، فإذا سمع بكاء أحد أطفاله أو بعض كلمات من زوجته تطلب من خلالها بعض حوائج البيت تراه ينتفض عليها! لأنها مع ابنها الصغير قد قطعا عليه تلك اللحظات التي كان منسجماً معها وهو ينظر بعين الخيال إلى تلك الصورة التي لم ينل منها شيئاً، ثم لم يجد لها شبيهاً في بيته إن لم يجد النقيض!!

والنتيجة: واحدة من اثنتين، إما أنه سيصاب لا محالة بالضغط النفسي (Stress) وانعكاساته الخطيرة على الصحة العامة للإنسان (فيبدأ الجسم بإفراز هرمون الأندرينالين، والنوادرينالين وهذان الهرمونان يحدثان في

الجسم تغيرات ملحوظة، فتحت تأثيرهما تزداد سرعة نبض القلب ويتغير قطر الشرايين بشكل واضح فتعيد توزيع كمية الدم على القلب والعضلات الضرورية لمواجهة مصدر الخطر، وتصبح الأنفاس أيضا أسرع وأعمق لتزويد العضلات بكمية أكبر من الأوكسجين فتشتد وتقوى، وتتوسع حدقة العين فيغدو الشخص أكثر تنبها، أما على مستوى الجلد فتنقبض الشرايين، ويزداد إفراز العرق ويقشعر الجسم)[1].

(ويفرغ جسم الإنسان الأورينالين الفائض عن طريق نشاطات جسدية بديلة مثل سحب نفس طويل أثناء التدخين.

ويدفع الضغط النفسي بالغدد الكظرية الواقعة فوق الكليتين إفراز هرمونات أخرى مثل الكور فيزول فترفع معدل السكر في الدم كي تؤمن الطاقة الإضافية للعضلات والدماغ، وهي بشكل عام تعد الجسم لمواجهة معركة البقاء، فضلاً عن تأثير هذه الهرمونات على منطقة الهيبوكامب (Hippocampe) المسؤولة عن الذاكرة وضبط الانفعالات في الدماغ فيشير إلى الأهمية البيولوجية للحدث المسبب للضغط النفسي فيصبح الفشل غير قابل للنسيان[2].

ومن ثم:

فإن استمرار حالة الضغط النفسي يؤدي بالإنسان إلى الإصابة بأمراض جسدية مثل (السكري وضغط الدم وغيرهما).

---

(١) كيف تواجه الهموم والضغوطات اليومية لفاديا عبدوش: ص١١.

(٢) كيف تواجه الهموم والضغوطات اليومية لفاديا عبدوش: ص١١ ـ ١٢.

وهذا نتيجة لما يمر به الإنسان من انعكاسات الحالة التي يعيشها بين ما يراه ولم ينله، وبين ما يراه ولم يجده في بيته.

وأما النتيجة الثانية فهي: انصرافه عن بيته وتبدد الصورة الجميلة التي من أجلها فتح هذا البيت وقرر أن يحيا فيه مع شريكة حياته لينتهي به المطاف إلى جعل هذا البيت عبارة عن مظهر اجتماعي لا يربطه به سوى تلك الضرورة الإجتماعية الدافعة لكلام الناس؛ أما وجوده الإنساني والوجداني فمنصرف إلى تلك الصورة التي رآها خارج البيت.

أولا: كل امرأة فيها جمال دفين فكيف تستطيع من لفت انتباه زوجها وشده إليها؟!

(الجمال) يبقى أنشودة المرأة والرجل معا، لكن المرأة تطلبه في نفسها، والرجل يطلبه فيها.

ولقد حرص الإسلام على حفظ الأسرة من العيوب التي تتخللها، ومنها فقدان الحس الجمالي فيها عبر إهمال المرأة للجمال بوصفها زوجة أو أُما أو أختا إلا أن المرتكز الذي يبنى عليه الجمال في الأسرة هو الزوجة وذلك لما تمثله من صفة السكن النفسي والروحي والاجتماعي للزوج، فبها تتحقق الأسرة. ولاسيما أن القرآن الكريم أوكل إليها هذه السمة، بل وجعلها آية من آياته، فقال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**﴾.

ومن ثمّ: يعد التزيين عاملا مهما في الحياة الأسرية إلا أن البعض لا يدرك أهميته أو لم يلتف إليه أو قد ترى الزوجة أنها لا تحسن اظهار زينتها وجمالها لزوجها).

ومن هنا: يقول أحد المختصين في علم التجميل:

(قد لا تستطيعين ـ يا سيدتي ـ أن تصبحي آية من آيات الجمال ولكن باستطاعتك دون شك الاستحواذ على إعجاب زوجك حتى ولو كان فيك (عيب) ما، أو ما تعتقدين أنت أنه عيب.. وهذه (فينوس) تعد مثالا فريدا لا مثيل له من أمثلة الجمال.. ومع هذا فإن فينوس مقطوعة الذراعين.

فماذا تستنتجين من ذلك؟.. إن (عاهة) فينوس التي اختارها لها النحات العبقري الذي صنعها لم تمنع سحرها الطاغي، وهي تمثال من الحجر، من أن يشده كل من شاهده، وأن يهفو بروحه ويهتف في أعماق نفسه: هذا هو الجمال الحقيقي)[1].

إن الجمال مسألة نسبية بحتة، وقوانين الجمال التي تعارف الناس عليها عرضة للتطور والتبدل، ولم يعد المثل الأعلى للجمال يستوحى من التماثيل واللوحات الفنية التي أبدعها الرسامون والنحاتون، بل أصبح مفروضا على أذواقنا الهشة ما تفرضه شاشات التلفزة والصحافة.

لقد تبيّن لمختصّ التجميل أن العيوب التي تشكو منها بعض النساء ليست في الواقع من الأهمية بقدر ما يتوهمن، وأن هناك من هنّ أسوأ حالا منهن ومع هذا فقد أدرجن في سجل الجميلات الساحرات.

ووراء (الفكرة الثابتة بوجود عيب) أو (الشعور بالنقص) تكمن كل العلة.. فقد تكون هناك من تشعر شعورا مدمّرا بوجود علة في جمالها، وقد لا يلحظ جلساؤها تلك العلة، ولكن شعور الانكسار والهم الذي يسيطر

(١) جمالك سيدتي: ص٢٢-٢٣.

عليها يجعلهم يشعرون بما تتمنى إخفاءه[1].

فكيف بزوجها الذي أصبح مطلعاً على جميع خصوصياتها وهو العارف الوحيد بمكامن جمالها وعيوبها إلا أنها، أي المرأة، تستطيع من لفت انتباه زوجها وشده إليها من خلال معرفتها بمكامن جمالها الروحي والأخلاقي والبدني ومن ثم سيجد الرجل نفسه منقاداً إلى بيته لأنه وجد في بيته ما يجذبه ويغنيه عن بريق كل لون خارج بيته.

فإذن قيادة المعركة اليوم أصبحت بيدها، وهي وحدها القادرة على حفظ بيتها من الانهيار أو التصدع لأنها استطاعت أن تلغي كل تلك الصور المتعددة التي يراها زوجها اليوم وهو خارج البيت أو حتى داخله لأن التلفاز قد ينقل الكثير إليه، ومما لا شك فيه وينقل التلفاز إليها أيضا.

وإن غاب عن ذهنك شيء فلا يغب قول رسول الله ﷺ عندما دخلت عليه إحدى النساء لتسأله عن حقوق الزوج فأجابها قائلا:

«أكثر من ذلك، أي: مما تسألين»!!

فقالت: فخبرني عن شيء منه؟

فقال:

ليس لها أن تصوم إلا بإذنه، يعني تطوعا، ولا تخرج من بيتها إلا بإذنه، وعليها أن تطيب بأطيب طيبها وتلبس أحسن ثيابها وتزين بأحسن زينتها وتعرض نفسها عليه غدوة وعشية وأكثر من ذلك حقوقه عليها»[2].

---

(١) جمالك سيدتي: ص٢٤.

(٢) الرواية عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، أخرجها الكليني رحمه الله في الكافي: ج٥،

ثانياً: هل ترغب المرأة أن ترى زوجها متزيناً لها؟ وما أثر ذلك في العلاقة الزوجية؟

قد يكون الدافع من وراء تزين المرأة هو إظهار جمالها، ومن ثم لفت الانتباه إليها وشد الأنظار لها فيتحقق بذلك إشباع الحس الأنثوي برغبة الزوج إليها، وأحيانا يكفيها أن تشعر أنها جذابة، ولها حضور، وإن لم تتكلم بكلمة أو تقوم بنشاط ما وإن كان هذا من الجمال أيضا، لكن يشترك فيه معها الرجل، أي: سحر البيان، وجمالية العمل.

أما الرجل فقد اختلفت عنده النظرة للزينة، فهو يرى أن زينة الرجل لا تنحصر باللباس الفاخر أو نوع الوسيلة التي يستخدمها في نقله وما إلى ذلك، بل يتعداها إلى إظهار الجوانب الذكورية من البدن المفتول بالعضلات، أو تضخيم الشارب وإطلاق الذقن وترخيم الصوت، أو القيام بالأعمال الشاقة والخطرة، وقد يرى البعض أن زينة الرجل تكمن في رجاحة عقله وبلاغته، وتحكّمه في الأمور، وقيادته للأسرة، بينما ذهب كثير من الرجال ومع الأسف إلى عدم الاهتمام بزينته من خلال اللباس، أو العطر، أو الخضاب؛ لأن هذه الأمور منوطة بالمرأة، ومن ثم فليست هناك ضرورة للتهيّؤ للزوجة.

ربما قد تكون الحالة تختلف بالنسبة للمرأة..، أي: أقصد طلبها لزينة الزوج من حيث اختلاف النظرة للزينة، فهي تراها من الثوابت الجمالية سواء لها أم للرجل، أما هو فقد يراها من المكملات الظاهرية.

ص٥٠٨، وسائل الشيعة: ج٢٠، ص١٥٨، باب: ٧٩ (وجوب تمكين المرأة زوجها من نفسها).

وهذا الاختلاف في النظرة عائد إلى الاعتبار بأن الجمال وتحريكه في الحياة الإنسانية بعد نور المصطفى وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم عائد لها ومنوط بها.

فهي بين جمالية الشكل لحد الفتون، وتناغم الحركة لدرجة السحر، وبريق النظرة لحد الانشغال وعذوبة الابتسامة لحد الارتواء وبين لمسات الأمومة، ودفء الطمأنينة.

كل ذلك وغيره ارتبط بالمرأة، هكذا جعلها الله عز وجل، وهكذا رتبها الإسلام بين رتبة الطهر والجمال وبين العطر والصلاة.

وهكذا عرفها الحس الإنساني: تأخذ القليل، ويبذل لها الكثير، وخذ على ذلك شاهدا أن الثقافات الإنسانية لم تشهد تغزل المرأة بالرجل، بل على العكس ما عرف الغزل إلا لها، حتى أنها قد احتكرت عليه في أدب الشعوب وفنون الأمم.

وما يقاتل الرجال من أجل الذهب إلا ليساغ لها فيما بعد، علّه يحظى بها، أو قد يكتفي البعض بابتسامة منها وهي لا تأبه لقتاله المرير! بقدر ما تأبه لما قدم لها!

ولذلك (التزيين) عرف سابقا وحديثا للمرأة، ولكن لا يعني هذا إنها لا ترغب أن ترى الرجل وهو غير متزين ومتهيئ لها.. بل على العكس ربما تكون أشد رغبة من الرجل في أن ترى شريك حياتها قد تزين وتهيّأ لها؟! لأن من يظهر الجمال أشد رغبة في طلبه.

فتلك حقيقة قد نبهت لها العترة الطاهرة عليهم السلام وبيّنت أثرها في العلاقة الزوجية، وحفظها من الانهيار.. بل من حفظ المرأة نفسها وصون كرامتها وعفتها فكانوا عليهم السلام دعاة للصواب بأعمالهم، وممارساتهم الحياتية، كي يتعلم الناس منهم نظم الحياة الأسرية، وقد ورد عنهم في هذا الخصوص شواهد كثيرة، منها:

١ـ عن ذروان المدائني، قال:

«دخلت على أبي الحسن الثاني عليه السلام[١]، فإذا هو قد اختضب[٢]، فقلت: جعلت فداك قد اختضبت؟! فقال:

«نعم إن في الخضاب لأجرا.. أما علمت أن التهيئة تزيد في عفة النساء، أيسرك أنك إذا دخلت على أهلك فرأيتها على مثل ما تراك عليه، إذا لم تكن على تهيئة؟!».

قال: قلت: لا، قال عليه السلام:

«هو ذاك»[٣].

٢ـ عن أبي جعفر عليه السلام، قال:

«النساء يحببن أن يرين الرجل في مثل ما يحب الرجل أن يرى فيه النساء من الزينة»[٤].

(١) المراد به الإمام علي بن موسى الرضا عليهما السلام.
(٢) مكارم الأخلاق للشيخ الطبرسي: ص٧٩؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج٧٣، ص١٠٠.
(٣) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج٥، ص٥٦٧، باب النوادر؛ وسائل الشيعة: ج٢٠، ص٢٤٦، باب ١٤١؛ مكارم الأخلاق: ص٧٩؛ بحار الأنوار: ج٧٣، ص١٠٠.
(٤) مكارم الأخلاق: ص٨٠؛ بحار الأنوار للمجلسي رحمه الله: ج٧٣، ص١٠١، باب الخضاب.

٣ـ عن ابن فضال عن الحسن بن الجهم قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام وهو مختضب بسواد، فقلت: جعلت فداك قد اختضبت بالسواد؟ قال:

«إن في الخضاب أجرا، إن الخضاب والتهيئة مما يزيد في عفة النساء، ولقد نترك النساء العفة لترك أزواجهن التهيئة لهن»[1].

٤ـ عن عبد الله بن مسكان، عن الحسن الزيات البصري، قال:

(دخلت على أبي جعفر عليه السلام أنا وصاحب لي فإذا هو في بيت منجد وعليه ملحفة وردبة وقد صف لحيته واكتحل فسألناه عن مسائل فلمّا قمنا قال لي:

«يا حسن».

قلت لبيك، قال:

«إذا كان غدا فأتني أنت وصاحبك».

فقلت: نعم جعلت فداك.

فلما إن كان من الغد دخلت عليه فإذا هو في بيت ليس فيه إلا حصير وإذا عليه قميص غليفا ثم: أقبل على صاحبي فقال:

«يا أخا أهل البصرة إنك دخلت عليّ أمس وأنا في بيت المرأة وكان أمس يومها والبيت بيتها والمتاع متاعها فتزيّنت لي على أن أتزين لها كما تزينت لي

(١) الكافي: ج٦، ص٤٨٠، باب: الخضاب؛ من لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق رحمه الله: ج١، ص١٢٢، باب: غسل يوم الجمعة؛ وسائل الشيعة: ج٢، ص٨٨، باب: ٤٦؛ مكارم الأخلاق للطبرسي: ص٧٩؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج٧٣، ص١٠٠.

فلا يدخل قلبك شيء».

فقال له صاحبي: جعلت فداك قد كان والله دخل قلبي شيء فأما الآن فقد والله اذهب الله ما كان وعلمت أنّ الحق فيما قلت)[1].

٥ـ عن صفوان عن برير عن مالك بن أعين الجهني[2] قال:

(دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام وعليه ملحفة حمراء جديدة شديدة الحمرة فتبسمت حين دخلت!

فقال:

«كأني أعلم لم ضحكت؟ ضحكت من هذا الثوب الذي هو عليّ، إن الثقفية[3] أكرهتني عليه وأنا أحبها، فأكرهتني على لبسها».

ثم قال:

«إنا لا نصلي في هذا، ولا تصلوا في المتبع المضرج».

قال مالك بن أعين: ثم دخلت عليه وقد طلقها! فقال عليه السلام:

«سمعتها تبرأ من علي عليه السلام فلم يسعني أن أمسكها وهي تبرأ منه»[4].

---

(١) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج٦، ص٤٤؛ وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٥، ص٣٢، باب ١٧؛ بحار الأنوار للمجلسي: ج٧٣، ص١٠١، وج٤٦، ص٢٩٣.

(٢) مالك بن أعين الجهني البصري، عده الكشي رحمه الله من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وقال: هو ابن عم أعين وليس من أخوة زرارة، رجال الكشي: ص٣٨٨، برقم ٢١٦؛ رجال ابن داود: ترجمة رقم ١٢٣١، ص٢٨٢ ـ ٢٨٣؛ رجال البرقي: ص١٣ وقد عده من أصحاب الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام.

(٣) أي زوجته التي كانت من بني ثقيف، فالثقفية نسبة إلى قومها.

(٤) الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج٦، ص٤٤٧.

وفي هذه الشواهد كفاية في بيان ضرورة أن يتزين الرجل للمرأة، ويتهيأ لها كما تتزيّن هي له.

فضلاً عن أثر هذا الفعل في عفة المرأة، أي ميولها النفسي لغير زوجها ثم إن الأحاديث تظهر حقيقة أخرى وهي: (شدة تأثر المرأة بالحس الجمالي)، وأن هذه الظواهر الحياتية والتي تصادفها في العمل، أو في الدراسة، أو حتى في محيط الأسرة، لها أثر سلبي في حصانتها، ولاسيما إذا كانت هذه الأسرة قد تخلقت بأخلاق لم تمد بصلة إلى واقع المجتمع الإسلامي والعربي، وإن كانت تحيا في إحياء محافظة.

ثالثا: ما هي زينة فاطمة عليها السلام وكيف كانت تتزين؟

لم يغب عن فاطمة عليها السلام وهي تقوم بتأدية وظيفتها كزوجة الاهتمام بزينتها وتزينها لعلي عليه السلام.

ولكن الزهراء عليها السلام لم تستخدم أدوات التجميل المعهودة لدى النساء، وإن كانت بحسب عصرها بسيطة، ومقصورة على العطر والكحل وغيرهما، كما أن الاكسسوارت لم تعرف طريقها إلى بيتها! ليس بسبب عدم معرفتها بها، فقد كانت العقود والأساور والتيجان والحلق والخواتم تسحب أرتالها أين ما تحركت المرأة منذ بدء النمو المعرفي لدى الإنسان، فضلاً عن ما حمله القرآن من وصف للحلي والزينة واللباس الفاخر الذي وعد الله به المؤمنين.

فضلاً عن ذلك أن الرجال سابقا كانت تضع من القلائد والأساور ما يفوق أحيانا ما تضعه المرأة.

كل هذا لم يغب عن معرفة الزهراء عليها السلام به، كما لم يغب عن سوق مكة والمدينة سواء ما كان يصنع محليا وبخاصة لدى اليهود وحرصهم على تجارة الذهب واقتنائه، أو ما كانت تحمله قوافل التجار من مادة مصنعة خارجيا، أي: ما يرد إلى الشام من بضائع رومانية وفارسية، وما يرد إلى اليمن من بضائع أفريقية، ومنهما إلى سوق مكة والمدينة.

ولذلك: العروض من البضائع المختلفة في كل زمن متوفرة، والأذواق متعددة، والطبقية متجذرة في كل مجتمع، ويبقى الإنسان أين ما حل يطلب الجديد ويميل إلى ما هو متميز، وتبقى المرأة تواقة إلى التزيين حتى وإن اقتصر على عيدان القش كما هو حال بعض القبائل الآسيوية والأفريقية.

ويبقى السؤال مطروحاً: كيف كانت تتزين سيدة نساء العالمين عليها السلام؟

مما لا شك فيه أن المرأة تستخدم الزينة في كل الطبقات التي تشغلها، من كونها ربة بيت أو أستاذة جامعية، أو سفيرة، أو وزيرة، أو أميرة، أو ملكة، فكل واحدة منهن تتزين بحسب ذوقها وتعليمها ورتبتها الاجتماعية، ومن البديهي أن ما تتزين به من كانت ملكة ولها عرش كملكة سبأ التي وصفها القرآن بقوله:

﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[1].

أو كملكة تدمر زنوبيا، وغيرهما من الملكات والأميرات قديما وحديثا فإن ما يتزيّن به قطعا يختلف عن بقية النساء، والعلة بديهية.

(١) سورة النمل، الآية: ٢٣.

ولذلك هذه البديهة في أمر التزين الذي رافق الطبقية، والرتبية بين النساء تستلزم من الناحية العقلية والذوقية أن تكون زينة سيدة نساء العالمين أيضا تتناسب مع هذه الرتبة، بل الحس الجمالي يستلزم من زينة سيدة نساء العالمين وهي بهذا الموقع أن تكون فريدة، ولا مثيل لها بين ما يتزين به النساء قديما وحديثا، وأن تقدم أمر الحداثة حتى يوم يبعثون؛ لأن هذا المقام الرفيع لم ولن يشغله غير بضعة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

وبالفعل فقد زيّنها الله عزّ وجل بزينة تنسجم مع كونها سيدة نساء العالمين من ناحية، ومع سنخ جوهرها من ناحية ثانية.

فإليك أيها القارئ الكريم ما ورد عن أهل بيت النبوة عليهم السلام في نوع زينة فاطمة وكيف كانت تتزين لزوجها أمير المؤمنين ومولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقد أخرج الشيخ الصدوق رحمه الله عن محمد بن جعفر الهرمزاني عن أبان بن تغلب قال:

(قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسول الله لم سميت الزهراء: زهراء؟ فقال:

«لأنها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرات بالنور، كان يزهر نور وجهها صلاة الغداة والناس في فراشهم فيدخل بياض ذلك النور إلى حجراتهم بالمدينة فتبيض حيطانهم فيعجبون من ذلك فيأتون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسألونه عما رأوا فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيأتون منزلها فيرونها قاعدة في محرابها تصلي والنور يسطع من محرابها ومن

وجهها فيعلمون أن الذي رأوه كان من نور فاطمة.

فإذا انتصف النهار وترتبت للصلاة زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة فتدخل الصفرة حجرات الناس فتصفر ثيابهم وألوانهم فيأتون النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيسألونه عما رأوا فيرسلهم إلى منزل فاطمة عليها السلام فيرونها قائمة في محرابها وقد زهر نور وجهها صلوات الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها فيعلمون أن الذي رأوا كان من نور وجهها.

فإذا كان آخر النهار وغربت الشمس أحمر وجه فاطمة عليها السلام فأشرق وجهها بالحمرة فرحا وشكرا لله عزّ وجل، فكان تدخل حمرة وجهها حجرات القوم وتحمر حيطانهم فيعجبون من ذلك ويأتون النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويسألونه عن ذلك فيرسلهم إلى منزل فاطمة فيرونها جالسة تسبح الله وتمجده ونور وجهها حتى ولد الحسين عليه السلام فهو يتقلب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمة منا أهل البيت إمام بعد إمام»[1].

نقاط البحث في الحديث

أولا: قوله عليه السلام:

«لأنها تزهر لأمير المؤمنين عليه السلام في النهار ثلاث مرات بالنور».

١ــ أي: إنها كانت تتزين له في اليوم ثلاث مرات، لكن كما أسلفنا أن هذه الزينة تختلف عن زينة كل امرأة منذ حواء زوجة آدم عليها السلام وإلى يوم القيامة، فهي زينة مادتها نورانية وأثرها نوراني ومنشأها رباني.

(١) علل الشرائع: ج١، ص١٨٠؛ مناقب آل أبي طالب للمازندراني: ج٣، ص٣٣٠؛ البحار للمجلسي: ج٤٣، ص١١.

٢ــ قالوا في اللغة: (الزهرة) نور كل نبات، وزهرة الدنيا حسنها وبهجتها، وشجرة مزهرة ونبات مزهر، والزهور: تلألؤ السراج الزاهر، والزاهر والأزهر: الحسن الأبيض من الرجال وقيل: هو الأبيض فيه حمرة، ورجل أزهر، أي: أبيض مشرق الوجه، والأزهر: الأبيض المستنير.

والزهرة: البياض النير وهو أحسن الألوان، ومنه الحديث الشريف: أكثروا عليّ الصلاة في الليلة الغراء واليوم الأزهر، أي: ليلة الجمعة ويومها.

والأزهران: الشمس والقمر لنورهما، وقد زهر يزهر زهرا، وزهر فيهما وكل ذلك في البياض.

والأزهر: النيّر.

ودرة زهراء: بيضاء صافية، وأحمر زاهر: شديد الحمرة.

ومن صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم أزهر اللون، وزهر الشيء يزهر: بفتحتين: صفا لونه وأضاء[1].

ثانيا: قوله عليه السلام:

«فإذا انتصف النهار وترتبت للصلاة زهر نور وجهها عليها السلام بالصفرة».

١ــ قال العلامة المجلسي رحمه الله في بيانه للحديث: إن المراد من (ترتبت)، أي: ثبتت في محرابها كما في اللغة أو تهيأت في الترتيب العرفي بمعنى جعل كل

(١) كتاب العين للفراهيدي: ج٤، ص٦٣؛ لسان العرب لابن منظور: ج٤، ص٣٣١؛ مجمع البحرين: ج٣، ص٣٢١.

شيء في مرتبته ويحتمل أن يكون تصحيف تزينت[1]، انتهى كلامه رحمه الله.

٢ــ وهذه حالة خاصة بفاطمة عليها السلام فقد ورد في وصف الأئمة كعلي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام أنه إذا تهيأ للصلاة كان يرتعد ويتغير لون وجهه فسأله سائل عن ذلك، فقال للسائل:

«**ويلك بين يدي من أقف**»[2].

ومن قبله كان جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كذلك فإذا أذن المؤذن لم يعرف أهلا ولا حميماً، أما أمير المؤمنين علي عليه السلام فكان يغمى عليه في مناجاته لربه.

أما فاطمة عليها السلام: فإنها إذا حان وقت الصلاة ثبتت و(الثبوت) لا يكون إلا في حالة الاستقرار والطمأنينة وهما لا يتحققان إلا بذوبان الذات في العبودية كالماء الذي علقت فيه الشوائب فإنه لا يصفو حتى يستقر ويثبت فإن تم ذلك ظهر صفاؤه وزهر لونه.

ثالثا: تنقل النور من اللون الأبيض إلى اللون الأصفر ثم إلى الأحمر يشير إلى الحركة الدورانية للنور الفاطمي، فالشمس وهي عمود الحياة قبل شروقها يسبقها ظهور اللون الأبيض، وعند الزوال يكون شعاعها أصفر وعند الغروب يكون أحمر، وهو يشير بذلك إلى تنقل مجاميع الفيض الإلهي، وهم المدبرات أمرا عليهم السلام لذلك النور.

فكما أن الشمس هي السبب الذي جعله الله عزّ وجل لمد الأرض بالحياة،

(١) البحار: ج٤٣، ص١٢.

(٢) ينابيع المودة للقندوزي: ج٣، ص١٠٥.

كذلك نور الإمامة جعله الله السبب الذي تقوم به الأرض، ولذا ورد في الحديث الشريف:

«**لولا الحجة لساخت الأرض بأهلها**»[1].

ولذلك:

«لم يزل ذلك النور في وجهها حتى ولد الحسين عليه السلام فهو يتقلب في وجوهنا إلى يوم القيامة في الأئمة منا أهل البيت إمام بعد إمام».

كما أشار إليه الإمام الصادق عليه السلام.

(١) مستدرك سفينة البحار للشيخ علي النمازي: ج٥، ص٢٧٨.

الفصل الثاني

الأمومة في بيت علي وفاطمة

(عليهما السلام)

توطئة:

الأمومة.. هي من أسمى المعاني التي تدل على شخص المرأة، والأمومة.. هي حاضنة الحياة بكل أجناسها.. وهي دور من أدوار الرقي الإنساني تسمو بسمو المرأة، وتنحدر بانحدارها.

ولذا.. طاب المحتضن بطيب حاضنته.. يكفيك من ذاك دليلا من احتضنه حجر فاطمة عليها السلام[1].

وقد اختلفت الثقافات في رسم صورة الأم وتحديد أبعادها واختيار ألوانها، ومن بين هذه الثقافات برزت الثقافة الإسلامية التي أعطت صورة رائعة للأم، فهي ما بين الرتبة الشرعية وما يرتبط بها من أحكام وحقوق، وبين الرتبة الاجتماعية التي تكونت لها من خلال الكم الهائل الذي نطقت به تراجم الوحي، وهم العترة النبوية عليهم السلام، انطلاقا من قول معلم البشرية صلى الله عليه وآله وسلم:

«**الجنة تحت أقدام الأمهات**»[2].

---

(١) قدم الإمام الحسين عليه السلام للإنسانية حقيقة ودور حجر الأم وأثره في تكوين الشخصية عندما خيّر يوم عاشوراء بين القتال والموت أو الاستسلام والذلة، فرد على هذا الخيار قائلا: ألا إن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله وحجور طابت وطهرت.

(٢) ميزان الحكمة لمحمد الريشهري: ج٤، ص٣٦٧؛ نيل الأوطار للشوكاني: ج٧، ص٤.

المبحث الأول
مفهوم الأمومة ومراحلها.

المسألة الأولى: الأمومة في المنظور النفسي والاجتماعي.

إن الدراسات المعاصرة في العلوم النفسية والاجتماعي قد أولت الأمومة حيزاً كبيرا من البحث والاستنتاج (فالأمومة في سيكولوجيا المرأة تعد المرحلة الخطيرة في حياتها؛ لأنها فرصة رائعة لها كي تحقق شعورها المباشر بالخلود.

إنّ وظيفة المرأة التناسلية ليست عملية فردية ومتكررة بل هي تنطوي على شعور باطني في نفس المرأة يشعرها بأنها القطب المبدع في الإنسانية، القطب الذي يحقق ظفر الحياة على الموت دائما، وليست الأمومة بالمرحلة البيولوجية الصرفة، بل هي تنطوي على وحدة بسيكولوجية مليئة بالذكريات والرغبات والمخاوف تتجمع قبل مرحلة الأمومة بكثير)[1].

فروح الأمومة: تعني فكرتين.. الأولى: مجموعة المميزات الخاصة التي تطبع شخصية المرأة، والثانية: الحوادث المثيرة التي تحرك المرأة عند رؤيتها لطفلها وشعورها بضعفه.

ومنذ البدء نستطيع أن نقول أن ضعف الطفل هو الموجه الأول في نفسية الأم بمقدار ما يتحرر الطفل من حاجة أمه إليه، فتغير نفسية الأم وتعود إليها الروح النرجسية.

ذلك أن الأمومة تقتضي قبل كل شيء تخلي الأم عن كثير من أنانيتها، أما

(١) سيكولوجيا المرأة لهيلين دوتش: ص٤٤.

الأمهات اللواتي تحررن من الروح النرجسية فإنهن يعطفن عطفا طبيعيا على أولادهن وينتظرن الساعة التي يكبرون فيها ويتحررون من حاجتهم إلى الأم.

والواقع أن هذه الغبطة تقف إلى جانب العذاب الذي تعانيه المرأة في رعاية طفلها فالأم السوية تنظر إلى عذابها وأفراحها نظرة المتقبل الراضي لأن (الأنا) فيها تعبر بالعذاب والفرح عن فعاليتها وتكونها تبدو لنا مثل هذه الفعالية في حرص الأم على طفلها.

وقد ينقلب هذا الحرص عند بعض النساء إلى سلوك قاس شرس وهذا يذكرنا بتلك الشراسة التي تبديها أنثى الحيوان في النضال لكي تؤمن مكانا وغذاءً لصغارها ولكي تحميها.. ولعل هذا الدافع هو الذي جعل العلماء يعدّون غريزة الأمومة أقوى الغرائز في المرأة، والواقع أن غريزة الأمومة والحب الأمومي هما عنصران يختلفان في نفسية الأم، فالغريزة هي ذات أصل بيولوجي وكيمياوي وبينما الحب عند الأم يعدّ تعبيرا مباشرا للعلاقات الإيجابية مع الطفل.. ولذا فإن ملامح هذا الحب تبدو لنا يسمونه (الحنان).

والواقع أننا مطالبون منذ البدء بأن نفرق بين الناحيتين العاطفية والبيولوجية في حياة الأم وهذا التفريق يدفعنا إلى أن نلتمس في كل من العنصرين (غريزة الأمومة والحب الأمومي) فرقا أيضا، وهذا يدفعنا إلى أن نعد فروقا كبيرة بين الغريزة الجنسية التي تلعب فيها العاطفة دورا كبيرا، وبين غريزة التناسل التي تعدّ شيئا بيولوجيا محضا، والواقع أن اكتفاء الشهوة الجنسية هو الهدف المباشر لهذه الغريزة وليس التناسل إلا نتيجة للفعل الجنسي، وهذه الصفة التي تتصف بها الحاجة الجنسية تجعلنا نعدّ لها

هدفا آخر: هو حفظ النوع، وحفظ النوع هو شيء يأتي بعد الحماية الجنسية أيضا، فكثيرا ما نلمس في بعض النساء يجعل شعورهن بالتناسل وبالأمومة وحفظ النوع شيئا لا وجود له، وعلى الرغم من هذا فإن لغريزة حفظ النوع والتناسل أثرا كبيرا في الحاجة الجنسية.

فعلم البيولوجيا يرينا أن بعض الحيوانات تعدل حاجتها الجنسية وفق غريزة حفظ البقاء، وكثيرا ما تخفق شهوة الأنثى عندما تحمل، كما أننا نلاحظ أن الأنثى تتعرض لنفس الشيء أثناء الرضاعة وهذا يدفعنا إلى أن نلمس عناصر فكرية وروحية في هاتين الغريزتين في الأم، الغريزة الجنسية وغريزة حفظ البقاء أو التناسل.

على أن روح الأمومة وعلاقتها بالناحية الجنسية تخضع لكثير من التعقد، ولذلك فإن أول ما نلاحظه في بعض سمات هذه العلاقة هو أن هناك نساء لا يحملن نزعة جنسية ولا عاطفة الأمومة، كما أن هناك أخريات يحملن قوة في كلتا النزعتين، كما أن هناك نماذج كثيرة من الاختراق ما بين هاتين النزعتين، فثمة امرأة تحب زوجها ولكنها تحجم عن الاتصال به لمجرد تصورها أنه قد لا يكون أبا صالحا لأبنائها.. كما أن بعض النساء يفكرن بالناحية الغريزية أكثر من الأمومة.. والمرأة السوية هي التي تتحقق لديها في شخص زوجها حاجتها الغريزية ونزعتها إلى الأمومة، وبذا نستطيع أن نقول: إن هناك محذورا عن سيطرة ناحية من هاتين الناحيتين على حياة الأم، وهذه السيطرة تتعلق بلا شعور المرأة)[1].

(١) سيكولوجيا المرأة لهيلين دوتش: ص٤٤ ـ ٤٥.

(وقد صور بلزاك في كتابه (ذكريات متزوجة) نفسية امرأة كانت تشعر بفظاعة وجودها لأنها لم يكن لها أولاد وكانت تشعر بأن المرأة إنما وجدت لتكون أما، كانت تقول: إن أفكارا رهيبة تمتلكني تتمثل في هذه الفكرة: (ألا يتاح لي كائن حقير يدعوني أما له).

بينما كانت امرأة أخرى تشعر بأن المرأة: (إنما هي كائن وجد من أجل الحب فقط)، وكانت تقول: (لا شيء يعدل ملذات الحب) على أن السبب الرئيس في وجود هذا الفاصل بين هاتين النزعتين هو حب الأم لطفلها هذا الحب الذي يعدّ مزاحما لحبها للرجل.

وتصور لنا كثير من الروايات أقاصيص عديدة عن نساء كان فيهن صراع بين حب الأب وحب الولد، هذا الصراع الذي يكون كثيرا من الكوارث، ولكن الدافع الداخلي لحب الطفل هو حب الأم لنفسها وتعلقها بفكرة الخلود عن طريق التناسل، وهذا الحب هو بحد ذاته فرار وخوف من قبل المرأة من أن تنتقص قيمتها، على أن النساء اللواتي يعشن في حالة طبيعية يظهرن عاطفة الأمومة على نحو واحد، فمنهن من تتحول فيهن عاطفة حب الابن إلى عاطفة مجردة، وبذلك تكون الأم قد تعرضت لنوع من فقدان الشخصية، فيما يتعلق بأمومته، وأما النوع الآخر فهو الذي يحس بأن هذا النوع من العاطفة مفقود عنده.

والخلاصة: أن الشروط المادية لحياة المرأة والوسط الاجتماعي، والتجارب السابقة واللاحقة توجد عند مختلف نماذج النساء اختلافات فردية كما أن علاقة المرأة بزوجها وأسرتها والوضع الاقتصادي وتأثير علاقتها بطفلها كل

هذا يفرض على روح الأمومة في المرأة طابعا شخصيا)[1].

المسألة الثانية: متى تبدأ المراحل الأولى للأمومة عند المرأة؟

تتناول الباحثة هيلين دوتش مراحلة الأمومة بقولها: (تبدأ المراحل الأولى للأمومة عند المرأة منذ شعورها بأنها قادرة على التناسل، وتبدأ نفسيا هذه المرحلة ـ أي: مرحلة الشعور بالقدرة على التناسل ـ عندما تشعر المرأة بأن (الأنا) فيها لا تزدهر وتتضح إلا في تحقيقها للأمومة، فثمة انفعالات كثيرة ترافق هذه المرحلة وتسمح (للأنا) بأن تحل مشكلات كثيرة ولم تكن تستطيع حلها من قبل، ويبدأ هذا بفهمها لكثير من المشاكل الجنسية التي لم تكن تعرفها وبذلك ـ تكون النتيجة النفسية الأولى لهذه المرحلة: تخلص المرأة من الهموم الكثيرة التي كانت تملأ نفسها قبل هذه المرحلة ـ أي: مرحلة الشعور بالقدرة على التناسل.

ومنذ دخولها في هذا الطور تشعر بالضعف والاستقلال بنفس الوقت ويغمرها شعور بالألم ونزعة إلى الشر. إن جميع هذه المشاعر تكون في البدء في اللاشعور وهي على الرغم من أنها تكون جانبا كبيرا من الغنى في نفس المرأة فهي تسبب كثيرا من الاضطرابات في نموها السيكولوجي، ولابد لنا لكي نفهم هذه المراحل بدقة من أن نربط مرحلة الأمومة بالناحية الجنسية فالواقع أن التغيير الأول لمرحلة الأمومة ينشأ من أن تتوجه نفسية المرأة وفاعليتها إلى الولد فهي منذ أن تتوضح أمامها هذه الغاية تتغير أشياء كثيرة في نفسيتها وهذا التغير يتمثل في تخيلاتها الكثيرة وفي نظرتها إلى علاقتها الجنسية مع

(١) سيكولوجيا المرأة لهيلين دوتش: ص٤٥ ـ ٤٧.

الرجل... وبذلك نستطيع القول إن عناصر شتى فكرية وعاطفية وانفعالية تدخل في نفسية المرأة في هذا الدور الأول[١].

ومن أول مظاهر هذا التحول (تحول الرغبة) في المرأة في أن تكون رجلا إلى رغبة في أن تكون مع طفلها كائنا واحدا، وهذا يعبر عن نزعة ديناميكية قوية في نفسيتها ونتيجة ثانية تنتج عن هذا التحول هي هذا الانتقال في عواطف المرأة من النزعة الانفعالية إلى نشوء النزعات الفعالة فتشعر المرأة بأنها قد أصبحت شيئا يستطيع أن يولّد.

ولا ريب أن شعورا كهذا يلعب دورا كبيرا في نفسيتها، وبذلك فإن النساء كثيرا ما يقوين في نفوس بناتهن هذه الروح الفعالة باعتبار أنها شيء يعزيهن كثيرا كأن تقول المرأة مثلا لابنتها: حقا إنك لست رجلا ولكن سوف يكون لك طفل.

(وبذلك تغذي في نفس المرأة شعورا عميقا بالاكتفاء) ولكن هذه المراحل التي تبدأ فيها العقد النفسية عند المرأة تعد بالفعل مرحلة ما قبل الأمومة وهي تنمو وتنحل ضمن إطار ما يسمونه عقدة (أوديب) ذلك أن الأب هو العامل الأول الذي يعيض بشكل فعال في نفس الفتاة، وصفة الرجولة في الأب هي التي تجعل له هذه الأهمية. ومن هنا نستطيع أن نفهم من اعتبار الفتاة لأمها عزيمة لها منذ أن ينبثق في نفسها شعور الأمومة.

أما المرحلة الثانية من هذا التهيؤ للأمومة فهو يرجع إلى مرحلة المراهقة، والواقع أن الأخلاقية ــ في مرحلة المراهقة ــ تكون لا شعورية في نفس الفتاة

(١) سيكولوجيا المرأة لهيلين دوتش: ص٤٥ ـ ٤٧.

ولكنها تؤثر كثيرا في إعداد نفسية الفتاة للأمومة، والذي يلعب الدور الحاسم في هذا الإعداد هو الحيض، والحيض يلفت نظر المرأة إلى جسدها فتشعر بحاجة كبيرة إلى ـ الاهتمام ـ ببعض النواحي في جسدها وتربط ما بين هذا ـ الاهتمام ـ وبين استعدادها لأن تكون أما.

والفتاة تحتاج إلى وقت كثير لكي تتحرر من الترسبات النفسية التي تجد لها في نفسها عقدة (أوديب) المرتبطة بما هو جنس فيها ومنذ أن تتحرر من هذه العقدة تكون قد وضحت لنفسها حقيقة الانفصال بين الناحية الجنسية والأمومة..

وتختلف النساء اختلافا كبيرا في هذا التحرر فبعضهن يتعرضن لازمات كثيرة قبل أن يستطعن ذلك، أي: قبل أن يشعرن بوظيفتهن الحقيقة كأمهات على أن هناك عددا من النساء لا يلبث فيهن هذا التحرر متأخرا حتى أنهن في كثير من الأحيان يتزوجن وينجبن أولادا دون أن يستطعن التفريق بين كونهن نساء يعدن الناحية الجنسية وسيلة للذة أو يعدنها وسيلة للتناسل.

على أن هذه الأشياء كلها تقودنا إلى فكرة بسيطة وهي أن مراحل ما قبل الأمومة بكل ما فيها من اضطرابات بيولوجية ونفسية إنما تنتهي بأن تكوّن نفسية أم كاملة تقدر مسؤوليتها.. وبذلك فإننا نستطيع أن نقول: إن ما امرأة إلا وتكون عندها قابلية للأمومة.. ولكن هذا لا يعد نفوسهن لأن يكن غيريات مع عدم التضحية بأنانيتهن وذلك بتخلصهن من الاضطرابات التي يكونها الجهل في هذه النفوس...)[1].

(١) سيكولوجيا المرأة للدكتورة هيلين دوتش: ص٤٧ ـ ٤٨.

ولكن.. لا يمكن أن تكون هناك امرأة كنموذج حي للأمومة غير الزهراء عليها السلام، والعلة في ذلك: هو أن المعد لها كأم هو الله عزّ وجل بمقتضى قوله في آية التطهير:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١].

وهذه الإرادة الإلهية اقتضت أن تكون الزهراء عليها السلام أماً للأئمة وهم ثقل القرآن وحجج الله على الخلق، ولذا ورد في كناها (أم الأئمة) و(أم الأنوار).

وثانيا: ليس للجهل موضعٌ في شخصية الزهراء عليها السلام وهي المصطفاة من الله تعالى كما اصطفى مريم عليها السلام.

﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾[٢].

وهي المتعلمة في مدينة العلم وأكمل الخلق صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذلك: لا شيء اسمه (اضطرابات نفسية)، بل اطمئنان وسكينة، وهي الواضعة لحدود وشكل المرأة الغيرية، والذاتية، لأن لفظ (الأنانية) وإن كان يعطي مفهوما سلوكيا إيجابيا بحسب ما أرادته الباحثة في علم السيكولوجيا، بقولها: (إنّ هناك فتيات يعدن نماذج حية للأمومة، وهنّ اللواتي يستطعن أن يعددنَ نفوسهنّ لأن يكنّ غيريات مع عدم التضحية بأنانيتهن، وذلك بتخلصهن نهائياً من الاضطرابات التي يكونها الجهل في هذه النفوس)[٣].

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) سورة آل عمران: الآية ٢٤.
(٣) سيكولوجيا المرأة، ص ٨٤.

إلا أن هذه النظرية لا يصح استخدامها في الإشارة إلى سيدة نساء العالمين عليها السلام لأنها تعطي أيضا مدلولا سلبيا.

ولذا أشرت إلى لفظ (ذاتية) أي: إشارة إلى محافظة الزهراء عليها السلام على ذات المرأة إثناء دورها كأم.

فهي (غيرية) لأولادها، و(ذاتية) لنفسها كامرأة، وبذلك يكون دورها كـ(أم) هو الأنموذج الحي للأمومة في الوجود الإنساني.

المبحث الثاني

حملها بالإمام الحسن عليه السلام

تعد ولادة الإمام الحسن عليه السلام الظاهرة الأولى للأمومة في بيت فاطمة عليها السلام وحينما نقول بيت فاطمة فهذا يعني أننا نتحدث عن بيت النبوة وموضع الرسالة ومهبط الوحي فما بيت فاطمة إلا بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الرسالي الذي أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه.

إلا أننا ونحن نخوض غمار البحث في بيت (فاطمة الأم) فلابد أن نعرج أولاً إلى تلك المباحث في العلوم النفسية والفايسولوجية والاجتماعية لمعرفة ما توصل إليه المختصون ولو إجمالاً في تأثيرات الحمل والولادة على نفسية المرأة وانعكاسات ذلك على سلوكها في الحياة، وبما أننا نتحدث عن شخصية رسالية ومصطفاة من قبل الله تعالى فلابد أن نعيَ تلك التأثيرات التي ترافق حالة الحمل وانعكاساتها على شخصية المرأة الأنموذج كي نستمد الدروس والحكمة منها في تعاملاتناوسلوكياتنا الحياتية.

وعليه: بدأت أولاً ببيان رأي أهل العلوم النفسية والاجتماعية في هذا الخصوص قبل الإشارة والحديث عن الجانب الروائي.

المسألة الأولى: مرحلة الحمل

تعدّ مرحلة الحمل من أهم المراحل التي تحدد نمط وهيكلية شخصية المرأة، وهي المحطة التي يتم فيها الانتقال من عالم الفردية والركود إلى عالم التعددية والتجديد والمشاركة في بناء المجتمع الإنساني.

والحمل تتدخل فيه عوامل بيولوجية ونفسية واجتماعية، وإن كل عامل

من هذه العوامل له آثاره التي يتركها على المرأة (وقد أثبت الطب الحديث أن حادثة الحمل في الواقع هي حادثة اضطراب جسدي في حياة المرأة ولكنها تعبر عن فعالية داخلية في نفسيتها، ذلك أن الميول السيكولوجية تسلك فعالية كبيرة قد تؤثر في هذه الحادثة تأثيرا حاسما، وقد بين الطب الحديث أن الناحية السيكولوجية قد تسبب العقم للمرأة كما أنها تسبب كثرة النسل)[1].

المسألة الثانية: الآثار النفسية والاجتماعية لحادثة الحمل

ألف: الآثار النفسية.

إن الآثار النفسية الأولى لحادثة الحمل تبدو بشكل واضح في محاولة المرأة لإخفاء كل شيء عن حادثتها الجديدة، فهي تعدّ جميع هذه الأمور خاصة بها وسرية وذلك يعيد إلى ذاكرتنا موقف الفتاة من نفسها ومشاكلها في زمن (المراهقة) الزمن الذي نستطيع أن نسميه (بالسري) لكثرة ما تضم فيه الفتاة من أسرار وألغاز حول النواحي العاطفية في حياتها.

وسبب هذه النزعة الجديدة في حياة المرأة هو ذلك التنازع الخفي بين ناحيتين في حياتها ولا ريب أن غريزة حفظ النوع هي الغالبة في كل حين ولكن أثر هذا الصراع لا يلبث قويا في المراحل الآتية لنفسية المرأة.

فثمة اتجاه داخلي إلى نفسية المرأة تتوجه فيه بكليتها إلى خلق توازن وعندئذ تسيطر الجوانب النفسية على حياتها ويبقى الخيال الموجه الأول في تصرفاتها وحتى الطفل يظل في نظرها كائنا خياليا تولده فعالية نفسها وعندما تقترب

(١) بسيكولوجيا المرأة: ص٤٩ ـ ٥٠.

المرأة من تحقيق هذا الخيال يقوى الدافع النفسي فيها وتصبح جميع عواطفها الثانية شيئا ثانويا بالنسبة لحياتها ذلك أن نزعتها إلى التوحيد ما بين نفسها وولدها تظل على قوتها.

وهنا: يبدو لنا هذا الحنين الأبدي في النفس الإنسانية على التوحيد ما بين (الأنا واللاأنا) هذا الحنين الذي يعد الرغبة العميقة إلى أن يجد الإنسان أحلامه متحققة في الآخر.

وهنا تبدو لنا ناحية جديرة بالاهتمام: هي أثر الأماني والأحلام في تكوين الطفل وكثيرا ما تبدو لنا المرأة وهي تنسج من خيالها طفلا نموذجيا يحمل جميع الصفات الحسنة التي تحلم بها، وهكذا فإن من أبرز صفات الأمومة في هذا الدور والحمل هي مثل هذه الأحلام، ولعل خوف المرأة من أن لا يكون عندها أولاد يرجع إلى خوفها من عدم تحقيق هذه الرغبة، ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الصفات تحتاج إلى كثير من المساعدة التي تنشدها الأم في أمها، وهنا يدخل في دور الحمل عنصر جديد هو ما نسميه عنصر الجدة بالنسبة للطفل الذي سيولد.

والواقع أن (الجدة) (أم الأم) تلعب دورا كبيرا في نفسية الأم الحامل وتؤثر في اتجاه نمو طفلها، ويأتي هذا التأثير عن طريق التربية النفسية التي توصيها الأم لابنتها.. وكثير من النساء تؤثر فيهن هذه التربية تأثيرا كبيرا، فمنهن من تكون مؤمنة تتوجه إلى الله دوما لحماية طفلها.

ومنهن من تكون ملحدة فهي ترغم أمام المهمة الصعبة التي أمامها إلى أن تتوجه إلى قوة تساعدها في هذه المهمة.

وعلى كل فإننا نستطيع أن نجد في جميع هذه الحوادث نوعا من الصراع بين (الأنا النرجسية) أي: (شخصية المرأة)، وبين إعطائها نفسها لطفلها.

ولكن هذا الصراع لا ينكشف بشكل سافر إلا بعد الولادة، فالمرأة ما تلبث أن تشعر بعد الولادة بأن لها الحق أن تطمئن نزعاتها الأنانية، فهي ما تنفك تقول: إنني أنا أم هذا الولد كثيرة في الحياة اليومية توضح لنا مظاهر هذا الصراع الذي يورث المرأة اضطرابا كثيرا في حياتها.

على أن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد، فالمرأة عندما تنتهي من إنهاء علاقتها بطفلها تقع في مشكلة جديدة هي علاقاتها مع زوجها، وهنا يبدو لهذه العلاقة أثر كبير في الحمل نفسه، فإذا كانت العلاقات طيبة كان نمو الطفل الجنين سليما، وكان مثلث الصداقة الذي أشرنا إليه،ـ أي: (الأم وطفلها وزوجها) ـ هو الذي يخيم على الحياة العائلية.

وهكذا فإن مثل هذه العلاقات تعزز في نمو الطفل العناصر السليمة، والعكس صحيح، فالعلاقات إذا كانت سيئة بين الأم والأب تسيء إلى نمو هذا الولد.

كما أن طبيعة المرأة في اقبالها على المجتمع، أو عزوفها عنها تؤثر كثيرا في نفسيتها أيضا.

ذلك أن سلوكها الاجتماعي إما أن يستنفد كثيرا من قوتها أو يسبب لها نوعا من الهم والضيق، ذلك أن رغبتها الاجتماعية تتجسم بشكل واضح في محاولتها تلبيث رغبات (الأنا) في أن تكون شيئا في المجتمع، فهي تشعر بحقها في أن تكون شيئا بعد أن تعذبت وأشرفت على أن تعطي المجتمع مولوداً جديدا.

أن نضالها في سبيل توكيد شخصيتها على هذا الشكل يعدّ مرحلة هامة من حياتها النفسية وأول شكل لهذا النضال يتجسم في اعتدادها بنفسها.

وثمة ظاهرة غريبة في النساء تبين لنا مدى ضعف ارتباط المرأة بطفلها أمام ارتباطها بتوكيد ذاتها على هذا الشكل فكثيرات يقلن: (نعرف أن عندنا أطفالا، وهذا يسعدنا، لأننا أردناهم)، كما أن بعضا منهن يشعرن بالطفل كأنه شيء دخيل عنهن.

تقول إحدى النساء: إنني أشعر أن ولدي هو مرن دائم الانشغال في أحشائي خلال الشتاء وأنه ليس إلا من أجلكم.

وهكذا فإننا نرى أن اضطرابات نفسية شتى تدخل في حياة المرأة عقب الحمل وتسبب لها اضطرابها وتمثل في شكل واضح، وفي تلك الحالات المرضية التي تتعرض لها بعض النساء عندما يشعرْنَ بانفعال نهائي بينهن وبين أطفالهن، فتقول إحداهن مثلا: كيف تريدون مني أن أحب كائنا لم يوجد بعد.

ولكن الحمل بصورة عامة يتصف بأنه المرحلة الخطيرة التي تتركز فيها عواطف المرأة في نقطة وحيدة هي (الأمومة) وعلى الرغم من جميع مظاهر الأمراض العصبية التي تتعرض لها حياة المرأة النفسية في هذا المجال فإن شيئا أساسيا يظل حقيقة هو: (أن عاطفة الأمومة تزداد نموا واتساعا في عملية الحمل)، ومهما كان وضع المرأة حاملا أم غير حامل، تكره الأولاد أو تحبهم، فإن المحرك الأساسي في عواطفها لا يلبث ما نسميه بعاطفة الأمومة.. وفي الواقع إن كل امرأة تستطيع أن تشعر شعورا كليا بعاطفة الأمومة حتى

ولو كانت لم تحمل ولم تعرف ولدا وتعييني أن ذلك يرجع إلى غريزتها وإلى بنيانها الفيزيولوجي[1].

باء: الآثار الاجتماعية

لعل التشاريع الكثيرة التي جاء بها المصلحون، والأديان من أجل التفريق بين المرأة العقيم والمرأة الولود إنما كانت لتعبر عن محاولات دائمة لصيانة اتجاه المرأة الغريزي اتجاه الولد.

كما أن حفظ النوع بحد ذاته يؤثر تأثيرا كبيرا في تفسير هذا الاتجاه، كما أن فكرة الخلود هي التي تعمل أيضا عملها في انضاج غريزة الأمومة، فالأديان والعادات في كثير من الشعوب تعد المرأة التي لا أولاد لها كائنا منحطا ولا تقيم لها قيمة أو وزنا إلا عندما تصبح أما، كما أن جميع الأمم تقريبا تعدّ المرأة المسؤولة الوحيدة عن العقم.

ففي الشعوب الابتدائية ينظر إلى هذه المرأة على أنها ملعونة، وفي الشعوب الراقية تتهم بأنها مريضة (عاجزة).

أن تاريخ المدنيات والحضارات تعلمنا أن عقاب المرأة العقيم كان رهيبا جدا فقد كانت تحتقر ويسخر منها، وترفض؛ وعند اليهود ـ وبعض المسلمين ـ كان العقم يمكن أن يكون من أسباب الطلاق، وفي بعض القبائل الأفريقية وهنود أمريكا تطرد المرأة التي لا أطفال لها، وقلما يحدث الطلاق لهذا السبب، وفي كثير من الشعوب تحترم المرأة حسب ما يكون لها من أولاد، ولاسيما من ذكور، ولكن في عصورنا الأخيرة نرى أن كثيرا من هذه المسؤولية قد

(١) بسيكولوجيا المرأة: ص٥٦ ـ ٥٧.

خف عند المرأة إذ أصبحت الضرورات الاجتماعية والحرية الشخصية لتعقيد المجتمع مخففة إلى حد كبير من الضغط على المرأة العقيم.

ذلك أن المجتمع أصبح يرجع أسباب العقم إلى حياة المرأة الفيزيولوجية وإلى الظروف الاقتصادية وحالة المجتمع وغير ذلك، وهذا كما يلاحظ يعد معززا لبقية الروح النرجسية في المرأة فكثير من النساء أصبحن يفتخرن بأنهن بدون أولاد ولاسيما في الطبقات الراقية وأصبحن يملن إلى حياتهن الخاصة وإلى تحقيق غرائزهن.

وبذلك نستطيع أن نقول إنهن حاولن تصعيد عاطفة الأمومة ولكن أية محاولة من هذا النوع تعد فاشلة حتى عند أولئك اللواتي كانت لهن موهبة اجتماعية كبيرة قوية[1].

المسألة الثالثة: العلاقة بين نفسية الأم ونفسية الجنين

أن تطور العلوم النفسية أدت إلى استقلال مادة بحثية متخصصة في نفسية الجنين وهو في بطن أمه، فقد أصبح اليوم وضع دراسات تعنى بنفسية الجنين وما يطرأ عليها من تغيرات بحسب تأثير العوامل الخارجية الواردة على نفسية الأم، إضافة إلى ما يحمله الشريط الوراثي لهذا الجنين.

(إن مجموع ما يتكون لدى الجنين من إحساسات أولية، وخبرات جسدية ونفسية تجعل العلماء يرون: أن الجنين يحيا حياة تامة وهو في بطن أمه، وإنه حين يولد يكون قد قطع شوطا كبيرا من النضج يساعده على متابعة حياته المستقلة، كما يساعده على متابعة وظائفه المستقبلية، وهو عندما يغدو إلى هذا

(١) بسيكولوجيا المرأة: ص٥٦ ـ ٥٧.

العالم لا يواجه عالمه كما لو كان غريبا عنه ويجهله، بل هو يتابع خبراته التي تكونت عنده وهو جنين)[1].

ويقول (توما فرين)[2]: إن بدء التطور في حياة المولود يعود إلى ما قبل الولادة وهو جنين وإلى بعد الولادة أيضا، وأن عملية الولادة في حد ذاتها ما هي إلا مجرد فاصل (يتم فيه الانتقال من بيئة إلى أخرى)[3].

(ولم يكن يخطر على بال الناس أن هناك ارتباطا بين الواقع النفسي للجنين والواقع النفسي للأم الحامل، لكن الدراسات أثبتت بما لا يدع المجال للشك في أن حياة الأم النفسية هي المنبع الأول لكل ذاك الثراء النفسي الذي سوف تحتويه نفسية المولود من مشاعر وتعلقات وميول واتجاهات.

لقد ثبت أن شخصية الجنين تتكون اتجاهاتها وملامحها بدءا من الشهر السادس من ساعات تخلقه، وفي هذا الشهر تبدأ سمات المحبة أو الكراهية والاستعداد للكآبة والخوف أو الهلع يتكون ويتفتح)[4].

ولذلك:

فإن ما تمر به الأم أثناء مرحلة الحمل لا يترك أثره فقط على نفسيتها بل هو كذلك له أثره على نفسية الجنين، وأن ما تحاط به الأم من شعور عاطفي يبذله زوجها من الحنان والحماية لها وهو ما يعرف بـ(الأمن الاجتماعي الداخلي) سيحدد نمط شخصية الجنين وسيساعد الأم على ازدهار الأنا فيها.

(١) سيكولوجية الأمومة ومسؤولية الحمل، لعدنان السبيعي: ص١٤٩.
(٢) مؤلف كتاب خفايا وأسرار حياة الجنين.
(٣) سيكولوجية الأمومة: ص١٥٠.
(٤) المصدر السابق.

ونحن ومن خلال ما ننهله من دروس وقواعد حياتية من بيت الزهراء عليها السلام، فإن كل هذه النقاط التي أثبتتها الدراسات فيما يفرضه حالة الحمل والولادة على شخصية الأم ووليدها كانت قد رسمت في بيت فاطمة عليها السلام؛ بل نستطيع القول وبكل ثقة إن هذه الأسس الصحية والحقائق العلمية كانت ولم تزل تصدر عن ذلك المرجع العظيم.

إلا أن انشغال الباحثين بمواكبة ما ظهر من أبحاث ودراسات ميدانية وعينية ومن خلال البحث والتقصي جعلهم يواكبون هذه الدراسات، ولعل لذة البحث تشغل الباحث عن الالتفات إلى المرجع الأول للحقائق الحياتية وهو القرآن الكريم، أو أن جبروت العقل عند البعض لا يرضخ مباشرة لما هو ثابت في مكنون الكتب السماوية، وإن كان قلب المؤمن موقناً بما حوته هذه الكتب سواء ما ظهر منها على أيدي أهلها أو ما لم يظهر.

ولذلك: لم يتحقق لامرأة ما تحقق لفاطمة عليها السلام من عناصر سلامة الحمل وصحته بدون أدنى مجال للشك، وكيف لا وهي في بيت والدها سيد الخلق وزوجها سيد الوصيين، وهي سيدة نساء العالمين، وهذه الصفات وإن كانت تحمل المقام الأقدس، لكن هي في الواقع تحمل جميع عناصر الكمال الإنساني، أي: إنهم يمثلون جميع نظم الحياة، والنظم الحياتية لا تحدث إلا في حالة التمسك بالحدود التي شعرها الله عزّ وجل.

وعليه:

كان حملها يسير ضمن تلك العناصر المتناهية الدقة بكل ما يحتاج إليه الجنين من تكوينات نفسية وعقلية وبدنية، لأنه سيلد وهو متحد بنورها

ونوره، أو كما يعبر عنه المصطلح العلمي من اتحاد (الأنا باللاأنا).

وإلا كي يولد مولود يحمل صفة قيادة الأمة، وإنه حجة الله، فلابد أن يكون قد مرّ أثناء مدّة الأجنة بما هو سائر ضمن الأسس والحدود الإلهية، وإن شئت فسمّها العلمية، فـ:

﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[1].

المسألة الرابعة: خصوصية الحمل الرسالي على المرأة نفسياً واجتماعياً وعقائديا

يرسم لنا القرآن الكريم في مجموعة من الآيات الكريمة صورة واضحة الملامح عن الحمل الرسالي وآثاره على المرأة من جهة ومن جهة ثانية على العقيدة والمجتمع.

ولقد قدم القرآن أربع صور للحمل الرسالي، أي: الحمل الذي يتمخض عنه مولود رسالي مقلد إليه أمر النبوة والرسالة الإلهية، فكانت هذه الصور كالآتي:

١ـ حمل سارة بنبي الله إسحاق عليه السلام.

٢ـ حمل أم موسى بنبي الله موسى كليم الله عليه السلام.

٣ـ حمل ابنة عمران بمريم عليها السلام.

٤ـ حمل مريم بعيسى عليه السلام.

ولقد اشتركت جميع هذه الصور بمجموعة من الظواهر الخاصة بهذا الحمل الرسالي والتي بمجموعها تحقق مجموعة من الأهداف الإصلاحية

(١) سورة يس: الآية ٤٠.

للمجتمعـات، وهـي كالآتي:

ألف: الغرض الإرشادي

ويتكون الغرض الإرشادي في هذه الصور من شقين:

١ـ الغرض الخاص.

٢ـ الغرض العام.

فأمـا الغـرض الخـاص فهـو يشـمل عنايـة الله سـبحانه وسـابق لطفـه بهـذا المولـود والمخصوصـة بحملـه فيكـون ذلـك كاشـفاً عـن بيـان هـذه المنزلـة لـلأم ووليدهـا.

وأما الغرض الإرشادي العام فهو إرشاد الناس إلى أن هذه المرأة ووليدها هم ممن اختارهم الله عزّ وجل لحمل الرسالة وخدمة الشريعة وبيان أحكام الباري عزّ وجل ومن ثم قطع العذر على المعتذر في عدم الاهتداء لأصحاب هذه الرسالات.

واقتصار القرآن على هذه الصور لا يعني إلغاء تلك الأغراض الإرشادية من بقية الحالات التي رافقت حمل الأمهات بحملهنّ الرسالي وهذا فضلاً عما زخر به التاريخ الإسلامي من ظواهر إرشادية رافقت حمل آمنة بنت وهب بخير خلق الله وسيد رسله لا مجال لذكرها هنا.

باء: الاهتمام بالحامل قبل المحمول

وهذا ظاهر في تلك الصور القرآنية التي أوردها الوحي في محكم الذكر فقد دلت تلك الشواهد القرآنية على أن الاصطفاء كان مسبوقاً لـلأم قبل

الوليد ليؤسّس القرآن لنمو الفكر العقائدي والإيمان بالغيب لدى الآباء والأمهات قبل الأبناء، بمعنى الاستفادة من هذه الحالة لجيلين من الناس، الأول كان يشاهد عملية الاصطفاء للأم، والثاني يشاهد عملية الاصطفاء للمولود الجديد، وفي ذلك تحقق أسس الصلاح قبل البدء بالنبوة وذلك لوجود مقدمات الإصلاح في المجتمع الذي سيبعث فيه هذا النبي أو ذاك الرسول سلام الله عليهم أجمعين.

ولعل المعطيات التي قدمها القرآن الكريم حول مريم ابنة عمران هي الأمثل في إيصال هذه الحقيقة إلى أذهان الناس.

ففي الاصطفاء الرسالي للأم يقدم القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى:

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[1].

والآية الكريمة حاكية عن ذلك التأسيس الإصلاحي والظهور الاصطفائي للأم قبل وليدها مريم عليها السلام اختار الله لها أبوين صالحين لتنشأ هذه المرأة في بيئة أعدها الله تعالى لحملة رسالته.

ثم يمضي البيان القرآني لهذا الاصطفاء الرسالي للأم فيقول سبحانه:

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٥.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

ومما ترشد إليه الآية الكريمة في بيان هذه الحقيقة هو:

١ـ قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾.

وهذا هو الاصطفاء الإلهي للأم فهو الذي قدر برحمته أن تلد امرأة عمران أنثى.

٢ـ قوله تعالى:

﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾[1].

وهذا هو الاصطفاء الرسالي للمولود الذي أعدّه الله تعالى لحمل الرسالة.

ولذا:

نجد أن آثار هذا الاصطفاء في عملية الإصلاح المجتمعي في البنية العقائدية ظاهرة في المجتمع من خلال تلك الشواهد القرآنية الآتية.

١ـ تنشئتها الاجتماعية فقد تكفل بها نبي الله زكريا عليه السلام لتكون بذلك محل اهتمام أتباع زكريا ومعارضيه فلا يخفى حالها ومنزلتها على أحد في مجتمع بني إسرائيل.

قال تعالى:

﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾[2].

وبهذا يكون الإنبات قائماً في بناء شخصية مريم بنت عمران من خلال:

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

أولاً: الاصطفاء الإلهي الذي عبرت عنه الآية بـ(الإنبات) و(الحسن).

وثانياً: من خلال المربي والمنشئ وهو زكريا عليه السلام الذي جسد أجمل صورة للنمو الحياتي والإثمار، إذ لابد للإنبات من عوامل للنمو والحياة الأرض الصالحة فكانت امرأة عمران والإنبات الحسن وهو الاصطفاء الإلهي والمتكفل بهذا الزرع الذي دأب على رعايته وهو زكريا عليه السلام ليعطي في النهاية الثمر وهو نبي الله عيسى بن مريم عليهما السلام.

ولذلك:

نجد أن هذه المقدمات جعلت عملية الإصلاح المجتمعي مهيأة وبنسبة عالية وذلك من خلال الشاهد القرآن الآتي الحاكي عن قدوم مريم وهي تحمل وليدها إلى قومها فلما رؤا ما هو مخالف لسيرتها وما عرفوه من منزلتها قالوا لها:

﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[1].

أي إن عملية الاصطفاء الإلهي لهذا الحمل الرسالي قد أخذت بجميع مقدمات الإصلاح في المجتمع وإن آثار هذا الحمل الإرشادية قد نفذت في النفوس ولذا قدم أهل العقل في المجتمع الإسرائيلي التزكية النفسية والمقومات الإصلاحية للمرأة قبل سؤالهم عن المولود وذلك في نفي السوء عن الأب والبغي عن الأم.

بمعنى:

(١) سورة مريم، الآية: ٢٨.

أن المجتمع كان يراقب حال هذه المرأة قبل أن تولد وتراقب نشأتها ونموها وأنها محصنة من العيوب ومنزهة من الذنوب ولذا ففي حملها لهذا الغلام أمر غريب يتنافى مع تلك المقدمات والمعرفة التي تخللت جيلين من بني إسرائيل.

فلما تبيّن لهم حقيقة المولود وأنه:

﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[1].

أيقنوا حينها أن هذه الأم ووليدها ممن اصطفاهم الله تعالى لشريعته فلزم الإيمان بنبوة عيسى عليه السلام.

والحال يجري مجراه في سارة ووليدها إسحاق عليه السلام وذلك من خلال البيان القرآني الآتي:

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ * قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ * قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾[2].

وفي موسى الكليم وأمه قال سبحانه وتعالى:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[3].

---

(١) سورة مريم، الآية: ٣٠.

(٢) سورة هود، الآيات: ٧١ و٧٢ و٧٣.

(٣) سورة القصص، الآية: ٧.

وعليه:

نجد أن حقيقة الحمل الرسالي وآثاره على المرأة والمجتمع والعقيدة ظاهرة في تلك الصور القرآنية وممهدة لغرض القيام بالإصلاح للفرد والمجتمع كما جرى ذلك بشكله الأوضح في حمل مريم ومن قبل امرأة عمران ولعل الحكمة في هذا البيان القرآني هو قرب زمان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من زمان عيسى عليه السلام إذ لا فاصل بينهما من حيث البعث والرسالة.

وهذا له من الأثر الإصلاحي ما يغني عن الشرح بل إن هذا البيان القرآني كان الغرض منه إعطاء صورة لخديجة وابنتها فاطمة وأبنائها الأئمة المعصومين عليهم أفضل الصلاة والسلام، فحالهم ليس بالغريب على المجتمع المكي وإن الغرض الإرشادي والإصلاحي في إنبات فاطمة وتكفل سيد الخلق بها لأعظم مما أعطاه إنبات مريم وتكفل زكريا عليهما السلام بما فضل الله الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم على سائر خلقه وأنبيائه ورسله، كما فضل القرآن والإسلام وفاطمة على سائر نساء العالمين.

ولذا:

فإن حملها الرسالي بالحسن والحسين عليهما السلام كان له من الاصطفاء الرباني والغرض الإرشادي والتقويم السلوكي والإصلاحي ما لم يكن لآل بيت في بيوت الأنبياء عليهم السلام بمقتضى قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1].

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

المبحث الثالث
ولادة الإمام الحسن عليه السلام

المسألة الأولى: آثار مرحلة الولادة على المرأة.

هناك مظاهر كثيرة للولادة تتعرض لها المرأة حسب محيطها ومدنيتها، ففي الشعوب الابتدائية تلجأ المرأة إلى القابلات، فالقابلة هي التي تملك مصير الولد والمرأة ويروى أن المرأة في جاوا تلد في ساعة واحدة فقط وكأنها تقدم على عمل طبيعي، وفي بعض القبائل لا تستغرق ـ الولادة ـ إلا عدة دقائق تستحم بعدها المرأة وينتهي كل شيء، كما أن بعض القبائل الابتدائية تهيئ أمكنة أمينة لتلد فيها النساء، ففي زيلندا الجديدة تلد النساء على ضفاف الأنهار ويكن وحيدات، ونساء قبائل فليس يلدن دون مساعدة.

أما المرأة الهندية في جزر هند البريطانية فإنها تترك تريثها عندما يأتيها المخاض وتقف مدة ساعة في كوخ في الغابات في انتظار الولادة التي لم يكن فيها بالنسبة إليها أي خطر ثم تعود لوحدها مع وليدها إلى العائلة، وكذلك تفعل نساء بعض القبائل الهندية في (الكواتيمالا)، ويروى السائحون نفس الحوادث من النساء في فرجيني، أما في حياتنا الراهنة فإن النساء يلجأن بعد الولادة إلى المستشفيات ويعانين ضعفا ويحتجبن للراحة والهدوء والسكون ولكن تلك السهولة التي تبدو بها الولادة عند القبائل الابتدائية لا تخلو من عناصر نفسية غريبة ذلك أن بعض الشعوب الابتدائية ترى في المرأة كائنا قذرا وخطرا طول مدة الحمل والولادة وكانوا يتخيلون أن شياطين خبيثة تسكن في المنزل الذي تقطنه المرأة الحامل، وكثير من الشعوب تعدّ المرض

الخبيث متجسدا شكل امرأة، ولعل الأساطير الكثيرة متأثرة بهذه النظرة عندما تجعل السحرة والشريرين نساء ولذلك فإن كثيرا من التصرفات الغريبة ترغم المرأة الحامل على سلوكها أثناء الولادة فالمرأة في (نيام نبام) في أفريقيا الوسطى تهجر بيت زوجها وتلجأ إلى الغابات المجاورة حيث تلد بمساعدة صديقات لها، ومن الملاحظ أن هذه المرأة تهتم كثيرا بمساعدة صديقة لها أثناء الوضع.. والواقع أن الابتدائيين يعدّون المرأة المساعدة في الوضع عنصرا أساسيا عند الولادة.. ويرونها نموذجاً للمرأة المجربة التي تعرف كل شيء، وفي قبائل الماوري في زولندا الجديدة تحضر الجدة أي أم الأم ولادة أول طفل، وفي بعض القبائل الأخرى يكون ضروريا أن تحضر الحماة أثناء الولادة، والواقع أن هذا الحضور لوجود حالة حيوية في الولادة بل هو نوع من التقاليد.. فهناك علاقة سيكولوجية بين المرأة الرائدة وبين (القابلة) التي اعتبر أن يكون حضورها ضروريا أثناء الولادة... وذلك أن هناك اعتقادا ابتدائيا يصوّر ضرورة وجود امرأة عاقلة حسنة تطرد الأرواح الخبيثة عند الولادة وذلك ما يبقي اطمئنانا في نفسية المرأة، وفي مونيثينا الحالية تتبع المرأة[1] نفس الأساليب في تعبيرها عن حاجتها للمساعدة او للقابلة ولكنها كثيرا ما تنظر إلى هذه القابلة نظرة كره في الغالب؛ لأنها تعدّها مسؤولة عن آلامها في بعض الأحيان، كما أن بعض النساء يوجهن هذا الكره إلى أزواجهن فيسبُبْنهم باللعنات والواقع أن دور الرجل في سيكولوجيا الولادة عند المرأة هو دور رئيس.

(١) سيكولوجيا المرأة، د.هيلين دوتش: ص ٦٠.

وفي بعض القبائل الابتدائية تطلب المرأة من زوجها أن يحضر الولادة ويتحقق بذلك ثالوث تطمئن إليه المرأة (هي والزوج والقابلة) ففي جزر(Andaman) عندما تأتي ساعة الولادة يعد من القاعد أن يحضر الزوج وإحدى صديقات زوجته فالزوج يمسك بظهر زوجته ويضغط جسمها عندما تكون هناك حاجة لذلك والصديقة تضع حاجزا من الأغصان أمام القسم السفلي من جسم المرأة.

أما في مدنيتنا الراهنة فإن هذا الثالوث يتمثل بالممرضة والطبيب وبذلك تتحول عواطف المرأة الحامل إليها وتتنازعها عاطفة جارفة من الحب والكره والثقة والحقد والاستسلام وعدم الصبر ولا ريب أن إحاطة المرأة بجو عاطفي هادئ يسهل كثيرا من عملية الولادة ولكن ما لا ريب فيه أن من مسائل المدنية الحديثة أنها أبعدت فكرة الأرواح الشريرة والقوى الخارقة من عملية الولادة وأصبح المعطف الطبيعي يلعب الدور الأول في نفسية المرأة عند الولادة.

وقد أثبتت الدراسات الطبية أن هناك تبادلا عميقا بين جميع العوامل النفسية والبيولوجية في حادثة الحمل والولادة وبذلك نستطيع أن نفهم بوضوح أن نفسية المرأة بعد الولادة تصبح أكثر تعقيدا واضطرابا كما كانت قبلا فالواقع أن المرأة بعد الولادة تنسى أشياء كثيرة من وظائفها الطبيعية كأنثى.. ولاسيما الوظائف الجنسية، وهذا يؤثر تأثيرا كبيرا في نفسيتها.

وقد درس الأطباء النفسانيون الأحوال الابتدائية للوليد لكي يوضحوا لأنفسهم مدى الفراغ الذي كانت تملؤه أمه فرأوا أن ارتباط الأم بالولد يعدّ

شيئا أصيلا وأن جميع الآلام التي يعانيها الوليد إنما ترجع إلى موقفه من أمه (بعده أو قربه منها والواقع أن دراسة الوليد تفيد كثيرا في معرفة نفسية المرأة النفساء ذلك أن الطفل هو من العناصر الأولية التي تسبب الفرح والحزن للأم ومهما يكن من أمر فإن الولادات في العصر الحاضر تميل غالبا إلى أن تكون سليمة لا تحدث فيها تلك الهزات الانفصالية التي تحدث للمرأة المتأخرة أو الابتدائية.

والملاحظات المتعددة تفيد بأن العامل الأول في نفسية المرأة أثناء الحمل هو التغيرات الفيزيولوجية كما أن علاقتها بالوليد بعد الولادة هي الشيء الأساس ومن المفيد جدا أن نذكر بأن نوعا من الصراع الداخلي تمر به المرأة قبل الولادة يؤثر في نفسيتها بعد ذلك، هو ذلك الصراع بين احتضانها للولد وبين وضعه وهذا الصراع معقد كثير الجوانب فهو يعبر أحيانا عن خوف من الولادة ومن آلامها كما قد يعبر عن روح نرجسية تريد فيها المرأة أو الأم أن تكون لها وحدها ثمرة الحمل.. وقد يكون خوفها من جنس الولد باعثا على احتفاظها فكثيرا ما تنتهي المرأة أن يكون وليدها أنثى أو ذكراً فإذا ما علمت[1] بعد ذلك أنه كان غير ما تريد سبب لها هذا نوعا من القلق العميق.

والواقع أن هذه الناحية خطيرة جدا بالنسبة لحياة المرأة فالعدد الأكبر من النساء الطبيعيات المسترجلات يشتهين أن يكون ابنهن الأول ذكراً والحقيقة أن سبب ذلك هو أن هذه الرغبة عند النساء إنما تتكون لحبهن لأن يلدن

(١) المصدر السابق: ص ٦١.

ما يشعرن بحاجة إليه أي عناصر الرجولة والحقيقة أن العوامل الاجتماعية لها أثر أيضا في هذا، فالمجتمع بأثره غالبا يطالب المرأة بأن تلد ذكرا، فالجد والأب يريدان الذَّكر لكي يخلّدا فيه.

والواقع أن الرغبة النرجسية يجب أن تدفع المرأة إلى أن ترغب في أن يكون ابنها بنتا تسير فيها من جديد وتجدد فيها جمالها ولذلك فإن ما يبدو لها في أول الأمر هو ذلك القلق من الذكر فكثيرا ما نسمع نساء يقلن لأزواجهن أنظروا هذا هو الولد الذي اردتم كم هو مخيف مثلكم ولكن في أعماق نفس المرأة تلبث الرغبة في الذكر حية وأقوى من كل رغبة والأحلام التي تراودها تظل أقوى من جميع التصورات المخيفة عن الذكر، من هذه التصورات المخيفة خوف المرأة من أن تلد مسخا.

إلى جانب الخوف من نتائج الولادة يأتي خوف آخر هو الحالة التي تتم بها عملية الولادة وكثيرا ما يمتلك المرأة شعور رهيب بأن الموت ينتظرها وأن حادثة الولادة لابد أن تؤدي إلى كارثة لها ولولدها، وبالواقع أن هذا الخوف لا يؤثر تأثيرا كبيرا في نفسية المرأة المتفائلة التي لا تنفك تقول في كثير من الاستبشار أنه لابد من حدوث أشياء مفاجئة تزيل كل هذا الألم، إن الشيء البارز في كل هذا هو خوف الأم من العملية الجراحية ذلك أن هذا الخوف يقترن بالموت غالبا والألم الفيزيولوجي الكبير ومن مثل هذا الخوف تقع جميع الأمراض العصبية التي تتعرض لها المرأة بعد ذلك.

ولأهمية تلك الآثار على المرأة وفعاليتها التغيرية في شخصيتها فقد أولى الإسلام مرحلة الحمل والولادة أهمية خاصة فركز على جوانب عديدة كالجانب

النفسي والاقتصادي والاجتماعي والتكويني وقد نبه الإسلام قبل نشوء العلوم الحديثة وتطورها إلى دور الغذاء في تحديد المعالم التكوينية والعقلية والنفسية والبدنية للجنين، وأن الغذاء له الدور الثاني بعد الوراثة في تحديد شخصية الجنين: وفي هذا الخصوص أخرج الشيخ الكليني رحمه الله مرفوعا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

«ليكن أول ما تأكل النفساء الرّطب فإن الله تعالى قال لمريم:

﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[١].

قيل: يا رسول الله فإن لم يكن أوان الرطب؟ قال:

«فسبع تمرات من تمر المدينة فإن لم يكن فسبع تمرات من تمر أمصاركم فإن الله عزّ وجل يقول: وعزتي وجلالي وعظمتي وارتفاع مكاني لا تأكل نفساء يوم تلد الرّطب فيكون غلاما إلا كان حليما وإن كانت جارية كانت حليمة»[٢].

وعن الحسين بن علي عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«أطعموا حبالاكم اللّبان فإن الصبي إذا غذي في بطن أمه اللبان اشتد قلبه وزيد في عقله فإن يك ذكرا كان شجاعا وإن ولدت أنثى عظمت عجزتها فتحظى بذلك عند زوجها»[٣].

---

(١) سورة مريم: الآية ٢٥.

(٢) الكافي، الشيخ الكليني رحمه الله: ج٦، ص٢٢، ح٤.

(٣) الكافي: ج٦، ص٢٣، حديث٦؛ وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٠٥ ح٢٧٤١٨؛ مستدرك الوسائل: ج١٥، ص١٣٧، باب٢٥.

وأما ما يخص الرضاعة وأحكام الإنفاق على المرأة الحامل وغيرها فكثيرة لا ينبغي إيرادها لأنها ليست من موضوع البحث، وإنما نريد أن نبين أن الإسلام لم يدع جانباً من الجوانب النفسية والبدنية إلا وقد وضع لها حدودها كي لا تهتضم المرأة وكي يحفظ الجنين من التشوهات الخَلْقية والخُلُقية.

المسألة الثانية: الرواية الواردة في ولادة الإمام الحسن عليه السلام

ولدت فاطمة بكرها عليها السلام في المدينة بفنى المسجد النبوي حيث دار سكنى فاطمة عليها السلام، وكانت السنة التي ولد فيها الحسن عليه السلام هي سنة بدر الكبرى[١]، وقيل في السنة الثالثة للهجرة النبوية، في ليلة النصف من شهر رمضان المبارك[٢].

والإمام الحسن عليه السلام هو أول مولود يستقبله النبي صلى الله عليه وآله سلم من بضعته فاطمة عليها السلام فجاءت تحمله إليه صلى الله عليه وآله وسلم وهي تزفه بالبشرى، فقد ولدت أحد أئمة العترة النبوية، وسبط هذه الأمة.

وقيل: إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ليغيب عن بضعته فاطمة عليها السلام وهي تمر في مثل هذه الحالة التي تحتاج فيها المرأة إلى

---

(١) أصول الكافي: ج١، ص٤٦١، باب: ولادة الحسن عليه السلام.

(٢) الإرشاد، الشيخ المفيد رحمه الله: ج٢، ص٥؛ البحار: ج٤٣، باب: أولادها، حديث٢٥؛ الكامل، ابن الأثير: ج٢، ص٥٤؛ تاريخ الطبري: ج٢، ص٥٣٧؛ عيون التواريخ: ج١، ص١٦٩؛ غاية الأماني، يحيى بن الحسن: ج٢، ص٧٧؛ الذرية الطاهرة، الدولابي: ص١٠٢، عن ابن البرثي؛ أنساب الأشراف، البلاذري: ج١، ص٤٠٤؛ سيرة مغلطاي: ص١٠١.

الأم والأهل، ولاسيما أن فاطمة قد فقدت أمها خديجة عليها السلام وهي في سن الخامسة، فعن سوادة بنت مسرح قالت: كنت فيمن حضر فاطمة حين حضر بها المخاض، قالت: فجاءنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

«كيف هي»؟

قالت: إنها لتجهد[١].

ولذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أمر زوجته سودة بنت زمعة[٢]، ومولاته أم أيمن وأسماء بنت عميس أن يحضرن عند فاطمة كي لا تشعر فاطمة بالوحدة، وإن كان لا شيء يسد خلة الأم وفقدها، وبخاصة في حالة كهذه.

فلما ولدت فاطمة عليها السلام، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأسماء:

«يا أسماء هلمي ابني».

فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: «**ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في خرقة صفراء؟! ودعا بخرقة بيضاء فلفه فيها.**

ثم أذن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى»[٣].

وفي رواية: أنه صلى الله عليه وآله وسلم سره ولباه بريقه وقال:

«**اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم**».

---

(١) أسد الغابة، ابن أثير: ج١، ص١٥٦ ـ ١٥٧.

(٢) تاريخ القضاعي: ص١٢٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج٢١، ص ٤١٠، باب: استحباب تحنيك المولود؛ سنن الترمذي: في باب الأذان في آذان المولود من أبواب الأضحية؛ سنن أبي داود: كتاب الآداب، باب: الصبي يولد فيؤذن في أذنه، ج٢، ص١٢٦؛ وأحمد في مسند: ج٦ ص٣٩١ ـ ٣٩٢، عن عبد الله بن رافع.

المبحث الرابع
مرحلة ما بعد الولادة

المسألة الأولى: سلوك الأمومة وسلوك التعلق

لا يمكن لامرأة في العالم أن تتجاهل اللحظات الأولى التي تأتي بعد الولادة تلك اللحظات التي تنظر فيها الأم إلى وليدها.. وهي لم تجد فيها غير الصمت وسيلة للتعامل مع الحدث، فهي بين نظرة إلى هذا الكائن الذي كل شيء فيه ينادي في تلك اللحظات بطلب المساعدة ومد يد العون وبين نظرة منه إليها تقول: ضميني إليك.

شعور لم يحرك أحاسيس الأم فقط بل ربما كل من تقع عينه على الطفل ولذلك سرعان ما يتفجر في الأم سلوك الأمومة الذي سيتحدد نمطه من خلال التأثير الهرموني والتجربة والوعي الثقافي، وفي المقابل سيتحرك عند الطفل سلوك التعلق مع كل من يقوم برعايته.

(إن تأثير الوسط الاجتماعية تؤثر تأثيرا هاما في سلوك الأمومة فقابلية الأهل للتبني وتزويد الأطفال المتبنين بالعناية والمحبة، يظهر الدور البارز للعوامل الثقافية ـ الاجتماعية كما يظهر محدودية تأثير العوامل الهرمونية.

إذ يتوافق سلوك الأمومة مع احتياجات الطفل منذ الولادة، وتساعد العوامل البيولوجية الغريزية في انطلاقة هذا السلوك)[1].

(لقد توافق سلوك الأمومة، عبر التطور مع سلوك التعلق عند الطفل،

(١) الأمومة (تطور النمو بين الطفل والأم) ، دفيز قنطار: ص٦٦ ـ ٦٧ .

وتتلخص وظيفة هذين النظامين السلوكيين في حماية الصغير الذي كان عرضة للافتراس فحين يستخدم الطفل مؤثرات كالبكاء أو التمسك، تقوم الأم بالاستجابة لحمايته، فتأخذ بيده عندما يبتعد أكثر مما يجب، وتزوده بالغذاء، وتعمل على إرضائه عندما يعاني من كربة.

ـ إن ــ كلا النظامين ـ (سلوك الأمومة، وسلوك التعلق) ـ يستدعي المحافظة على الاتصال بالأم والطفل، ويقود ــ هذا ــ الاتصال بدوره إلى تبادل عاطفي بين الطرفين، فسباق التعلق يتم عبر التجربة بين الاثنين.

ــ وتستند إحدى النظريات المتعلقة بدراسة السلوكين سلوك الأمومة وسلوك التعلق عند الطفل، وهي نظرية بولبي ـ إلى بعد بيولوجي، وتستدعي تركيز الاهتمام على الطبيعة التبادلية في سلوك الأم والطفل، فبالرغم من أن التبادل المشترك يستند إلى قاعدة داخلية عند الأم، فهو لا يأخذ طريقه إلى النور إلا مع وجود الطفل، فالخصائص السيكوبيولوجية الاستثنائية للطفل عند الولادة تدفع إلى الاعتقاد بأن الاتصال والتفاعل الاجتماعيين بين الأم والطفل موجهان ليلعبا دورا خاصا في التطور النفسي البشري)[1].

(فالطفل حديث الولادة يعتمد على البالغين في بقائه، حيث تتضمن التجربة الاجتماعية التي يتعرض لها، طرفا عالي القدرات (الأم)، مؤهلا ثقافيا، بينما يكون الطرف الآخر (الطفل) صفحة بيضاء من هذه الناحية.

فالتحويل الثقافي من جيل إلى جيل عند البشر، يحل محل الانتقال بالوراثة عبر الجينات والمورثات ـ (New.Son ١٩٧٩) ـ ويعتقد هذا المؤلف ـ على

(١) الأمومة (تطور النمو بين الطفل والأم) ، دفيز قنطار: ص٦٦ ـ ٦٧.

خلاف الفكرة السائدة ـ بأن السلوك الطبيعي للأم البيولوجية، (الوالدة) لا يكمن في دافع غريزي خاص بالأمومة، إنما يكمن في المسؤولية الثقافية الاجتماعية للكائن تجاه أنجاله، مسؤولية تحتمها القيم الأخلاقية والثقافية السائدة المتعلقة بطريقة التعامل مع الصغير بلطف ومحبة وحنان، فهو أحد أفراد العائلة، ويحتاج للمساعدة كونه سريع العطب)[1].

فمن وجهة نظر هذا المؤلف، مشكلة التواصل مع الصغير هي تعلم جملة العناصر التي تؤهل أي شخص للتفاعل مع هذا الصغير، شخص يمتلك الدافع ليفعل ما هو ضروري من أجل الصغير ويخصص الوقت المناسب للحوار معه، فالمسألة ليست مسألة ضرورية بيولوجية، إذ يمكن للذكر أن يربي الطفل في شروط مناسبة)[2].

ويبدو أن هناك رأياً آخر ربما يكون متقاربا إلى حد كبير مع مفهوم هذا المؤلف في التواصل مع الطفل، إذ يعتقد الدكتور (لي سالك)[3]: (أن الوالدية تعني كلا من (الأبوة) و(الأمومة) وما كانت الوالدية قط مسؤولية نسائية فقط، وبالرغم من أن تربية الأطفال عمل شاق ومتعب، فإنها عمل سار إلى حد بعيد، إن الرجال ـ مثلهم ـ كمثل ـ النساء ـ لهم الحق الكامل في السرور العميق الذي يستشعره من يربي طفلا ويوجهه الوجهة الصحيحة.

وهو يرى: أن على الزوج أن يبدأ المساهمة النشطة في تعلم الأمور ذاتها التي تتعلمها زوجته بخصوص العناية بالوليد قبل ولادته، وتربيته بعد

(١) الأمومة وتطور النمو بين الطفل والأم لفايز قنطار: ص٦٧.

(٢) المصدر السابق: ص٦٨.

(٣) د.لي سالك، مدير قسم علم نفس الطفل في مستشفى نيويورك بمركز كورنيل الطبي.

الولادة، إن الآباء الذين يهتمون بمثل هذه الأمور يساهمون أكثر من سواهم من الآباء في العناية بأولادهم، إن مقاسمة الأب للأم هذه الخبرة يحسّن العلاقة بين الزوجين ويقويها، ويحولها إلى علاقة تساعد الأمهات والآباء على أن يكونوا خيرا من الأمهات والآباء الذين لا يكون لهم هذه الخبرة)[1].

المسألة الثانية: كيف يكون سلوك الأمومة وسلوك التعلق في مدرسة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لدى الطفل

وبالطبع فإن هذه العناية بالطفل وبذل الرعاية له والاهتمام به يحفز بشكل كبير سلوك التعلق عنده اتجاه والديه (الأم والأب)، وفي نفس الوقت لا يمكن إغفال الجانب الغريزي الفطري لدى الإنسان ولاسيما الأم في حدبها على وليدها تحنو عليه، بل يعلمنا ديننا وقيمنا أن الجانب الفطري لدى الوالدين هو العنصر الأساس في تحديد سلوك الأمومة والأبوة، وما التجربة ـ الثقافية والاجتماعية والعلمية سوى مقومات لهذا السلوك في نبذ ما هو سيئ في التعامل، أو التركيز على ما هو حسن فيه.

والعلة في ذلك، هو أن حكمة الله عزّ وجل قد جعلت هذا الكون يسير ضمن قوانين وسنن وأن أي تغير في هذه القواعد يؤدي إلى نتائج تتناسب مع المقدمات إذ لا يمكن أن تكون العاطفة والتعلق عند الأم وابنها أو الأب وابنه متساوية في زواجين أحدهما لا شرعي والآخر شرعي فالمقدمات هناك تختلف هنا، ولذلك لا تنتهي الأمومة في حالة الاقتران الشرعي بانتهاء احتياج الطفل إلى العناية به، ولا يتحجم تعلق الطفل لوالديه عند مقدرته

(١) الوالدية، د.لي سالك: ص٣٩ ـ ٤٠.

على الاعتناء بنفسه.

بل إن عاطفة الأمومة في الأسرة المسلمة لا تنتهي فهي تكبر كلما كبر الولد، وأن تعلق الابن بوالديه واحتياجه إليهما يكبر مع سنين عمره، فكم من أم تنتظر رجوع ابنها الغائب وحفيدها الشاب، وكم من أم قد انعكفت على لبس السواد ووليدها غيبه الموت.

فسلوك الأمومة وسلوك التعلق عند الطفل في الأسرة المسلمة لا ينتهي بإنهاء الاحتياجات أو بزوال الدوافع، فهما يبدآن منذ الولادة، وإن صح القول: فالأمومة عند المرأة تبدأ قبل الولادة كما مرّ بيانه، ولا تنتهي إلا برحيل الأم عن الحياة، والتعلق يبدأ عند المولود منذ ولادته ولا ينتهي حتى بعد وفاة الأم.

فالسنن الإلهية تأخذ دورها في رسم هذا السلوك، كما أن للتجربة والوعي الثقافي والاجتماعي دوره أيضا، فضلاً عن ذلك أن دور الإيمان بالله عزّ وجل والخوف من اليوم الآخر والثواب والعقاب وانعكاساته على شخصية الإنسان له دوره الفعال في بيان نمط سلوك الآباء اتجاه الأبناء، كما يبين نمط سلوك الأبناء اتجاه الوالدين.

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث له مع علي أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«يا علي لعن الله والدين حملا ولدهما على عقوقهما.. يا علي يلزم الوالدين من حقوق ولدهما ما يلزم الولد لهما من حقوقهما.. يا علي رحم الله والدين

حملا ولدهما على برهما..»[1].

ولذا: نجد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أسس لهذا السلوك منذ الأيام الأولى لنشوء العلاقة الزوجية حينما وضع منهاجاً في التربية الأسرية ـ كما مرّ بيانه ـ ليدل على أن هذه العلاقة الوالدية المخصوصة بالأب والأم وانعكاساتها على الطفل إنما تبدأ من سلوك المودة والرحمة بين الزوجين.

(١) من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق رحمه الله: ج٤، ص٣٧١، باب: النوادر؛ وسائل الشيعة: ج٢١، ص٣٨٩، باب استحباب تسمية الولد.

المبحث الخامس
الإرضاع

مما لا شك فيه أن مرحلة الرضاعة هي من أخطر مراحل التكوين النفسي والبدني وقد حدّ القرآن هذه المرحلة بحدود خاصة شملت الجوانب الشخصية والأسرية والاجتماعية.

والرضاعة لا تقتصر على الجانب الغذائي، بل لها الأثر البالغ في بناء الشخصية وتحديد معالمها، فهي مزيج من عوامل عديدة يخضع الإنسان لتأثيراتها القوية وهو لا يملك أي حول أو قوة في تحديدها أو اختيارها، فكم من فضيلة أو رذيلة مزجتها ذرات الحليب وغرستها محالب الأم في أرض وليدها فنمت فيها جذورها.

ولسعة الموضوع وأهميته الكبيرة نحاول أن نركز على بعض النقاط فيه.

المسألة الأولى: من تولى إرضاع وليد فاطمة عليها السلام؟

لقد كانت العرب قبل الإسلام قد تنبهت لخطورة مرحلة الرضاعة، كما عرفت من قبلها دور الأم وأثر الأعراق في تكوين الجنين، وهو ما يعرف حديثا بعلم الوراثة، أي: دور الجينات وفعلها في نقل وتثبيت المعالم الحسنة أو السيئة للجنين، ثم جاء الإسلام فبين بشكل أوسع تلك الآثار لهذه المرحلة.

ولما ولدت فاطمة عليها السلام بكرها الإمام الحسن عليه السلام، مرت كذلك بهذا الدور أي: إن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أراد أن يتولى أمر اختيار المرضع لولده الحسن عليه السلام بنفسه لغاية تمر علينا إن شاء الله تعالى.

إذ تقول الرواية: لما حملت فاطمة بالحسن عليه السلام خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض وجوهه، فقال لها:

«إنك ستلدين غلاما قد هنأني به جبرائيل، فلا ترضعيه حتى أصير إليك».

قالت ــ برة بنت أمية الخزاعي ــ فدخلت على فاطمة حين ولدت الحسن عليه السلام وله ثلاث ما أرضعته، فلما جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لها:

«ما صنعت؟».

قالت عليها السلام:

«أدركتني عليه رقة الأمهات فأرضعته».

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«أبى الله عزّ وجل إلا ما أراد الله»[1].

والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يشير بذلك إلى الإمامة التي أرادها الله عزّ وجل أن تكون في صلب الحسين عليه السلام وهم الأئمة التسعة عليهم السلام، وبذلك تكون فاطمة الزهراء عليها السلام هي التي تولت إرضاع وليدها الحسن عليه السلام.

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر: ج٣، ص٢٠٩؛ البحار: ج٤٣، ص٢٥٤، حديث٣٢؛ مدينة المعاجز، السيد هاشم البحراني: ج٣، ص٤٩٣.

المسألة الثانية: السلوك النفسي للمرأة عند إرضاعها وليدها

ولمعرفة نفسية الأم وانبثاق روح الأمومة وتطور العلاقة فيما بينها وبين الطفل فلابد من النظر إلى نفسيتها خلال مرحلة الولادة وما بعدها.

إذ (إن المرأة تشعر خلال الولادة بعاطفة توهمها بأنها في نهاية العالم، ذلك أنها تكون قد قطعت جميع علاقتها مع العالم المحيط بها ويتولد هذا الشعور فقط خلال الحمل وذلك أنها ترى أن كل منفعتها وفائدتها تتركز مباشرة على وضعها الجديد.. ولكنها عندما تلد تبني عالما جديدا حول الولد وتبدأ صلتها بالعالم من جديد من خلال طفلها ونستطيع أن نلاحظ ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: ما قبل الولادة

ترافق آخر لحظة من لحظات الولادة عندما تتكون عاطفة النشوة في نفس الأم من أجل ولدها.

المرحلة الثانية: مرحلة ما بعد الولادة

وهي مرحلة سعيدة بالنسبة للمرأة تتركز فيها ذاتها ويقوى مركزها بصورة عامة، وإلى جانب فرحها الكبير في ولدها، فإن يقظة جديدة بروحها النرجسية تعيش وتنبثق في نفسها، وهذه الروح تتمثل بمحاولة (الأنا) الإتحاد مع طفلها الذي كان السبب في إعطاء المرأة هذه الأهمية في اتحادها مع الطفل الذي كان مصدرا لقوتها الجديدة.

وتبدو هذه الروح بشعور المرأة الدائم بأن طفلها هو قبل كل شيء من نتائج عملها وتحقيقا (للأنا) وبذلك يتحد الفرح والفخر ويعطي للمرأة

نفسية جديدة... إن المرحلة التي تتبع الولادة تتميز بأنها مرحلة أولى لتحقيق روح الأمومة.

ونستطيع أن نقول: إن الأوضاع الاجتماعية والتقاليد كثيرا ما تخفف من نشوة هذه الروح الجديدة، وتصدم المرأة الأم صدمة شديدة وذلك بفرض تقاليد تجعلها لا تزال بعد الولادة غير طبيعية كأن تمنع الرجال من دخول غرفتها واعتبارها عند بعض الشعوب الابتدائية والقديمة، كما أن بعض الشعوب الأخرى تعد المرأة بعد الولادة نجسة، بعضهم يرونها خطرة.

أما في مجتمعاتنا فإن الاحترام هو الجو الذي يطلب أن تحاط به المرأة على أننا لا نستطيع تكرار العنصر النرجسي يعود من جديد كموجه أساسي للمرأة بعد الولادة، ولا نستطيع أن نقول إن حبها لطفلها يمحو روحها النرجسية، ولعل تعرض المرأة للأخطار في سبيل الولد يكون موقظا لهذه الروح ومن ثم تعود من جديد إلى اعتقادات الناس فكرة إضفاء تلك القوى السحرية على المرأة الوالدة.

المرحلة الثالثة: مرحلة ترميم العلاقات بين الأم وما يحيط بها

فهي مرحلة ترميم علاقات الأم بالعالم الذي يحيط بها وذلك رغبة منها في ان تتخلص من الحدود النرجسية وأن تجدد تفاعلها مع العالم الخارجي، ولا سبيل لذلك إلا عن طريقين، الأولى: من خلال الولد)[1].

ولقد قامت (د.هيلين دوتش) بدراسة الناحية الانفعالية التي توجه في علاقة الأم بولدها بوصفه موضعا خارجيا لها، وقد توصلت إلى إرجاع هذه

(١) سيكولوجيا المرأة ، هيلين دوتش: ص٦٦.

العناصر إلى ثلاثة ـ عناصر ـ رئيسية:

١ـ الحنان.

٢ـ الغيرية.

٣ـ فعالية خاصة.

وهذه العناصر إذا أخذت بمجموعتها تكون في نظري الجو النفسي لروح الأمومة، (فالغيرية) تقوم على أن المرأة تنسى نفسها كليا من أجل الولد، وتقبل بتضحية كل شيء لأجله حتى حياتها الخاصة كما أن جوهر الحب الأمي لا يتطلب تحفظا أو ترددا إنه يطالب الأم دائما أن تكون مندفعة بدعم علاقتها مع طفلها.

وهذا ما يكون في الواقع الوحدة التي نسميها (وحدة الولد والأم).. هذه الوحدة التي كانت متجمعة في الرحم زالت بقطع حبل السرة لكي تفسح المجال لنشوء وحدة جديدة هي، (الوحدة النفسية) التي نعبر عنها بـ(الحب الأمي).

والواقع أن كل افتراق بين (الأنا) (الأم) أو اللا أنا الجديد (الطفل) هو شيء خيالي في المراحل الأولى من الأمومة، أن شغف الأم بولدها أمر لا حد له.

المسألة الثالثة: دور الرضاعة في تحقيق الوحدة ما بين الأم ووليدها.

(إن القضايا الأساسية للأمومة تظهر في بدء ظهور وظيفة التناسل ثم تستمر إلى ما بعد ولادة الطفل.. وترتكز هذه القضايا في الدرجة الأولى على ذلك النزاع الذي لا مفر منه بين مصالح الفرد ومصالح النوع، والأم لا تلبث موزعة بين هذين الاتجاهين وتبقى مطالبة بأن تنسجم بينهما.

أما إذا كانت الأمومة قد أرهقت الأم بدفعها إلى التخلي عن حياتها النفسية من أجل النوع فإنها تفقد كثيرا من نزعتها وتبدو مغمورة بروح الأمومة، ذلك أن نزعة دفاعها عن النوع تصبح شيئا أساسيا لها بعد الولادة، ولذا فهي تكون دائبة على الاهتمام بصغيرها وتكون فعاليتها متوجهة في البدء إلى تغذية الولد وتأمين الراحة الجسدية له.

ولعل من مظاهر هذه العناية ذلك العجز الذي يبديه الطفل خلال زمن الرضاعة، وبذلك نستطيع أن نقول: إن جميع العوامل تدفع إلى تحقيق الوحدة ما بين الأم وولدها في بداية عهد الأمومة، ومنذ ذلك الحين يصبح عمل الأم الرئيسي بالنسبة للطفل الاهتمام بالتربية فهي تبدأ بالاهتمام بالصحة النفسية للطفل وتحاول أن تحقق له الملاءمة مع الواقع بقدر الإمكان وتدربه منذ صغره على مراقبة غرائزه وعلى اهتمامه بتوجيهاتها ونصائحها.

وهنا يبدو لنا أنه من المفيد أن نبحث في أثر التحليل النفسي في معرفة نفسية الأم في هذه المرحلة، وهذه الدراسة تؤدي بنا إلى أن نلمس نوعاً من الصراع بين ماضي الأم وحاضرها فالماضي الذي يحمل بالنسبة إليها روحها الجنسية ورغباتها قد أصبح اليوم مسخراً في عاطفة الحنان الأمومي، وهي تروض نفسها بين يوم وآخر على تقبل هذا التحول الخطير وعلى الاكتفاء به.

إن تحقيق هذا التحول في الواقع هو أحد الشروط الضرورية للأمومة الصحيحة وبمقدار هذا التحول وسلامته تكون علاقة الأم بطفلها سليمة ومجدية.. والأم تعتمد لتحقيق تحول كهذا على طريق عملي، فهي تراقب منذ البدء طفلها مراقبة كبيرة وتتوجه بإمعان نفسها إليه وتصبح بينها وبينه عاطفة

حدس تعد نواة لتحقيق تلك الوحدة بينهما.

وقد درست (Daathy Bwlinghom) في كثير من التوسع مردود الأفعال الانفعالية شعورية وغير شعورية التي تبديها المرأة أمام التطور النفسي للطفل، ورأت أن الأم في الواقع هي نقطة البدء لجميع التصرفات النفسية للطفل.

وقد رأت د.هيلين دوتش من مشاهدات خاصة أن الأم هي الكائن الذي يتلقى جميع تصرفات الطفل الانفعالية وأنهما ينموان معا في تحقيق عاطفة الأمومة، فتقول:

وقد رأيت أن الأم تتبع في هذا السبيل نوعين من الفعالية:

الأولى: الفعالية الحدسية، والثانية: الفعالية الفكرية

على أننا لابد أن نعترف لبعض الحالات المرضية التي تتعرض لها الأمهات في عملية التوحيد بينها وبين الطفل، فثمة أمهات يحاولن أن يجعلن هذا التوحيد لمصلحتهنّ فيرون أن يكون أولادهن نماذج لهن مطبوعين بطابعهن، ولذلك يطلبن إليهم أن يقلدوهن.

وهناك نوع آخر من النساء: هي المرأة التي تنتظر من طفلها أن يكون نموذجا لها فهي تحاول بقدر الإمكان أن توهم نفسها بأن كل ما كانت بحاجة إليه سوف يتحقق في طفلها، بنوع من التربية المثالية يغذين نفوسهن التي نقصها في الماضي كثير من الرغبات القديمة.

والواقع أن عراقيل كثيرة قد تحول بين الأم وبين تأديتها لوظيفتها العضوية اتجاه ولدها، وعند ذلك يأخذ شعورها نحوه أشكالا عديدة تؤثر في التكوين

النفسي كل التأثير فهي إما أن تخاف عليه، أو تهمله أو يكون سلوكها نحوه حياديا.

ولهذه الحالات المختلفة مظاهر مرضية في بعض الأحيان تكشف عنها العصابات التي تصاب بها الأمهات، وقد وصف (رادو Rado) حالة امرأة مصابة بقلق على طفلها كان يدفعها هذا القلق إلى التخلص من الوحدة بينها وبين الطفل فمثلا كانت تجلس إلى جانبه على شاطئ البحر وتقرأ كتابا وهو يلعب بالرمال ويلهوا بالأمواج وكانت تراقبه في حذر أينما اتجه ومن حين لآخر ترفع رأسها وتناديه باسمه، وإذا ما عرفت أنه بعيد عنها قليلا قذفت نفسها إليه وضمته إلى صدرها وغمرته بقبلاتها)[1].

(ويصف (Rado) أيضا حالة امرأة من هذا النوع كان هذا الشعور بالقلق على ولدها يرهقها فكانت تكرهه وتحبه بنفس الوقت، وتبالغ في كلتا العاطفتين، ولكن مهما حاولنا لأن نجد مبررا لمثل هذه الحالات المرضية فإن الشيء الذي لا ريب فيه هو أن عاطفة الأمومة تبقى الرابط الأساسي بين الولد والأم.

يقول فرويد: إن الشيء الوحيد الذي يحقق للأم اكتفاءً كليا هو علاقتها مع ابنها، إنه أقوى علاقة يمكن أن توجد بين كائنين إنسانيين.

وبالمقابل فإن الولد يشعر بعواطف مماثلة اتجاه أمه من قلق وحب وحرص عليها، على أن ناحية أخطر يجب النظر إليها وهي تلك الحالات الشاذة التي يمكن أن تتحول إليها عاطفة الأم والولد ولاسيما إذا كانت الأم مفتقرة إلى عاطفة زوجية صحيحة تبدو هذه الحالة في نشوء علاقة عاطفية

(١) سيكولوجيا المرأة: ص٧١ ـ ٧٢.

غريبة بين الأم والابن تشبه علاقة (اوديب)، فإذا كان الأب قاسيا على الأم تحولت الأم بكليتها إلى الولد.

والخلاصة: إننا إذا ألقينا نظرة خاطفة على العناصر النفسية للأمومة رأينا أن هذا الحادث البيولوجي في الظاهر والذي يبدو بسيطا وطبيعيا يفرض على المرأة مهمات صعبة، قد رأينا أنه قد يتطلب نزاعا بين قطبين مصالح الأنا وخدمة النوع، ولا سبيل لإبعاد أي تشوه وفساد في التوفيق بين هاتين النزعتين إلا بحل واحد، هو أن يكون للمرأة كثير من الأولاد، ذلك أن طريق الحياة هي أسلم طريق، والطبقة الإنسانية قد علمت المرأة كل ذلك.

والحقيقة أن الواقع يرينا أنه لا وجود مطلقا لعاطفة أمومية صرفة.. كما أنه لا وجود لأنوثة ولا لرجولة صرفة، ولا صحة لكل تمييز بين امرأة وأخرى في هذا المجال ولاسيما عندما نتعرض لبحث الأمومة.

ذلك أن الأمومة تلقي على جميع النساء رداء واحداً يجعلهن متوجهات أبدا بطبيعتهن إلى هدف مشترك، والنقاط والصفات النوعية للأمومة التي تجعل من بعض النساء من يتصفن بصفات تختلف عن الأخريات، هي في الواقع صفات تتعلق بعناصر ثانوية. إن وجود هذه العناصر هو شرط لابد منه لروح الأمومة، لأنه في الواقع لا وجود مطلقا لنموذج واحد للأمومة، كما أنه لابد من الاهتمام الكبير بالعناصر الثانوية في هذه المرحلة)[1].

أقول: ومما لا شك فيه أن هذه العناصر الثانوية التي لم تشر إليها (د.هيلين دوتش) في بحثها القيم حول روح الأمومة، تتمثل في الإيمان بالله

(١) سيكولوجيا المرأة: ص٧٤ ـ ٧٥.

عزّ وجل والثقافة الاجتماعية، والوعي الديني، والحب بين المرأة وزوجها، بل إن الحب الأسري الذي تنشأ فيه الفتاة قبل انتقالها إلى الحياة الزوجية لكفيل بها من أن تنقله إلى أطفالها ـ فضلاً عن استمرار والديها بتغذيتها بهذا الحب وهما يحدبان عليها وعلى أولادها بالحنان والدفء والمحبة.

وهذه العناصر جميعها وغيرها قد وجدت في بيت فاطمة عليها السلام فقد تغذت بحب أسري لا مثيل له، ثم انتقل هذا الحب معها يحط ركابه أينما نزلت وحلت فما عرف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه أغفل عن فاطمة وأبنائها، وهو الأب الحنون فضلاً عن حب علي لها وحبها لعلي عليه السلام.

ولذلك فإن القول: (بعدم وجود نموذج واحد للأمومة) يفتقر إلى الدقة والبحث ولو كانت الباحثة قد اتخذت من هذا النموذج أي فاطمة عليها السلام لها عنوانا في الأمومة إضافة إلى اهتمامها بالعناصر الثانوية لكان ذلك أصدق وأسرع في نمو روح الأمومة لديها، فإتباع النموذج أفضل عند العقلاء من عدم معرفته.

ولعل المتخصصين في علم النفس التحليلي وعلم النفس التكويني وغيرهما من فروع علم النفس وعلم الاجتماع لو تناولوا حياة سيد المرسلين وعترته أهل بيته لاختزلوا كثيرا من الوقت في الوصول إلى الحقيقة، ولوضعوا يدهم على الجرح.

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾[1].

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٢.

المسألة الرابعة: الإرضاع وأثره في التكوين الخُلقي للإنسان

لم تلتفت الأبحاث المعاصرة إلى أثر الإرضاع في التكوين الخُلقي للإنسان مثلما بيّنت أثر الحالة النفسية للأم خلال هذه المرحلة، ونمو العلاقة فيما بينهما، إلى جانب تركيزها، أي الأبحاث، على الدور الغذائي للإرضاع الطبيعي وهو حليب الأم.

بينما نجد في مقابل هذه الأبحاث، أبحاثاً أخرى لكنها لم تجرِ من خلال المراقبة والتحليل والدراسة، وإنما هي نتائج خلص إليها أصحابها من خلال مصدر جامع لكل العلوم وما تحتويه من حقائق وسنن وقواعد، والتي تكون ليس فقط صحيحة لا تخطئ وإنما في منتهى الدقة والتصويب وذلك إنما يعود إلى كونها صادرة من معلم البشرية الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى، وقد تم نقل هذه العلوم الجمّة إلى عترته الطاهرة وهم فاطمة وبعلها وبنوها عليهم السلام. ولذلك لا يحتاج بك أيها القارئ الكريم الرجوع إلى صغائر الأمور وكبائرها هنا وهناك وإلى نظريات صحيحة اليوم قد تكون فاقدة لمحتواها غدا، وعليك بالرجوع إلى مصدرها الأول فكم من حقيقة لم يتوصل إليها باحث قد حوتها دفّتا هذا المصدر.

فـ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾[1].

فخذها من مصدرها الأول ثم تلذذ بما حوته من حقائق اكتشافها بنفس والتقطها بفهمك كما يلتقط الطير حبة القمح من بين حبات الحجارة.

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٨.

أولاً: الجانب الغذائي لحليب الأم في روايات أهل البيت عليهم السلام

أما ما يخص الجانب الغذائي لحليب الأم وأثره في صحة الطفل، فقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام الحقائق التالية:

١ـ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**ما من لبن يرضع به الصبيّ أعظم بركة عليه من لبن أمه**»(١).

٢ـ عن أم إسحاق بنت سليمان قالت: ـ قال لي أبو عبد الله الصادق عليه السلام ـ:

«**يا أم إسحاق لا ترضعيه من ثدي واحد وأرضعيه من كليهما يكون أحدهما طعاما والآخر شرابا**»(٢).

٣ـ عن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«الرضاع واحد وعشرون شهراً فما نقص فهو جورٌ على الصبي»(٣).

ثانيا: الأثر التكويني للإرضاع في روايات أهل البيت عليهم السلام

وأما ما يخص الأثر التكويني للإرضاع في خلق الإنسان:

١ـ عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«**لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يعدي، وإن الغلام ينزع إلى اللبن، يعني**

(١) الكافي: ج٦، ص٤٠، باب الرضاع.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

إلى الظئر في الرعونة والحمق»[١].

٢ـ عن عبيد الله الحلبي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام امرأة ولدت من الزنا اتخذها ظئرا قال:

«لا تسترضعها ولا ابنتها[٢]، التي ولدت من الزنا»[٣].

٣ـ عن مسعدة عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

كان أمير المؤمنين يقول:

«لا تسترضعوا الحمقاء فإن اللبن يغلب الطباع»، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لا تسترضعوا الحمقاء فإن الولد يشب عليه»[٤].

٤ـ عن محمد بن مروان قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام:

«استرضع لولدك بلبن الحسان وإياك والقباح فإن اللبن قد يعدي».

٥ـ عن سعيد بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«لا تسترضعوا للصبي المجوسية واسترضع له اليهودية والنصرانية ولا يشربن الخمر، ويمنعن من ذلك»[٥].

ولهذه الحقائق التي لم يتوصل إليها العلم المعاصر فقد جاء في الأثر عن سيد الكونين أبي القاسم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أنه كان يأتي مراضع

---

(١) الكافي لثقة الإسلام الكليني رحمه الله: ج٦، باب: ما يكره لبنه، ح برقم ٨.

(٢) المصدر السابق: ص٤٢.

(٣) المصدر السابق: ص٤٤.

(٤) المصدر السابق: ص٤٤.

(٥) المصدر السابق: ص٤٤، برقم١٤.

ولد فاطمة عليها السلام فيسقيهم من ريقه، ويقول لفاطمة عليها السلام: «**لا ترضعيهم**»[1].

أي: مزيج من علم وحي الكتاب وعلم النبوة، وبهذا يكون وليد فاطمة قد ارضع منها مع ريق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغذته بحنانها وحبها كما غذاه جده المصطفى، ولذا (كان أشبه الناس به خلقا وهيأة وسؤددا)[2]، صلوات الله عليهم أجمعين.

(١) الخرائج والجرائح: ج١، ص٩٤؛ بحار الأنوار: ج٤٣، ص٢٥٠، ح٢٥.
(٢) العدد القوية: اليوم الخامس عشر، ص٢٩.

المبحث السادس
مراسيم اليوم السابع للمولود

امتاز اليوم السابع من عمر الطفل بمراسيم وسنن لم تكن معظمها معروفة لدى العرب قبل الإسلام، ولما ولد الإمام الحسن عليه السلام قام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بتلك المراسيم مع ولده الحسن عليه السلام فكانت سنة يستحب إتباعها وإحياؤها، وبخاصة أن كثيراً من الأسر أصبحت اليوم تتبع ما هو بعيد عن روح الإسلام، ولعل ذلك يعود إلى سوء نقل المعلومة إلى الأهل، أو لانجرافها بدون دراية أو فهم لما يرد على الأسرة المسلمة من ظواهر مستهجنة تحت غطاء التطور العلمي للحياة أو ظنّاً من البعض أنه يحمل مستوى ثقافياً وهو غير قادر على التمييز بين ما هو ثقافة اجتماعية دينية وبين ما هو ثقافة عجائزية.

ولذلك قام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بفرز ما هو مستهجن عن روح الإسلام فيما يخص مراسيم اليوم السابع، وحتى اختيار هذا اليوم لم يكن معتمدا عند العرب ولا تدري ما يحمله من آثار نفسية وروحية وشخصية للمولود، ولذلك سنستعرض لهذه المراسيم حسب تسلسلها، وإن كانت تجرى جميعها في هذا اليوم كما هو ثابت في السنة النبوية.

فعن جميل بن دراج قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن العقيقة والحلق والتسمية بأيها يبدأ؟ قال:

«**يضع ذلك كله في ساعة واحدة**»[1].

(١) وسائل الشيعة، العاملي: ج ٢١، ص٤٢٠، برقم٢٧٤٦٩.

المسألة الأولى: استقبال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لمولود فاطمة

يبدو من خلال الروايات أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان مواكبا لهذا الحدث أي: حمل فاطمة وولادتها وما تبعها من أمور، ولذلك نجد أن الروايات قد تناول قسم منها متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لولادة فاطمة لحظة الولادة وحضوره عندها، مخففاً عنها جهد الولادة، ثم استقباله المولود وتغيير القماش الذي لف فيه من الأصفر إلى الأبيض ثم قيامه صلى الله عليه وآله وسلم بالأذان في أذن المولود اليمنى، والإقامة في اليسرى كما مرّ بيانه سابقا.

وأما القسم الثاني من الروايات فقد رصدت حركة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم السابع من عمر الإمام الحسن عليه السلام، وكي يلفت النبي صلى الله عليه وآله وسلم انتباه المسلمين إلى المكانة الخاصة التي يحملها هذا المولود.

تولى أمر هذا اليوم بنفسه في حين إنها من عمل الأب، لذلك يدل على هذا العمل أنه ابنه، كما كان ينبّه عليه المسلمين، وكان يقول لفاطمة: ادعي لي ابنيّ فيشمهما إليه[1]، أي الحسن والحسين عليهما السلام، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير: ج٨، ص٣٧٧ ـ ٣٧٨، ضمن ترجمة يوسف بن إبراهيم ٣٣٨٨؛ وأخرجه الترمذي في السنن: ج٥، ص٦٥٧ ـ ٦٥٨، كتاب المناقب (٥٠) باب فضل الحسن.. (٣١) الحديث ٣٧٧٢؛ والبغوي في مصابيح السنة: كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برقم ٤٨٣١.

«كل بني أم عصبتهم لأبيهم إلا ولد فاطمة فأنا عصبتهم وأنا أبوهم»[١].

كل ذلك كي تتمسك الأمة بأهل بيته من بعده، ويعلموا منزلتهم ومكانتهم عند الله ورسوله، ولذا: لما كان اليوم السابع من مولده جاءت به أمه فاطمة عليها السلام تحمله إلى أبيها النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهو (ملفوف في خرقة حرير من الجنة نزل بها جبرائيل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢]، فسماه والظاهر: أن هذه الخرقة هي التي استبدلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخرقة الصفراء التي لف بها الإمام الحسن عند ولادته فرمى بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولفه بخرقة بيضاء، أي: التي نزل به جبرائيل من الجنة، كما يدل عليه حديث الإمام الصادق عليه السلام في التسمية ـ الذي سيمر علينا ـ.

المسألة الثانية: كيف جرت التسمية؟ ومن الذي سماه؟ جبرائيل عليه السلام أم والداه عليهما السلام

أخرج الشيخ الكليني رحمه الله، عن الحسين بن خالد، قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التهنئة بالولد متى فقال عليه السلام:

«إنه لما ولد الحسن بن علي هبط جبرائيل بالتهنئة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم السابع وأمره أن يسميه ويكنيه، ويحلق رأسه ويعق عنه ويثقب أذنه وكذلك كان حين ولد الحسين أتاه في اليوم السابع وأمره بمثل ذلك»[٣].

---

(١) المعجم الوجيز للميرغني: ص٢٨٦، حديث ٥٦٨؛ ورواه الطبراني في المعجم الصغير: ج٢، ص٢٧٨، برقم ٢٦٩٤.

(٢) العدد القوية ، رضا الدين الحلي: ص٢٩، اليوم الخامس عشر.

(٣) الكافي: ج٦، ص٣٣ ـ ٣٤، برقم٦؛ وسائل الشيعة : ج٢١، ص٤٣٢، برقم٢٧٥٠٧.

وعن الصادق عليه السلام قال:

لما ولد الحسن بن علي أهدى جبرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اسمه في سرقة[١] من حرير من ثياب الجنة فيها (حسن) واشتق منها اسم الحسين فلما ولدت فاطمة الحسن أتت به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسمّاه حسنا، فلما ولدت الحسين أتته به قال صلى الله عليه وآله وسلم : هذا أحسن من ذاك فسماه الحسين»[٢].

ويبدو من خلال رواية أخرى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم استلم الاسم من جبرائيل عليه السلام وهو في خرقة من ثياب الجنة كما بعد حوار بينهما .

فقد أخرج الشيخ الصدوق رحمه الله عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: حدثتني أسماء بنت عميس قالت: ... قال رسول الله لعلي:

«يا علي بم سميت ابنك هذا؟».

قال:

«ما كنت لأسبقك باسمه يا رسول الله».

قال:

«وأنا ما كنت لأسبق ربي».

فهبط جبرائيل عليه السلام فقال:

---

(١) سرقة، أي: أحسن الحرير، قال الجوهري: السرق، شقق الحرير، قال أبو عبيد: إلا أنها البيض منها، والواحدة سرقة.

(٢) بحار الأنوار: ج٤٣، ص٢٥١، برقم٢٨.

«إن الله عزّ وجل يقرأ عليك السلام ويقول لك: يا محمد علي منك بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدك فسمِّ ابنك باسم ابن هارون».

قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«يا جبرائيل وما اسم ابن هارون؟».

قال جبرائيل عليه السلام:

«شبّر».

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«وما شبّر؟».

قال عليه السلام:

«الحسن[1]**».**

قالت أسماء: فسماه الحسن.

وقد وردت في كثير من الأحاديث: تسمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهما عليهما السلام باسم ابني هارون[2].

أما السبب في نزول اسم في خرقة من حرير الجنة فهو للتكريم، ولبيان أنهم سادات أهل الجنة وقد ورد عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى

---

(١) أمالي الطوسي: المجلس١٣، ص٣٦٧؛ صحيفة الرضا عليه السلام: متن الصحيفة ٧٣، ص٣٩؛ عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٢٥؛ المناقب، ابن شهر: ج٤، ص٢٥، وقريب من لفظه؛ أخرجه الصدوق بسند عن أبي حمزة الثمالي، عن زيد بن علي، عن أبيه، علل الشرائع: ج١، ص١٣٧؛ معاني الأخبار: ص٥٧؛ شرح الأخبار: ج٢، ص٢٥.

(٢) مسند الفردوس، الديلمي: برقم ٣٥٣٣.

الله عليه وآله وسلم قال:

«سمي الحسن (حسنا)؟ لأن بإحسان الله قامت السموات والأرضون، واشتق (الحسين) من الإحسان، و(علي والحسن) اسمان من أسماء الله تعالى والحسين تصغير الحسن»[1].

وكان الله عزّ وجل حجب هذين الاسمين عن الخلق، يعني: (حسنا وحسينا) حتى يسمى بهما ابنا فاطمة عليها السلام، فإنه لا يعرف أن أحدا من العرب تسمى بهما في قديم الأيام إلى عصرهما لا من ولد نزار، ولا اليمن مع سعة أفخاذهما، وكثرة ما فيهما من الأسامي.

وإنما يعرف فيهما (حسْن) بسكون السين، و(حَسِين) بفتح الحاء وكسر السين، وأما حسن بفتح الحاء، والحسين ـ كذلك ـ فلا نعرفه إلا اسم جبل معروف، قال الشاعر:

لأم الأرض وبل ما أجنت ... بحيث أضر بالحسن السبيل[2]

المسألة الثالثة: العقيقة وحلق شعر رأس المولود

(العقيقة: وهي الذبيحة التي تذبح للمولود وأصل العق الشق والقطع، وقيل للذبيحة عقيقة؟ لأنه يشق حلقها، وأصلها كما قال الأصمعي وغيره: الشعر الذي يكون على رأس الصبي حين يولد، وجعله الزمخشري أصلا والشاة المذبوحة مشتقة منه[3]، قال: أبو عبيد: فهو من تسمية الشيء باسم

(١) بحار الأنوار :ج٤٣، ص٢٥، حديث ٣٠.

(٢) البحار: ج٤٣، ص٢٥٢؛ قلائد الجمان، القلقشندي: ص١٥٩.

(٣) سبل السلام ، الضعاني: ج٤، ص١٨٩ ـ ١٩٠.

غيره إذا كان معه أو من سببه، وقد أنكر أحمد بن حنبل قول الأصمعي وغيره أنها الشعر بأنه لا وجه له وإنما هي الذبح نفسه، قال: أبو عمر! وهذا أولى وأقرب إلى الصواب، واحتج له بعض المتأخرين بأنه المعروف لغة يقال: عق إذا قطع[1].

ولأهمية العقيقة وأثرها في سلامة المولود، فقد أكد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام عليها، فعن سمرة، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«**كل غلام مرتهن بعقيقته تذهب عنه يوم سابعه ويحلق ويسمى**»[2].

وأخرج الشيخ الكليني رحمه الله عن الفراء، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«**الغلام رهن بسابعه بكبش يسمى فيه ويعق عنه**»[3].

وفي حديث عن عائشة أنها قالت: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر المسلمين بأن يعق كل مولود له عن ولده[4].

---

(١) الموطأ بشرح الزرقاني: ج٣، ص١٣٦.

(٢) رواه أبو داود، في كتاب الأضاحي، باب العقيقة حديث رقم ٢٨٣٨، ج٣، ص١٠٦؛ والنسائي في السنن: كتاب العقيقة، باب: متى يعق: ج٧، ص١٦٦؛ ورواه أحمد، وابن ماجه، وصححه الترمذي.

(٣) الكافي: ج٦، ص٢٦، كتاب: العقيقة حديث٥؛ وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤١٦، حديث رقم ٢٧٤٥٥.

(٤) صحيح الترمذي: ج٤، ص٩٦ ـ ٩٧، كتاب الأضاحي، باب: ما جاء العقيقة: حديث رقم ١٥١٣؛ ورواه ابن ماجه في كتاب: الذبائح، باب: العقيقة، حديث رقم ٣١٦٣، ج٢، ص١٠٥٦.

ولذلك نجد أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قام بنفسه بأمر العقيقة عن الحسن والحسين عليهما السلام، بل ورد أنه صلى الله عليه وآله وسلم عق بيده عن الحسن عليه السلام.

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«عق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسن بيده، وقال: بسم الله عقيقة عن الحسن، وقال: اللهم عظمها بعظمه ولحمها بلحمه ودمها بدمه، وشعرها بشعره، اللهم اجعلها وقاء لمحمد وآله»(١).

وقد تناقلت الحفاظ فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذا، أي قيامه بالعق عن الحسن والحسين عليهما السلام فعن ابن عباس أنه قال:

«إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عق عن الحسن والحسين كبشا كبشا»(٢).

وعن عائشة: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عق عن الحسن والحسين كبشا كبشا يوم السابع وسماهما وأمر أن يحاط عن رأسيهما الأذى(٣)، أي الحلق.

والعلة في حلق شعر المولود هو لما يحمله من آثار رحم الأم خلال مدّة الحمل، ولذا قال صلى الله عليه وآله وسلم يحاط عنه الأذى، وكلمة (الأذى)

---

(١) الكافي: ج٦، ص٢٦، كتاب: العقيقة؛ أخرجه العاملي في الوسائل: ج٢١، ص٤٣٠، حديث رقم ٧٥٠٤.

(٢) رواه أبو داود، في كتاب الأضاحي، باب العقيقة حديث رقم ٢٨٤١، ج٣، ص١٠٧؛ وصححه ابن خزيمة، وابن الجرود، وعبد الحق، ورواه النسائي في كتاب العقيقة، باب: كم يعق عن الجارية.

(٣) موارد الظمآن للهيثمي: ج٣، ص٣٨٥.

تشمل الأذى الوارد عن طريق المكونات الجرثومية وتشمل الأذى من خلال الآثار الروحانية كما تدل عليه كثير من النصوص كحدث أم الصبيان.

والغرض هو: التمسك بفعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وليس بما يؤوله كثير من الناس، ولكن قلنا لا يخلو الأمر من أن ترك الشعر على رأس المولود بعد الولادة وعدم حلقه وبخاصة في اليوم السابع يسبب أذى له.

والمهم في الأمر أن يكون هذا كله يجري في اليوم السابع، أما إذا لم يتم الحلق والعقيقة والتسمية والختام في هذا اليوم فيبدو أنها تفقد الأثر الإيجابي ويصبح الأمر سيَّين تمّ أم لم يتم سوى العقيقة فهي مطلوبة حتى وإن لم تتم في هذا اليوم[1].

وذلك جاء في الحديث أن النبي الأكرم أمر فاطمة عليها السلام بحلق رأسيّ الحسن والحسين عليهما السلام[2] والتصدّق بوزنيهما ورقا[3]، وفي رواية فضة[4].

(١) التهذيب للطوسي: ج٧، ص٤٤٦، باب: الولادة والنفاس والعقيقة؛ الكافي: ج٦ ص٢٨.

(٢) كشف الغمة ، الأربلي: ج١، ص٥١٨؛ مكارم الأخلاق ، الطبرسي: ص٢٢٨؛ مسند أحمد: ج٦، ص٣٩؛ والبيهقي في الآثار: ج٩ ص٣٠٤؛ المغني: ج١٣، ص٣٩٧.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في المصنف: ج٤، ص٣٣٣ ـ ٣٣٤، كتاب العقيقة، باب: العق يوم السابع؛ وابن أبي شيبة في المصنف: ج٨ ص٢٤١، كتاب العقيقة، باب: في أي يوم تذبح العقيقة؛ وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤١٠، وفي ص٤٢٠.

(٤) الكافي للكليني رحمه الله: ج٦، ص٣٣، برقم ٥؛ وسائل الشيعة: ج١، ص٤٣١، حديث رقم ٧٥٠٦، وفي ص٤٢٠، برقم ٢٧٤٦٩؛ الموطأ لإمام المالكية، كتاب العقيقة، باب: ما جاء في العقيقة؛ والزرقاني في شرحه للموطأ: ج٣، ص١٣٧؛ وأخرجه البيهقي في معرة السنن والآثار: ج١٤، ص٦٩، حديث ١٩١٤٠؛ السيل الجرار للشوكاني: ج٤، ص٩٢؛ نيل الأوطار: ج٥، ص١٥٤؛ المجموع للنووي: ج٨ ص٤١٣؛ مسند أحمد بن حنبل: ج٦

وفي قول آخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم حلق رأسيّ الحسن والحسين عليهما السلام بنفسه وأمر فاطمة بأن تتصدق بوزن شعرهما[١]، فكان وزن شعر الحسين عليه السلام درهما ونصفاً[٢].

فيستحب بعد الحلق أن يطلى رأس المولود بالخلوق[٣]، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذلك مع الحسن عليه السلام[٤]، ولقد كانت العرب قبل الإسلام تطلي رأس المولود بالدم، فنهى عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: **إن الدم من فعل الجاهلية**[٥].

والمراد بالدم: هو دم الذبيحة، أي: عقيقة المولود[٦].

ويستحب أن يبعث إلى القابلة برجل الشاة أو الكبش[٧]، وأن لا تأكل أم المولود وأبوه من لحم العقيقة[٨]، وأن يجرى عليها الإطعام، أو تهدى إلى الجيران كما فعل

ص٣٩٠، كتاب العقيقة؛ المغني: ج١٣ ص٣٩٧؛ طبقات النعيمي: ص٤٠٣.

(١) وسائل الشيعة للعاملي ج٢١ ص٤١٠، باب: استحباب التحنيك؛ مستدرك الوسائل: ج١٥، ص١٤٢، باب: أنه يستحب أن يعق عن المولود.

(٢) مستدرك الوسائل: ج١٥، ص١٤٢، باب: إنه يستحب أن يعق عن المولود؛ شرح الزرقاني على الموطأ: ج٣، ص١٣٧، حديث رقم ١١٠٤.

(٣) طيب مركب من الزعفران وغيره.

(٤) وسائل الشيعة للعاملي: ج٢١، ص٤١٠، باب: استحباب التحنيك؛ بحار الأنوار: ج٤٣.

(٥) المصدر السابق.

(٦) الكافي: ج٦، ص٢٦ ـ ٢٩؛ وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤١٦، حديث رقم ٢٧٤٥٥.

(٧) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٠٨، حديث رقم ٢٧٤٢٧؛ وأخرجها البيهقي في معرفة السنن، ج١٤، ص٧٠، حديث رقم ١٧١٤٣؛ وأخرجه أبو داود في المراسيل في باب العقيقة؛ شرح الأخبار: ج٢، ص٤٤، برقم ١٧٠.

(٨) الكافي: ج٦، ص٣٢، حديث رقم ١، باب: إن الأم لا تأكل من العقيقة.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام[1]، فقد جاء في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«**كلوا وأطعموا ولا تكسروا منها عظاما**»[2].

أي: يكره أن تقطع الذبيحة على قطع صغيرة فتكسر عظامها.

المسألة الرابعة: تحنيك الغلام وختانه وثقب أذنه

ألف: التحنيك

قد ورد في السنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قام بتحنيك الحسن والحسين عليهما السلام في اليوم السابع من ولادتهما.

فقد أخرج الشيخ الكليني رحمه الله عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام:

«**حنكوا أولادكم بالتمر هكذا فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالحسن والحسين عليهما السلام**»[3].

والتحنيك هو: أن تمضغ التمر ثم تدلكه بحنك الصبي داخل فمه[4]، وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه كان يحنك أولاد الأنصار[5].

---

(١) الكافي للكليني رحمه الله: ج٦، ص٣٣، باب: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة عليها السلام عقا عن الحسن والحسين عليهما السلام.

(٢) البيهقي في معرفة السنن: ج١٤، ص٧٠، حديث ١٩١٤٣.

(٣) الكافي: ج٦، ص٢٤، حديث رقم ٥.

(٤) لسان العرب: ج١٠، ص٤١٦، مادة (حنك).

(٥) المصدر السابق.

ولذلك ورد في أحاديث العترة النبوية أحاديث تحث على القيام بهذه السنة النبوية فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

«يحنك المولود بماء الفرات، ويقام في أذنه»[1].

وفي رواية أخرى:

«حنّكوا أولادكم بماء الفرات وبتربة قبر الحسين عليه السلام فإن لم يكن فبماء السماء»[2].

باء: الختان

ومن المراسيم الخاصة باليوم السابع (الختان) وهو من السنّة المؤكدة الواجب فعلها للغلام. أما النبي والإمام فإنه يولد مختونا لأنه طاهر أصلا لما ورد في محكم التنزيل من تطهير أهل البيت من كل رجس[3].

جيم: ثقب الأذن

أما ثقب أذن الغلام فقد قام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثقب أذن الحسن والحسين عليهما السلام، كما أمره جبرائيل عليه السلام، وهو ما جاء في الحديث الذي أخرجه الشيخ الكليني رحمه الله عن الحسين بن خالد قال: سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التهنئة بالولد متى؟ فقال عليه السلام:

«إنه لما ولد الحسن بن علي عليهما السلام هبط جبرائيل عليه السلام

(١) الكافي: ج٦، ص٢٤، حديث رقم ٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الأحزاب، الآية: ٣٣.

بالتهنئة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اليوم السابع وأمره أن يسميه ويكنيه ويحلق رأسه ويعق عنه ويثقب أذنه، وكذلك كان حين ولد الحسين عليه السلام أتاه في اليوم السابع فأمره بمثل ذلك، وكان الثقب في الأذن اليمنى في شحمة الأذن وفي اليسرى في أعلى الأذن، فالقرط باليمنى والشنف في اليسرى»[1].

والعلة في ذلك هي خلاف سنة اليهود، كما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«يا فاطمة أثقبي أذنيّ الحسن والحسين خلافا لليهود»[2].

المسألة الخامسة: حقيقة تظهرها ولادة الإمام الحسن هي ليس لفاطمة عليها السلام نفاس؟!

كشفت ولادة الإمام الحسن عليه السلام حقيقة عملية من حقائق الرفعة والطهر لبيت العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام.

وهذه المرّة قد قطع الطريق على المنافقين والمنكرين لفضائل العترة النبوية، فلكم من حديث سمعه المسلمون في مناقب أهل البيت عليهم السلام ولاسيما في البضعة الزهراء وقد كانوا بين موقن به قلبا وعقلا، أو موقن به قلبا غير محتمله عقلا، أو منكر له عقلا وقلبا، ولاسيما تلك الأحاديث التي فيها خصوصية هي في واقعها مغايرة للطبيعة البشرية.

---

(١) الكافي: ج ٦، ص٣٣ ـ ٣٤، حديث رقم ٦؛ وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٣٢، حديث رقم ٢٧٥٠٧.

(٢) وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٣٣، باب: استحباب ثقب الأذن؛ من لا يحضره الفقيه، الصدوق: ج٣، ص٤٨٩، باب: العقيقة.

والنفاس: هو وظيفة طبيعية وفيزيولوجية من وظائف رحم المرأة، وخصوصية من خصوصيتها التكوينية التي ركبها الله عزّ وجل فيها إذ يقوم الرحم في هذه المرحلة بقذف الدم إلى خارج الجسم.

وتختلف النساء في مدة النفاس، وفي مقدار الدم الخارج، وقد عرّفه الفقهاء في مصنفاتهم بأنه: (دم يقذفه الرحم بسبب الولادة، معها، أو بعدها، لا قبلها، فكل دم المرأة الحامل قبل الولادة إن أمكن فيه الحيض فحيض، وإلا فاستحاضة.

أما حكمة: فليس لأقل النفاس حد فلو رأت الدم عند الولادة، أو بعدها لحظة ثم طهرت، تجعل اللحظة نفاسا.

وأما أكثره، فالمشهور عشرة أيام إن حصل النقاء ولم يتجاوز الدم العشرة، وإلا فإن تجاوز العشرة عليها أن ترجع إلى عادتها في الحيض، فتجعلها نفاسا، والباقي استحاضة، ويجب غسل النفاس عند النقاء من الدم[١].

وهذا الاختلاف بين امرأة وأخرى، هو في حد ذاته كاشف عن حكمة الله عزّ وجل وعن عناصر تكوينية ووراثية ومزاجية، فالمرأة التي تنحدر من جذور هاشمية أو قرشية تختلف عن غيرها في مقدار مدة خصوبتها وقدرتها على الإنجاب والتناسل، فسن اليأس عندها في الستين[٢]، وفي غيرها في الخمسين ولا ملاك لمن زاده على الخمسين في غير الهاشمية والقرشية.

---

(١) اجماعيات فقه الشيعة، السيد إسماعيل أحمد المرعشي: ج١، ص١٢٨، كتاب الطهارة، باب الاغتسال الواجبة ـ غسل النفاس.

(٢) المصدر السابق: ص١٢١.

فإذن:

تلك التغيرات هي بقدرة الله عزّ وجل، ومن قدرته أن جعل بنات الأنبياء لا يطمثن، ففي الحديث الشريف عن أمير المؤمنين عليه السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سئل: ما البتول؟ فإنا سمعناك يا رسول الله تقول: إن مريم بتول وإن فاطمة بتول؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**البتول التي لم تر حمرة، أي: لم تحض، فإنه مكروه في بنات الأنبياء**»[1].

وإذا كان هذا حال بنات الأنبياء عليهم السلام فمن باب أولى أن تكون ابنة سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم هي البتول قطعا.

أضف إلى ذلك أن هذا أحد الأدلة التي تؤكد حقيقة كونها (وحيدة النبي صلى الله عليه وآله وسلم). إذ لم يرد ولو من باب الرواية الضعيفة أن (رقية، وأم كلثوم، وزينب) كانت كل واحدة منهنّ بتولاً ولم يشر إلى إحداهن ذلك لا من بعيد أو قريب.. وحتى لو حملت البتول على المعنى اللغوي الآخر لها وهو: (المنقطعة عن الدنيا إلى الله) أو (المنقطعة من الرجال لا أرب لها فيهم)[2]، فهو لم يرد لإحداهن ذلك كما أن التبتل في الإسلام منهيّ عنه.

ولذا يبقى المراد والمشهور من (البتول) هي التي لا ترى حمرة الدم عند الدورة الشهرية أو عند الولادة، أي: إن فاطمة البتول عليها السلام لم تتوقف عن أداء الفرائض الواجبة في أي حال من الأحوال، وفي أي وقت من

(١) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٣٧، باب: نوادر ما يتعلق بأبواب الحيض؛ علل الشرائع: ج١، ص١٨١؛ معاني الأخبار: ص٦٤؛ دلائل الإمامة، الطبري: ص٥٤؛ كشف الغمة، الأربلي: ج١، ص٤٦٤؛ مجمع البحرين: ج٥، ص٣١٧.

(٢) لسان العرب: ج١١، ص٤٢، مادة:بتل؛ مجمع البحرين: ج٥، ص٣١٦.

الأوقات وبذلك فقط يصح القول بأنها (المنقطعة عن الدنيا إلى الله تعالى) وهذا الانقطاع وعدم التوقف في العبادة يستلزم أن تكون المرأة في حالة الطهر، إذ أجمع المسلمون على أنّ شرط صحة الفروض التكليفة للمسلم ذكرا أو أنثى متوقف على الطهارة، والمرأة التي ترى حمرة الدم لا يصح منها أداء الفريضة لأنها غير طاهرة تلك المدّة.

ولذلك: تبقى فاطمة الزهراء عليها السلام هي (البتول) سواء حمل على عدم رؤية الدم أو (المنقطعة إلى الله تعالى) ففي كلتا الحالتين يستلزم دوام الطهارة، وهو ما لم يتحقق إلا لها عليها السلام فتلك هي حكمة الله عزّ وجل، وتلك هي إرادته في أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الذي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا[١].

أضف إلى ذلك ما ورد بسند صحيح عن طريق أهل بيت النبوة عليهم السلام عن علي بن جعفر رضي الله عنه عن أخيه أبي الحسن عليه السلام[٢]، قال:

«إن فاطمة صديقة شهيدة وإن بنات الأنبياء لا يطمثن»[٣].

وأما ما ورد عن طرق العامة، فقد أخرج الحافظ ابن المغازلي، عن زيد بن علي عن أبيه عن زينب بنت علي، قالت حدثتني أسماء بنت عميس قالت: وقد كنت شهدت فاطمة وقد ولدت بعض ولدها فلم ير لها دم؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام.

(٣) الكافي : ج١، ص٤٥٨، كتاب الحجة، باب: مولد الزهراء عليها السلام.

«**يا أسماء إن فاطمة خلقت حورية في صورة إنسية**»[1].

وفي رواية انه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«**إنها حوراء آدمية لم تحض ولم تطمث**»[2].

وعن عائشة قالت: وكانت فاطمة لا تحيض، ولقد وضعت الحسن بعد العصر وطهرت من نفاسها فاغتسلت وصلّت المغرب[3].

وخير ما نختم به البحث ما روي عن الإمام الرضا عليه السلام، عن أسماء، قالت: قبلتُ، أي: ولدت فاطمة بالحسن فلم أرَ لها دماً! فقلت: يا رسول الله إني لم أر لها دما في حيض ولا نفاس؟! فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**أما علمت أن ابنتي طاهرة مطهرة لا يرى لها دم في طمث ولا ولادة**»[4].

(١) مناقب أمير المؤمنين، ابن المغازلي: ص٢٢٩، برقم ٤١٦.

(٢) كنز العمال ، الهندي: ج١٢، ص١٠٩، حديث ٣٤٢٢٦؛ ذخائر العقبى ، الطبري: ص٢٦.

(٣) أخبار الدول ، القرماني: ج١، ص٢٥٦؛ ذخائر العقبى، الطبري: ص٤٤.

(٤) صحيفة الرضا عليه السلام: ص٩٠.

المبحث السابع
الحمل الثاني لفاطمة عليها السلام

المسألة الأولى: أمور خاصة رافقت الحمل الثاني لفاطمة عليها السلام

امتاز الحمل الثاني لسيدة النساء عليها السلام بأمور خاصة، نقتصر على ذكرها ونعرض عن ما تم سرده في ولادة الحسن عليه السلام من التسمية والعقيقة وحلق الرأس وغيرها، فما قام به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للحسن عليه السلام قام بمثله لأخيه الحسين عليه السلام.

أولاً: حال الزهراء قبل ولادة الحسين عليه السلام ليس له مثيل في سجل الأمومة

ولكن جرت أمور خاصة، بل فريدة في الحمل الثاني لفاطمة لم تشهدها الإنسانية بل لم يعرفها سجلها الحضاري، إذ لم يعهد أن هناك أمّاً حملت ثم يقال لها: إن ما تحملين في أحشائك هو غلام وستلدينه ويكبر، لكنه يقتل في أرض فلاة حيث لا ناصر له ولا معين سوى ثلة من أهل بيته وأصحابه يقتلون معه أيضا!!

ثم يمضي الليل والنهار وتراها تعد الساعات لترى هذا المولود وتضمه إلى صدرها، وتبكيه وليدا وقد بكته من قبل جنينا...

وفي الواقع.. لا أدري أي أحاسيس.. وأي مشاعر كانت تختلج في نفس بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وهي تنظر إلى حملها حيناً.. وتتأمل حيناً آخر في حركات جنينها وهو يناغي أحشاءها بل روحها؟!

وعندما ولدته.. لا أدري كيف كانت تنظر إليه.. وهي عارفة أن هذا

الصدر الذي يشابه صدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم[1] المصطفى ستسحقه خيول بني أمية؟!

ترى هل كانت تتحسس بيديها تلك الأضلع عندما كان يغفو في مجرها.. ترى هل كانت ترى مواضع السيوف عندما تشم عنقه وهو يداعب بأنامله الرقيقة خصلات من شعرها؟!

لا أدري.. كيف كانت تسرّح شعره وصورة رأسه المقطوع أمام ناظرها.. هل كانت دموعها ترطب خصلات شعر ولدها.. لا أدري كيف كانت تلبسه ثيابه وهي تعلم أنه مسلوب الثياب عريانا تحرقه حرارة الشمس ورمضاء الثرى في كربلا؟!

ترى.. كيف كانت تطعمه.. كيف لها قلب أن تسبقه.. أو كيف هي تشرب الماء وهو ينظر إليها أو يطلبه منها! هل تتأخر عليه؟! أو تأتيه بالماء وهي مسرعة باكية؟!

ترى.. أهناك أم حملت بمثل ما حملت الزهراء عليها السلام من الآلام.. أي أم علمت ما يجري على ولدها وهو يكبر أمام ناظرها.. وفي نفس الوقت صابرة محتسبة ومسلمة لأمر ربها؟!

(١) رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب عليه السلام في السنن: ج٥، ص٦٦٠، برقم ٣٧٧٩؛ الإرشاد، المفيد: ج٢، ص٢٧؛ طبقات النعيمي: ص٤٠٣؛ وذكره الهيثمي في موارد الظمآن: ص٥٥٣؛ كتاب المناقب ٣٦ باب: ما جاء في الحسن.... ص١٥، الحديث ٢٢٣٥؛ وذكره القارئ في المرقاة: ج٥، ص٦٦؛ وعزاه لأبي حاتم، والبغوي في مصابيح السنة كتاب المناقب: ص٢٨، باب مناقب أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ص١٠، حديث ٤٨٣٤.

كيف لنا أن نتحدث عن الأمومة وآثار الحمل والولادة على نفسية المرأة، بل على كل كيانها ثم نتجاهل تلك الآلام والأحاسيس التي عاشتها هذه الأم؟!

وهل يتغافل البعض عن هذا، هل حقا بقي عندهم شيء من إنسانيتهم وضمائرهم؟!

وإليك أيها القارئ الكريم بعض الأحاديث التي تتحدث عن أخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام بما يجري على ولدها قبل أن يلد كما سيمر في ثانيا:

ثانياً: حملته كرها ووضعته كرها

١ ــ عن سعد بن عبد الله عن أحمد بن محمد عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن عبد الكريم بن نصر عن عبد الكريم بن عمرو عن المعلى بن خنيس قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصبح صباحا فرأته فاطمة باكيا حزينا، فقالت:

«ما لك يا رسول الله»؟

فأبى أن يخبرها، فقالت:

«لا آكل ولا أشرب حتى تخبرني».

فقال:

«إن جبرئيل عليه السلام أتاني بالتربة التي يقتل عليها غلام لم يحمل به بعد».

ولم تكن تحمل بالحسين عليه السلام.

«وهذه تربته»)[١].

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«لما حملت فاطمة عليها السلام بالحسين جاء جبرائيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن فاطمة ستلد غلاما تقتله أمتك من بعدك، فلما حملت فاطمة الحسين عليه السلام كرهت حمله، وحين وضعته كرهت وضعه».

ثم قال أبو عبد الله عليه السلام:

«لم تُر في الدنيا أم تلد غلاما تكرهه ولكنها كرهته لما علمت أنه سيقتل، قال وفيه نزلت هذه الآية:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[٢]»[٣].

وفي رواية أخرى: إنها لما علمت أنه سيقتل قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لا حاجة لي فيه».

فقال صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله عزّ وجل قد وعدني فيه عدة».

---

(١) كامل الزيارات: ص٦٢.

(٢) سورة الأحقاف: الآية: ١٥.

(٣) الكافي: ج ١، ص ٤٦٤، كامل الزيارات: ص ٥٥، المناقب، ابن شهر: ج ٤، ص ٤٦.

قالت عليها السلام:

«**ما وعدك؟**».

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«**وعدني أن يجعل الإمامة من بعده في ولده**».

فقالت:

«**قبلت**»[1].

ورضاها هنا هو لمعرفتها في هذه الحالة أن صلاح الأمة وحفظ الشريعة متوقف على هذا الأمر وهو الإمامة، وهذا المقام لا يرتقى إليه إلا بالابتلاء وبالشكل الذي شاءه الله عزّ وجل، ولذا قال عليه السلام:

«**شاء الله أن يراني قتيلا**»[2].

وخذ له مثلا من محكم التنزيل فقد رأى إبراهيم الخليل أن قيام بيت الله متوقف على ذبح ولده إسماعيل.

وإسماعيل عليه السلام فهم المراد من قول أبيه عليه السلام:

﴿**يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**﴾[3].

فرد متفهما أن الأمر ارتبط بذبحه وأن مشيئة الله اقتضت ذلك.

فكان تسليما ورضا بمشيئة الله فقال:

﴿**يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾.

---

(١) كمال الدين، الصدوق: ج ٢، ص ٤١٥، باب: ما روي في الإمامة.

(٢) الأخلاق الحسينية لجعفر البياتي: ص٤٢.

(٣) سورة الصافات، الآية: ١٠٢.

عرف إسماعيل أن هذه الرؤيا التي رآها أبوه هي أمر إلهي فعليه الامتثال ولذا قال: افعل ما تؤمر ولم يقل افعل ما رأيت، وفاطمة عليها السلام: فهمت من أبيها صلى الله عليه وآله وسلم: أن قيام البيت ومناسكه متوقف على فدائه.

وفداؤه يجب أن يكون عظيما لأن الشيعة أعظم، ولذا:

﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1].

والهاء في فديناه تعود إلى البيت وليس إلى إسماعيل، لأن إسماعيل هو الفدو المقدم للبيت فرفع عنه الأمر وقدم للبيت الحرام الحسين عليه السلام وكيف لا وهو من رسول الله ورسول الله منه[2]، ولذا كان عظيما لمقامه عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

المسألة الثانية: ولادته عليه السلام

ولد بالمدينة لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع للهجرة[3].

---

(١) سورة الصافات الآية: ١٠٧.

(٢) وهو حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الذي رواه أصحاب الصحاح والمسانيد، فعن يعلى ابن مرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الأسباط»، وقد أخرجه أحمد في مسنده: ج٤، ص١٧٢؛ وأخرجه البخاري في الأدب المفرد: ص١٣٣ ـ ١٣٤، باب: معانقة الصبي ١٧٠، الحديث ٣٦٦؛ وأخرجه الترمذي في السنن: ج٥، ص٦٥٨ ـ ٦٥٩، كتاب المناقب ٥٠، باب: مناقب الحسن والحسين الحديث ١٤٤؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك: ج٣، ص١٧٧، كتاب معرفة الصحابة، باب استشهد الحسين يوم الجمعة، وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي؛، وأخرجه البغوي في مصابيح السنة، كتاب المناقب برقم ٤٨٣٣.

(٣) الإرشاد، المفيد رحمه الله: ج٢، ص٢٧.

ولم يولد لستة أشهر خلا عيسى بن مريم عليه السلام، والحسين بن علي عليهما السلام[١]، ولعل وجه التشابه بينهما يرتبط بتخفيف المعاناة على الأم، فمريم عليها السلام لوضعها في بيت المقدس، وفاطمة عليها السلام لعلمها بأنه سيقتل فطول الحمل يزيد في أحزانها.

ولما وضعته جاءت له إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأذن بأذنه اليمنى وأقام في اليسرى[٢]، ثم قال:

«خذيه يا فاطمة فإنه إمام ابن إمام، أبو الأئمة التسعة من صلبه أئمة أبرار والتاسع قائمهم»[٣].

وفي اليوم السابع لولادته قام النبي بتسميته وعقّ عنه كبشا[٤]، وقيل كبشين أملحين[٥]، وحلق شعر رأسه ووزن فكان درهما ونصفاً من الفضة[٦]، وتصدق به على المساكين، وبكاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم ولد ويوم سابعه، بل كلما وقعت عيناه عليه دمعتا.

---

(١) الكافي: ج١، ص٤٦٤.

(٢) أخرجه أبو داود في السنن: ج٢، ص٦٢١، كتاب الأدب، باب: الصبي يولد فيؤذن في أذنه؛ وأخرجه الترمذي في باب: الأذان في أذن المولود، من أبواب الأضحية؛ عارضه الأحوذي: ج٦، ص٣١٥؛ وأحمد في المسند: ج٦، ص٣٩١ ـ ٣٩٢؛ وابن قدامة في المغني: ج١٣، ص٤٠١، مسألة رقم ١٧٧٣؛ والنوري في المجموع: ج٨، ص٤١٤.

(٣) كفاية الأثر للخزار: ص١٩٤.

(٤) الكافي: ج٦، ص٣٣، برقم ٥؛ وسائل الشيعة: ج٢١، ص٤٣١، برقم ٢٧٥٠٦؛ الإرشاد للمفيد: ج٢، ص٢٥.

(٥) سائل الشيعة : ج٢١، ص٤٠٨، برقم ٢٧٤٢٧.

(٦) مستدرك الوسائل: ج١٥، ص١٤٢.

أولاً: رضاعته من إبهام النبي صلى الله عليه وآله وسلم

من الأمور الخاصة التي رافقت الحمل الثاني لفاطمة عليها السلام هو رضاعة وليدها الحسين عليه السلام، إذ لم تتولَّ الزهراء رضاعته وإنما كان الأمر منوطا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحكمة بيّنها هو».

فعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

«ولم يرضع الحسين من فاطمة عليها السلام ولا من أنثى، كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيضع إبهامه في فيه فيمص منها ما يكفيه ليومين والثلاث، فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ودمه»[1].

وفي رواية أخرى يبين صلى الله عليه وآله وسلم المغزى من هذا الفعل، قائلا لفاطمة عليها السلام:

«إنك ستلدين غلاما قد هنأني جبرائيل فلا ترضعيه حتى أجيء إليك ولو أقمت شهرا».

قالت:

«أفعل ذلك».

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بعض وجوهه، فولدت فاطمة الحسين فما أرضعته، فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لها:

---

(١) الكافي: ج١، ص٤٦٤.

«ماذا صنعت؟».

قالت:

«ما أرضعته».

فأخذه فجعل لسانه في فمه فجعل الحسين يمص، حتى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إيها حسين، إيها حسين».

ثم قال:

«أبى الله إلا ما يريد هي فيك وفي ولدك».

يعني: الإمامة[١].

وقد روي أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

«كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتي مراضع فاطمة عليها السلام فيتفل في أفواههم ثم يقول لفاطمة لا ترضعيهم»[٢].

وقد مرّ علينا في الفصل السابق أثر الإرضاع في التكوين الخلقي للإنسان، وهنا يؤكد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذا العمل انتقال السمات الخاصة برتبة الإمامة إلى الإمام الحسين عليه السلام من خلال هذا الإعجاز الخاص به صلى الله عليه وآله وسلم.

أما مدة إرضاعه فكانت سنتين[٣]، لقوله عزّ وجل:

---

(١) المناقب، ابن شهر: ج٤، ص٥٠.

(٢) الخرائج والجرائح: ج١، ص٩٤.

(٣) بحار الأنوار: ج ٤٣، ص ٢٥٨.

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾[1].

فحملته ستة أشهر وفصاله أربع وعشرون شهراً وهو تمام الثلاثين.

ثانيا: تكريم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام والمسلمين بولادة الحسن والحسين عليهما السلام.

من سنن اللطف والجمال والذوق أن يقدم للمرأة بعد معاناتها ومخاطرتها بالحمل والولادة، أن يقدم لها تهنئة بالسلامة وتكريما لما أدخلته على الأهل والأسرة من بهجة وسرور بإنجابها مولودا ليمارس دوره في الحياة وليكون موضع فخر واعتزاز للأهل.

والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يغب عن ناظره هذا الأمر، بل إن كل جميل في الإسلام إنما نبع منه، وكل عذوبة في الحياة الإنسانية المستقيمة كان مصدرها، ولذا كانت تهنئته لابنته والأمة تنسجم مع كونه رحمة للعالمين.

فمن أنعم الله عليه بنعمة وجب الشكر له عليها، وقد أنعم الله عزّ وجل على هذه الأمة المرحومة ـ بنبيها وأهل بيته ـ بنعمة عظيمة أن جعل منها «**سيدي شباب أهل الجنة**»[2].

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٢) وهو الحديث النبوي الشريف، أخرجه أحمد في المسند: ج٥، ص٣٩١؛ وأخرجه الترمذي في السنن: ج٥، ص٦٦٠ ـ ٦٦١، كتاب المناقب (٥٠، باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام ٣١، الحديث ٣٧٨١؛ وذكره المزي في تحفة الأشراف: ج٣، ص٣٠ ـ ٣١، الحديث ٣٣٢٣، وعزاه للنسائي؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك: ج٣، ص٣٨١، كتاب معرفة الصحابة، باب: كان حذيفة أعلم الناس.. وقال الذهبي: صحيح.

ولذا وجب أن يكون الشكر من سنخ هذه الرحمة ألا وهي الصلاة، كي تكون دليلا منه صلى الله عليه وآله وسلم على عظم النعمة وثانيا: كي تعم الرحمة على هذه الأمة وتتحقق النجاة لها يوم القيامة لاكتمال سبيلي الهداية وهما الثقلان:

(كتاب الله وعترتي أهل بيتي)[1].

والتكريم تم بهذا الشكل:

ألف: زيادة الصلاة الواجبة سبع ركعات

أخرج الشيخ الكليني رحمه الله، عن عبد الله بن سليمان العامري، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال:

«لما عرج برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل بالصلاة عشر ركعات، ركعتين، ركعتين، فلما ولد الحسن والحسين زاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبع ركعات شكرا لله، فأجاز الله له ذلك، وترك الفجر لم يزد فيها لضيق وقتها ولأنه تحضرها ملائكة الليل وملائكة النهار. فلما أمره بالتقصير في السفر وضع عن أمته ست ركعات وترك المغرب لم ينقص منها شيء،

(١) وهو الحديث النبوي الشريف المتواتر والمتفق على صحته عند جمهور المسلمين، وتناقلته مصنفات الفريقين وقد رواه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعة وثلاثون من الصحابة والصحابيات، راجع: سنن الترمذي: ج٥، ص٦٦٣، كتاب المناقب ٥٠، باب مناقب أهل البيت ٣٢، الحديث ٣٧٨٨؛ وأخرجه أحمد في المسند: ج٤، ص٣٦٦ ـ ٣٦٧؛ وأخرجه الدارمي في السنن: ج٢، ص٤٣١ ـ ٤٣٢، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من القرآن؛ وأخرجه الحاكم في المستدرك: ج٣، ص١٤٨، كتاب معرفة الصحابة: باب إني تارك فيكم الثقلين، وقال على شرط الشيخين ورافقه الذهبي.

وإنما يجب السهو فيما زاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فمن شك في أصل الفرض في الركعتين الأوليين استقبل صلاته[١]، أي وجب عليه إعادتها، كالصبح والجمعة والمغرب وصلاة السفر، وكذلك في الرباعية إذا مرأ الشك قبل اكمال السجدتين من الثانية»[٢].

باء: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنّ نافلة المغرب شكرا لله على سلامة فاطمة عليها السلام

روي عن الصادقين عليهما السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر بالحسن عليه السلام وهو في آخر تسبيح المغرب قبل الدعاء فقام من وقته من غير أن يتكلم أو يصنع شيئا فصلى ركعتين جعلهما شكرا لله تعالى على سلامة فاطمة عليها السلام وولادتها الحسن عليه السلام ثم دعا بعد الركعتين وعقب بسجدتي الشكر والتعفير بينهما وكان ذلك سنّة، حتى ولد الحسين عليه السلام فجاء البشير به وقد صلى هاتين الركعتين بعد المغرب وهو في آخر تسبيحه فقام من غير تعقب فصلى ركعتين جعلها شكرا لله تعالى عقب الدعاء بعدهما وسجد، فجرت به سنته صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يتكلم أحد بين فريضة المغرب ونافلتها[٣].

جيم: إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام بما يجري على الحسين عليه السلام بعد ولادته

مثلما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخبر فاطمة عليها السلام بما

(١) الكافي: ج٣، ص٤٨٧؛ البحار : ج٤٣، ص٢٥٨، برقم ٤١.
(٢) اجماعيات فقه الشيعة: ج١، ص٣٥٨.
(٣) المقنعة ، الشيخ المفيد: ص ١١٧.

يجري على الحسين عليه السلام قبل ولادته كذلك كان حاله صلى الله عليه وآله وسلم مع فاطمة عليها السلام وولدها بعد ولادته ليدل على أن الحسين عليه السلام حالة فريدة وابتلاءه ورزيته شاء الله أن تكون من خصوصيات سيد الأنبياء والمرسلين وابنته فاطمة عليها السلام التي لم تبتلَ أم مثلها مع ما لها من المنزلة والحرمة عند الله تعالى، وإليك أيها القارئ الكريم هذه الرواية الكاشفة عن بعض هذه الخصوصية والشأنية الابتلائية وانعكاساتها الوجدانية على الأم.

عن فرات قال حدثني جعفر بن محمد الفزاري عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان الحسين عليه السلام مع أمه تحمله فأخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال:

«لعن الله قاتلك ولعن الله سالبك وأهلك الله المتوازرين عليك وحكم الله بيني وبين من أعان عليك».

قالت فاطمة الزهراء عليها السلام:

«يا أبه أي شيء تقول»؟!.

قال:

«يا بنتاه ذكرت (ذكرته) ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم و(الغدر) والبغي وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل وكأني أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم».

قالت:

«يا أبي وأني (وأي وأين) هذا الموضع الذي تصف»؟.

قال:

«موضع يقال له كربلاء وهي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأمة، يخرج (عليهم) شرار أمتي وإن أحدهم لو يشفع (شفع) له ما في السماوات والأرضيين ما شفعوا فيه وهم المخلدون في النار».

قالت:

«يا أبه فيقتل»؟.

قال:

«نعم يا بنتاه وما قتل قتلته أحد كان قبله وتبكيه السماوات والأرضون والملائكة (والوحش) والنباتات والبحار والجبال ولو يؤذن لها (ما بقي) على الأرض متنفس ويأتيه قوم من محبينا ليس في الأرض أعلم بالله ولا أقوم بحقنا (لحقنا) منهم وليس على ظهر الأرض أحد يلتفت إليه غيرهم أولئك مصابيح في ظلمات الجور وهم الشفعاء وهم واردون حوضي غدا أعرفهم إذا وردوا عليّ بسيماهم وكل أهل دين (يطلبون أئمتهم وهم) يطلبونا و(لا يطلبون غيرنا وهم قوام الأرض وبهم ينزل الغيث».

فقالت فاطمة (الزهراء) عليها السلام: «يا أبي إنا لله».

وبكت فقال لها: «يا بنتاه إن أهل الجنان من الشهداء في الدنيا:

﴿أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾[1].

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

(الحق) فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قتلة أهون من ميتته من كتب عليه القتل خرج إلى مضجعه ومن لم يقتل فسوف يموت يا فاطمة بنت محمد أما تحبين أن تأمرين غدا (بأمر) فتطاعين في هذا الخلق عند الحساب أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش أما ترضين (أن يكون) أبوك يأتونه (يأتيه) يسألونه الشفاعة أما ترضين أن يكون بعلك يذود الخلق يوم العطش من الحوض فيسقي منه أولياءه ويذود عنه أعداءه أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار والجنة ويأمر النار فتطيعه يخرج منها من يشاء ويترك من يشاء أما ترضين أن تنظري إلى الملائكة على أرجاء السماء ينظرون إليك وإلى ما تأمرين به وينظرون إلى بعلك وقد حضر الخلائق وهو يخاصمهم عند الله فما ترين الله صانعاً بقاتل ولدك وقاتليك إذا أفلحت (فلجت) حجته على الخلائق وأمرت النار أن تطيعه أما ترضين أن تكون الملائكة تبكي لابنك ويأسف عليه كل شيء أما ترضين أن يكون من أتاه زائرا في ضمان الله ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت الله الحرام واعتمر ولم يخلُ من الرحمة طرفة عين وإذا مات، مات شهيداً وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا»

قالت: «يا أبة سلمت ورضيت وتوكلت على الله».

فمسح على قلبها ومسح (على) عينيها، فقال:

«إني (أنا) وبعلك وأنت وابناك في مكان تقر عيناك ويفرح قلبك».

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[1].

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٩.

المصادر والمراجع:

القرآن لكريم

١. الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة، الدكتورة علياء شكري، طبع: دار المعارف لسنة ١٣٩٩هـ)، ١٩٧٩م، القاهرة ــ مصر.

٢. أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، أحمد بن يوسف القرماني (ت ١٠١٩هـ)، تحقيق: د. أحمد حطيط، د. فهمي سعد، طبع: عالم الكتب لسنة ١٤١٢هـ)، ١٩٩٢م، ط١، بيروت ــ لبنان.

٣. أخلاقيات المعاشرة، غ.ب بوتيليكو، ترجمة: إبراهيم الجهماني، طبع: دار حوران للطباعة والنشر لسنة ١٤١٨هـ)، ١٩٩٨م، دمشق ــ سوريا.

٤. الإرشاد والتوجيه النفسي، حامد عبد السلام، طبع: عالم الكتب لسنة ١٤٠٠هـ)، ١٩٨٠م، القاهرة ــ مصر.

٥. الإرشاد، الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، طبع: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لسنة ١٤١٤هـ)، ١٩٩٣م، الطبعة الثانية، بيروت ـ لبنان.

٦. أزمة القيم ودور الأسرة في تطور المجتمع / تأليف: عبد الهادي بو طالب.

٧. أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، (ت: ٦٣٠ هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان، انتشارات إسماعيليان ﷺ طهران.

٨. أسس البحث العلمي في التربية وعلم النفس، الدكتور محمد نجيب

السباعي، والدكتور محمود ميلاد، طبع: مكتبة الضامري للنشر والتوزيع لسنة ١٤٢٨هـ)، ٢٠٠٧م، ط١، السيب.

٩. الإسلام والأسرة، معوض عوض إبراهيم، طبع: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر لسنة ١٤٠٣هـ)، ١٩٨٣م، القاهرة ــ مصر.

١٠. الإسلام وتنظيم الأسرة / تأليف: محمد ظفار.

١١. الأمالي، الشيخ الطوسي، الوفاة: ٤٦٠، تحقيق: مؤسسة البعثة، ط١، سنة الطبع: ١٤١٤/ الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - قم.

١٢. الأمومة (نمو العلاقة بين الطفل والأم) / تأليف: الدكتور فايز قنطار / طبع: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب لسنة ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م / الطبعة الأولى / الكويت.

١٣. الانتصارات المذهلة لعلم النفس الحديث، بيير داكوا، ترجمة وجيه أسعد.

١٤. أنساب الأشراف للبلاذري: ط١ مؤسسة الأعلمي، بيروت ــ لبنان لسنة ١٣٩٤ هـ.

١٥. بدائع الصنائع لابو بكر الكاشاني: طبعة المكتبة الحبيبية، باكستان لسنة ١٤٠٩ هـ.

١٦. البيئة العاطفية، لارلين سكولينك، طبع: شركة بروان بوسطن لسنة ١٣٩٨هـ)، ١٩٧٨م، ألمانيا.

١٧. تاريخ القضاعي، محمد بن سلامة القضاعي، الوفاة: ٤٥٤هـ)، الطبعة ـ الأولى، لسنة: ١٩٩٨م، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت.

١٨. تحليل سلوك الارتجال عند المرأة، ليلى شريف.

١٩. التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، الوفاة: ١٠٩١ هـ)، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: رمضان ١٤١٦ - ١٣٧٤ ش، المطبعة: مؤسسة الهادي - قم المقدسة.

٢٠. تفسير العيَّاشي محمَّد بن مسعود العياشي: ج٢ ص١٦٤-١٦٥.

٢١. تفسير فرات الكوفي، فرات الكوفي (أبو القاسم فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي، ت٣٥٢هـ)، تح: محمد الكاظم، ط٢، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

٢٢. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ابن مسكويه، أحمد بن محمد،تاريخ،،الناشر: المطبعة الحسينية: [١٠٣٠-مكان النشر: [القاهرة، النشر: ١٣٢٩ [١٩١١]

٢٣. حاشية رد المختار على درر المختار ــ شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب ابي حنيفة النعمان، محمد أمين (ابن عابدين)، طبع: دار الفكر لسنة ١٤٢٤هـ)، ٢٠٠٥م، ط١، بيروت ــ لبنان.

٢٤. الخرائج والجرائح، تأليف: سعيد بن عبد الله بن حسين بن هبة الله بن حسن الراوندي الكاشاني المعروف بـ(قطب الدين) (ت ٥٧٣هـ)، تحقيق: مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، طبع: مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام لسنة ١٤٠٩هـ، ١٩٨٨م / الطبعة الأولى / قم المقدسة ــ إيران.

٢٥. دراسات في سيكولوجية المرأة، الدكتورة سهير كامل أحمد أستاذ علم

النفس وعميد كلية رياض الأطفال، طبع ونشر: مركز الاسكندرية للكتاب لسنة ١٤١٨هـ)، ١٩٩٨م، الاسكندرية ــ مصر.

٢٦. ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله الطبري (ت ٩١١هـ)، طبع: دار المعرفة للطباعة والنشر لسنة ١٣٩٣هـ، ١٩٧٤م، بيروت ــ لبنان.

٢٧. الذرية الطاهرة الدولابي، الحافظ أبو بشرٌ محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الأنصاري الدولابي الرازي الوراق (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: السيد محمد جواد الحسيني الجلالي، طبع: مؤسسة الأعلمي لسنة ١٤٠٨هـ)، ١٩٨٨م، الطبعة الثانية، بيروت لبنان.

٢٨. رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي عليهم السلام، أبو بكر شهاب الدين الحضرمي (ت ١٣٤١هـ)، طبع: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤١٨هـ)، ١٩٩٨م، بيروت ـ لبنان.

٢٩. روضة الطالبين، أبي زكريا يحي بن شرف الدين النووي الدمشقي (ت ٦٧٦هـ)، طبع: دار ابن حزم لسنة ١٤٢٣هـ)، ٢٠٠٣م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٣٠. الزواج والعلاقات الأسرية، سناء الخولي، طبع: دار المعرفة الجامعية لسنة ١٤٠٢هـ)، ١٩٨٢م، الإسكندرية ـ مصر.

٣١. سنن ابن ماجه بشرح السندي، أبو الحسن الحنفي المعروف بالسندي (ت ١١٣٨هـ)، تعليق وحاشية: مصباح الزجاجة للبوصيري (ت ٨٤٠هـ)، طبع: دار المعرفة لسنة ١٤١٦هـ)، ١٩٩٦م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٣٢. سنن ابي داود، ابي داود سليمان بن الاشعث السجستاني، تحقيق وتعليق:

سعد محمد اللحام، نشر دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، بيروت.

٣٣. السيرة النبوية / تأليف: ابن هشام / تحقيق: مصطفى السقا / طبع: مؤسسة علوم القرآن / الطبعة الأولى / بيروت ـ لبنان.

٣٤. سيكولوجية الأمومة ومسؤولية الحمل، عدنان السبيعي، طبع: الشركة المتحدة للتوزيع لسنة ١٤٠٥هـ)، ١٩٨٥م.

٣٥. سيكولوجية المرأة، الدكتورة هيلين دوتش

٣٦. شرح أصول الكافي لمولى محمد صالح المازندراني: ج ٢ ص ٢٩٨.

٣٧. شرح الزرقاني على الموطأ، محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهري المالكي (ت ١١٢٢هـ)، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤١١هـ)، ١٩٩١م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٣٨. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن البخاري (ت ٢٥٦هـ)، نشر وطبع: عالم الكتب لسنة ١٤٠٥هـ)، ١٩٨٥م، الطبعة الرابعة، بيروت ـ لبنان.

٣٩. صحيح مسلم بشرح النووي، محي الدين النووي الشافعي، تحقيق: د. محمد عبد الرحمن المرعشلي، طبع: دار إحياء التراث العربي، سنة الطبع: ١٤٢٠هـ)، ٢٠٠٠م، بيروت ـ لبنان.

٤٠. الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، أحمد بن حجر الهيتمي المكي، التعليق والتقديم وتخريج الأحاديث: عبد الوهاب عبد اللطيف، طبع: متكبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان لسنة ١٣٨٥هـ)،

١٩٦٥م، الطبعة الثانية، القاهرة ــ مصر.

٤١. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد: طبعة دار صادر، بيروت ـ لبنان.

٤٢. العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، علي بن يوسف المطهر الحلي، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، إشراف: السيد محمود المرعشي، طبع: مكتبة آية الله المرعشي العامة لسنة ١٤٠٨هـ)، ١٩٨٧م، ط١، قم المقدسة ــ إيران.

٤٣. عرضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي / تأليف: أبو بكر بن العربي المالكي / طبع: دار الكتب العلمية / القاهرة ــ مصر.

٤٤. علم الاجتماع العائلي، الدكتور الوحيشي أحمد بيري، طبع ونشر: منشورات الجامعة المفتوحة الجماهيرية العربية الليبية لسنة ١٤١٠هـ)، ١٩٩٠م، ط١، طرابلس ـ ليبيا.

٤٥. علم النفس الأكلينيكي، مصطفى فهمي، طبع: مكتبة مصر لسنة ١٣٨٦هـ)، ١٩٦٧م، القاهرة ــ مصر.

٤٦. علم النفس ودراسة التوافق، كمال دسوقي، طبع: دار النهضة لسنة ١٣٩٩هـ)، ١٩٧٩م، بيروت ــ لبنان.

٤٧. عيون التواريخ، محمد ابن شاكر ابن أحمد الكتبي، تحقيق: حسام الدين المقدسي، تنسيق المقدمة: الشيخ أبو منصور الحافظ، طبع: مكتبة النهضة المصرية، مصر.

٤٨. غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٠هـ)، طبع: دار الكتاب العربي لسنة ١٣٨٨هـ)، ١٩٦٨م، القاهرة ـ مصر.

٤٩. الفائق في غريب الحديث والاثر، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، طبع: دار إحياء الكتب العلمية لسنة ١٣٦٦هـ)، ١٩٤٧م، القاهرة ـ مصر.

٥٠. فتح الباري في شرح صحيح البخاري، شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، الطبعة الثانية، نشر: دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.

٥١. قلائد الجمان في التعريق بقبائل عرب الزمان، القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، طبع: دار الكتاب اللبناني لسنة ١٤٠٢هـ)، ١٩٨٢م، الطبعة الثانية، بيروت ـ لبنان.

٥٢. كامل الزيارات جعفر بن محمد بن قولويه: ص٢٠٧.

٥٣. كتاب العين / تأليف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي / تحقيق: د. مهدي المخزومي / طبع: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات لسنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م / الطبعة الأولى / بيروت ــ لبنان.

٥٤. كتاب ألف باء في أنواع الآداب وفنون المحاضرات واللغة أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوي المالقي

٥٥. كشف الغمة في معرفة الأئمة، الشيخ أبو الحسن، علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ)، طبع: دار الأضواء لسنة ١٤٢١هـ)، ٢٠٠١م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٥٦. كشف الغمة في معرفة الأئمة، الشيخ أبو الحسن، علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي (ت ٦٩٣هـ)، طبع: دار الأضواء لسنة ١٤٢١هـ)، ٢٠٠١م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٥٧. كفاية الأثر، القاسم علي بن محمد بن علي الخزاز القمي الرازي، تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسيني الكوهكمري الخوئي، نشر: انتشارات بيدار، سنة الطبع: ١٤٠١هـ)، قم المقدسة.

٥٨. كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام ويليه البيان في أخبار صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف، أبي عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي، تحقيق: د. محمد هادي الأميني، طبع: شركة الكتبي لسنة ١٤١٣هـ)، ١٩٩٢م، الطبعة الرابعة، بيروت ــ لبنان.

٥٩. كمال الدين وتمام نعمة، الشيخ أبو جعفر محمد بن علي الصدوق (ت ٣٨١هـ)، تحقيق: الشيخ حسين الأعلمي، نشر وطبع: مؤسسة الأعلمي لسنة ١٤٢٤هـ)، الطبعة الثانية، بيروت ـ لبنان.

٦٠. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي (ت ٩٧٥هـ)، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، نشر: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ)، ١٩٨٩م، بيروت ـ لبنان.

٦١. لسان العرب (معجم)، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدّين مُحمّد بن مكرم، ت ٧١١هـ)، ط ١، دار صادر، بيروت ـ لبنان

٦٢. لسان العرب، ابن منظور: مطبعة نشر أدب الحوزة، قم ــ إيران، لسنة، محرم الحرام ١٤٠٥ هـ.

٦٣. اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام، محمد علي بن أحمد القراچه داغي التبريزي الأنصاري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: السيد هاشم الميلاني، طبع: مؤسسة الهادي لسنة ١٤١٨هـ)، ١٩٩٨م، ط١، قم المقدسة ــ إيران.

٦٤. المبسوط / تأليف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأمة السرخسي (ت ٤٨٣هـ) / طبع: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع لسنة ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م / بيروت ـ لبنان.

٦٥. مجمع البحرين، الشيخ الطريحي، (ت: ١٠٨٥ هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، ط٢، ١٤٠٨ - ١٣٦٧ ش، الناشر: مكتب النشر الثقافة الإسلامية.

٦٦. مجمع البحرين، الشيخ الطريحي، الوفاة: ١٠٨٥هـ)، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة: الثانية، لسنة: ١٤٠٨ - ١٣٦٧ ش، الناشر: مكتب النشر الثقافة الإسلامية.

٦٧. المجموع، النووي، (ت: ٦٧٦ هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت، ١٩٩٧ م.

٦٨. المرأة ـ بحث في سيكولوجية الأعماق، بيير داكو، ترجمة: وجيه أسعد، طبع: مؤسسة الرسالة لسنة ١٤١١هـ)، ١٩٩١م، الطبعة الثانية، بيروت ـ لبنان.

٦٩. المرأة بين الدين والمجتمع، الدكتور عبد الباقي زيدان، طبع: مكتبة النهضة المصرية لسنة ١٣٩٧هـ)، ١٩٧٧م، القاهرة ـ مصر.

٧٠. مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، (ت: ١٣٢٠ هـ)، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١ المحققة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.

٧١. مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي نمازي الشاهرودي، طبع: قسم الدراسات الإسلامية لسنة ١٤٠٩هـ)، ١٩٨٨م، ط١، طهران ـ إيران.

٧٢. المستدرك، الحاكم النيسابوري، الوفاة: ٤٠٥، تحقيق: إشراف: يوسف

عبد الرحمن المرعشلي.

٧٣. مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، الوفاة: ٢٠٤هـ)، الناشر: دار المعرفة، بيروت لبنان.

٧٤. مسند الفردوس للديلمي، أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني (ت ٥٠٩هـ)، طبع: دار الكتب العلمية لسنة ١٤٠٦هـ)، ١٩٨٦م، ط١، بيروت ــ لبنان.

٧٥. مصابيح السنة، ابو محمد الحسين بن مسعود ابن محمد الغراء البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، محمد سليم إبراهيم سمارة، جمال حمدي الذهبي، طبع: دار المعرفة لسنة ١٤٠٧هـ)، ١٩٨٧م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٧٦. المصنف في الأحاديث والآثار، الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة إبراهيم بن عثمان أبي بكر الكوفي العبسي (ت ٣٣٥هـ)، طبع: الدار السلفية لسنة ١٣٩٩هـ)، ١٩٧٩م، الطبعة الثانية، بمبئي ـ الهند.

٧٧. المعجم الموسوعي في علم النفس، نور بير سيلامي، ترجمة: وجيه أسعد، طبع: وزارة الثقافة، سوريا.

٧٨. المعجم الوجيز من أحاديث الرسول العزيز، السيد عبد الله ميرغني الحنفي نزيل الطائف (ت ١٢٠٧هـ)، طبع: عالم الكتب لسنة ١٤٠٨هـ)، ١٩٨٨م.

٧٩. معرفة السنن والآثار / تأليف: شيخ المحدثين أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) / تحقيق: الدكتور عبد المعطي أمين قلعجي/

طبع: جامعة الدراسات الإسلامية لسنة ١٤١٢هـ، ١٩٩١م / كراتشي ـ باكستان.

٨٠. المغني، أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الدمشقي الصالحي الحنبلي (ت ٦٢٠هـ)، طبع دار الفكر لسنة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، بيروت ـ لبنان.

٨١. مفردات ألفاظ القرآن، العلاّمة الرّاغب الأصفهاني المتوفى في حدود ٤٢٥هـ)، تح: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، ط ٤، ١٤٢٥هـ.

٨٢. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ(الراغب الاصفهاني) (ت ٥٠٢هـ)، طبع: دار إحياء التراث العربي لسنة ١٤٢٨هـ)، ٢٠٠٨م، ط١، بيروت ـ لبنان.

٨٣. مقتل الحسين عليه السلام، أبو مؤيد الموفق أخطب خوارزم المشهور بـ(الخوارزمي)، تحقيق: الشيخ محمد السماوي (ت ٥٦٨هـ)، طبع: دار أنوار الهدى لسنة ١٤٢٣هـ)، ٢٠٠٣م، ط٢، قم المقدسة ـ إيران.

٨٤. المقنعة، الشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، طبع: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين لسنة ١٤١٠هـ)، ١٩٩٠م، الطبعة الثانية، قم المقدسة ـ إيران.

٨٥. من لا يحضره الفقيه، أبو جعفر الصدوق محمد بن علي بن بابويه القمي رحمه الله، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، نشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدسة.

٨٦. مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، تصنيف: الخطيب الفقيه الحافظ أبو الحسن علي بن محمد الواسطي الجلاني الشافعي الشهير بابن المغازلي (ت ٤٨٣هـ)، إعداد: المكتب العالمي للبحوث، طبع: منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان.

٨٧. مناقب آل ابي طالب لابن شهر اشوب، (ت:٥٨٨ هـ)، تحقيق: تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، ١٣٧٦ - ١٩٥٦ م، المطبعة: الحيدرية - النجف الأشرف، الناشر: المكتبة الحيدرية - النجف الأشرف.

٨٨. المناقب لابن شهرآشوب، مطبعة المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف ـ العراق لسنة ١٣٧٦ هـ.

٨٩. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان، نور الدين، علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني ـ عبده علي الكوشك، طبع: دار الثقافة العربية لسنة ١٤١١هـ)، ١٩٩٠م، ط١، القاهرة ـ مصر.

٩٠. موسوعة الفقه الإسلامي طبقا لمذهب أهل البيت (عليهم السلام)؛ مؤسسة دائرة المعارف الفقه الإسلامي

٩١. النظرية الاجتماعية ودراسة الأسرة، الدكتورة سامية مصطفى الخشاب، طبع: مؤسسة المعارف للطباعة والنشر لسنة ١٤٠٧هـ)، ١٩٨٧م، بيروت ـ لبنان.

٩٢. نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين، جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي الحنفي المدني،

ط١، نشر: دار إحياء التراث الإسلامي، سنة الطبع: ١٤٢٥هـ)، بيروت.

٩٣. النفس (بحوث مجمعة)، تجميع: الدكتور مصطفى زيور، طبع: القاهرة لسنة ١٤٠٢هـ)، ١٩٨٢م، القاهرة ــ مصر.

٩٤. نهج البلاغة خطب الإمام علي (عليه السلام) (تحقيق الدكتور صلاح الفرطوسي: اصدار مؤسسة علوم نهج.

٩٥. نهج البلاغة، خطب الإمام علي (ع)، الوفاة: ٤٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد عبده، ط١، لسنة: ١٤١٢ - ١٣٧٠ ش، الناشر: دار الذخائر - قم إيران.

٩٦. الوالدية / تأليف: دلي سالك (مدير قسم علم نفس الطفل في مستشفى نيويورك بمركز كورنيل الطبي) / طبع: دار طلاس / دمشق ـ سوريا.

٩٧. وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام)، الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، طبع: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث لسنة ١٤١٤هـ)، ١٩٩٣م، الطبعة الثانية، قم المقدسة ــ إيران.

٩٨. وسائل الشيعة (آل البيت عليهم السلام)، الحر العاملي، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، طبع: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث لسنة ١٤١٤هـ)، ١٩٩٣م، الطبعة الثانية، قم المقدسة ـ إيران.

٩٩. ينابيع المودة لذوي القربى، الشيخ سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي، تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني، طبع: دار الأسوة للطباعة والنشر لسنة ١٤١٦هـ)، ١٩٩٥م، ط١، بيروت ـ لبنان.

المحتويات

الإهداء ٥

المقدمة ٧

المسألة الأولى: معنى مصطلح فقه الأخلاق ومفهومه. ١١

أولاً : الفقه لغة..... ١١

ثانياً : الفقه اَصطلاحا ١٢

ثالثاً : معنى الأخلاق في اللغة والاصطلاح ١٣

١ـ الأخلاق لغة :..... ١٣

٢ ـ الأخلاق اصطلاحاً ١٤

رابعاً : المعنى التركيبي لمصطلح فقه الأخلاق ١٤

١ـ الفقه الجوارحي: ١٥

٢ ـ الفقه الجوانحي :..... ١٦

المسألة الثانية: أهمية الممازجة بين منهج الحياة الأسرية وأصولها في بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) وبين علم الاجتماع العائلي وعلم اجتماع الأسرة. ١٧

الفصل الأول: سمات الحياة الزوجية في بيت علي وفاطمة(عليهما السلام) ٢٣

توطئة: ٢٥

المبحث الأول: مفهوم الأسرة وتعريفها ٢٧

المسألة الأولى: تعريف الأسرة. ٢٧

المسألة الثانيةـ الاختلاف في مفهوم الأسرة بين الباحثين. ٢٨
المسألة الثالثة: الأسرة في الديانات الثلاث. ٣٠
المسألة الرابعة: الأسرة في مفهوم علم الاجتماع..... ٣٠
المسألة الخامسة: الأسرة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان..... ٣٢
المسألة السادسة: مفهوم الأسرة في الاتحاد الدولي لمنظمات الأسرة (U.I.O.F)...٣٣
المسألة السابعة: مفهوم الأسرة في الإسلام. ٣٣
المبحث الثاني: فاطمة(عليها السلام) الزوجة. ٣٧
المسألة الأولى: أنّ فاطمة زوجة لعلي في الدنيا والآخرة ٣٩
أولا: لا يحرم الله المؤمن مما بذل له من نعم الدنيا في الآخرة..... ٤٢
ثانياً: التفاوت في عدد النساء والرجال في المجتمعات. ٤٣
ثالثاً: الحكمة في التعدد..... ٤٣
المسألة الثانية: تقسيم مسؤوليات الحياة الزوجية بينهما عليهما السلام..... ٤٤
أولا: كيف يتحقق التوافق الزواجي؟ ٤٨
ثانياً: منهاج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تحقق التوافق الزواجي ٤٩
١ـ قاعدة (التكافؤ)..... ٥٠
٢ـ قاعدة (المودة والرحمة). ٥٠
٣ـ قاعدة تقسيم مسؤوليات الحياة الزوجية بين علي وفاطمة عليهما السلام.....٥١
ثالثاً: مسائل البحث في الروايات..... ٥٣

١ـ التقسيم السوي بين المسؤوليات الحياتية. ٥٣
٢ـ مراعاة الجانب الإنساني في التقسيم. ٥٣
٣ـ الحفاظ على المرأة وصيانتها. ٥٤
٤ـ مسؤوليات الحياة داخل الأسرة لا تقل عنها في الخارج. ٥٤
٥ـ الباعث في سرور فاطمة عليها السلام الحشمة وليس اللجوء للراحة من ٥٥
رابعاً: إعانة الزوجة في المنزل منهج حضاري. ٥٦
١ـ رعاية الإمام علي لفاطمة عليهما السلام وإيثارها على نفسه في تحمل عمل....٥٨
٢ـ تعظيم حق الأسرة وتهذيب النفس على خدمة العيال عند رسول الله ٦١
المسألة الثالثة: كشفها لهموم زوجها. ٧٣
المسألة الرابعة: الحالة الانفعالية والوجدانية للمرأة بين مقارنتها لمستواها ومستوى الزوج العلمي والاجتماعي وبين ضعف حاله المادي. ٧٨
أولا: بحث تربوي: المعالجة التربوية للأسرة عند رسول الله صلى الله عليه ٨٣
ثانيا: بحث سيكولوجي: بُعد الانفعالات والوجدانات عند المرأة. ٨٤
ثالثا: أثر المفاخرة بين الرجل والمرأة على الحياة الزوجية. ٨٧
رابعا: بالقياس إلى أي شيء تتصف المرأة بأنها أدنى؟ ٨٩
المسألة الخامسة: خوفها على زوجها عند خروجه للقتال.....٩٧
المسألة السادسة: إنها لا تسأل زوجها ولا تكلفه في شيء حتى فيما تحتاج إليه ... ١٠٦
أولاً: قانون العرض والطلب في علم النفس. ١٠٧

ثانياً: قانون العرض والطلب في بيت فاطمة عليها السلام..... ١٠٩
ثالثا: السبب في بقائها ثلاثة أيام على يسير من طعام حتى نفد في اليوم الثالث...١١٧
المسألة السابعة: تزيّنها لعلي عليه السلام ١١٩
أولا: كل امرأة فيها جمال دفين فكيف تستطيع من لفت انتباه زوجها وشده ١٢٢
ثانياً: هل ترغب المرأة أن ترى زوجها متزيناً لها؟ وما أثر ذلك في العلاقة ١٢٥
ثالثا: ما هي زينة فاطمة عليها السلام وكيف كانت تتزين؟ ١٣٠
الفصل الثاني: الأمومة في بيت علي وفاطمة (عليهما السلام) ١٣٧
توطئة: ١٣٩
المبحث الأول: مفهوم الأمومة ومراحلها..... ١٤١
المسألة الأولى: الأمومة في المنظور النفسي والاجتماعي..... ١٤١
المسألة الثانية: متى تبدأ المراحل الأولى للأمومة عند المرأة؟ ١٤٥
المبحث الثاني: حملها بالإمام الحسن عليه السلام ١٥١
المسألة الأولى: مرحلة الحمل ١٥١
المسألة الثانية: الآثار النفسية والاجتماعية لحادثة الحمل..... ١٥٢
ألف: الآثار النفسية. ١٥٢
باء: الآثار الاجتماعية ١٥٦
المسألة الثالثة: العلاقة بين نفسية الأم ونفسية الجنين..... ١٥٧
المسألة الرابعة: خصوصية الحمل الرسالي على المرأة نفسياً واجتماعياً وعقائديا.. ١٦٠

ألف: الغرض الإرشادي ١٦١
أولاً: الاصطفاء الإلهي الذي عبرت عنه الآية بـ(الإنبات) و(الحسن)..... ١٦٤
المبحث الثالث: ولادة الإمام الحسن عليه السلام ١٦٧
المسألة الأولى: آثار مرحلة الولادة على المرأة..... ١٦٧
المبحث الرابع: مرحلة ما بعد الولادة..... ١٧٥
المسألة الأولى: سلوك الأمومة وسلوك التعلق..... ١٧٥
المبحث الخامس: الإرضاع ١٨١
المسألة الأولى: من تولى إرضاع وليد فاطمة عليها السلام؟ ١٨١
المسألة الثانية: السلوك النفسي للمرأة عند إرضاعها وليدها ١٨٣
المرحلة الأولى: ما قبل الولادة..... ١٨٣
المرحلة الثانية: مرحلة ما بعد الولادة..... ١٨٣
المرحلة الثالثة: مرحلة ترميم العلاقات بين الأم وما يحيط بها ١٨٤
المسألة الثالثة: دور الرضاعة في تحقيق الوحدة ما بين الأم ووليدها..... ١٨٥
المسألة الرابعة: الإرضاع وأثره في التكوين الخُلقي للإنسان..... ١٩١
أولاً: الجانب الغذائي لحليب الأم في روايات أهل البيت عليهم السلام..... ١٩٢
المبحث السادس: مراسيم اليوم السابع للمولود..... ١٩٥
المسألة الثانية: كيف جرت التسمية؟ ومن الذي سماه؟ جبرائيل عليه السلام أم والداه عليهما السلام ١٩٧

المسألة الثالثة: العقيقة وحلق شعر رأس المولود ٢٠٠
المسألة الرابعة: تحنيك الغلام وختانه وثقب أذنه ٢٠٥
ألف: التحنيك..... ٢٠٥
باء: الختان..... ٢٠٦
جيم: ثقب الأذن ٢٠٦
المسألة الخامسة: حقيقة تظهرها ولادة الإمام الحسن هي ليس لفاطمة عليهما السلام نفاس؟!..... ٢٠٧
المبحث السابع: الحمل الثاني لفاطمة عليها السلام..... ٢١٣
المسألة الأولى: أمور خاصة رافقت الحمل الثاني لفاطمة عليها السلام..... ٢١٣
أولاً: حال الزهراء قبل ولادة الحسين عليه السلام ليس له مثيل في سجل ٢١٣
ثانياً: حملته كرها ووضعته كرها ٢١٥
المسألة الثانية: ولادته عليه السلام..... ٢١٨
أولاً: رضاعته من إبهام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ٢٢٠
ثانيا: تكريم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السلام والمسلمين بولادة الحسن والحسين عليهما السلام.....٢٢٢
المصادر والمراجع: ٢٢٩